قضايا التكرار في القصص القرآني

تأليف
الدكتور القصبي محمود زلط
الاستاذ المساعد بجامعة الأزهر

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الأنصار
٨١ شارع البستان عابدين
ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب
ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين
يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم
يؤمنو » .

أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ ، وبالتالى فالقصص القرآنى ـ وهو جزء منه ـ لا يهدف الى التاريخ ، ومن هنا (فلا يعاب عليه اهمال الأماكن والأشخاص ، ولا اهمال الترتيب بين الحوادث ، فان هذا وذاك من شأن المؤرخ الذى يعنى بالقصص كتاريخ لا كعظات وعبر)(١) ٠

واذا أردنا مثالا فلنستعرض هذه الآيات التى جاءت فى سورتى هود والحجر فى قصة لوط :

يقول سبحانه فى سورة هود : « **ولما جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ٠ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ٠ قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد ٠ قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ٠ قال لو أن لى بكم قوة أو أوى الى ركن شديد ٠ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدا الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ٠ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ٠ مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد** » ٠

ويقول سبحانه فى سورة الحجر : « **فلما جاء آل لوط المرسلين ٠ قال انكم قوم منكرون ٠ قالوا بل جئناك بما كانوا يمترون ٠ وأتيناك بالحق وانا لصادقون ٠ فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ٠ وقضينا اليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ٠ وجاء أهل المدينة يستبشرون ٠ قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون ٠ واتقوا الله ولا تخزون ٠ قالوا أو لم ننهك عن العالمين ٠ قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين ٠ لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ٠ فأخذتهم الصيحة مشرقين ٠ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ٠ ان فى ذلك لآية للمتوسمين** » ٠

واذا **تأملنا** آيات سورة هود فاننا نرى أنها « جرت على هذا الأساس أو على هذه الطريقة : مجىء الملائكة ، ثم حال لوط واضطرابه النفسى ، ثم مجىء القوم ، ثم موقفه منهم وعرضه لبناته حتى لا يخزى من ضيفه ، ثم ردهم عليه وعزمهم على المضى فيما جاءوا من أجله ، ثم موقف الملائكة واخبارهم

---

(١) تفسير القرآن الكريم ٥٣٧ للمرحوم الامام الشيخ/محمود شلتوت ٠
(٢) الفن القصصى / ١٢٥ ٠

لوطا بأنهم رسل ربه ونصحهم له بالسرى واخبارهم له بان العذاب نازل وان موعدهم الصبح ٠

وهكذا تجرى القصة وقد رتبت وقائعها على أساس يشعر بأن الزمن هو المحور الذى يربط هذه الوقائع المختارة وتلك الأحداث المنتقاة من من حياة لوط عليه السلام ٠ كما تجرى المحاورة بينه وبين قومه على أساس من المنطق النظرى ، اذ تدور بينه وبين قومه قبل أن يعرف أن ضيفه هم رسل ربه » ٠

أما آيات القصة فى سورة الحجر فانها « تجرى على نسق آخر ، اذ تعلمه الملائكة أنهم رسل ربه وتنصح له بالسرى وتنبئه بما سيحل بالقرية وأهلها من عذاب قبل أن يجيئه قومه ويكون بينه وبينهم ذلك الحوار ٠

ان المحاورة فى قصة الحجر تدور بينه وبين قومه بعد أن عرف أن ضيفه هم رسل ربه وأنهم لن يصابوا بسوء ، ويشعرنا هذا الصنيع بأن تسلسل هذه الأحداث لا يقوم على الترتيب الزمنى ولا على أساس من التسلسل المنطقى الذى كان من الممكن أن يكون ٠ ذلك لأن العقل يجد أن لوطا وقد عرف أن ضيفه هم رسل ربه وأنهم من الملائكة ، لا يخشى شيئا ولا يخاف عليهم من قومه ، ومن هنا لا يعرض بناته لأذى أو مكروه ، لكن القرآن خالف بين القصتين ، وجرى على نهجين مختلفين فى البناء والتركيب »(١) ٠

وقد حاول المستشرقون اثارة البلبلة ضد القصص القرآنى ، فادعوا بشريته وأنه من عند محمد ، واحتجوا بانه ليس مرتب الحوادث ، فعند دراسته على ضوء ما جاء فى كتب العهدين القديم والجديد ، يظهر فيه مخالفات تاريخية كثيرة ، ثم ارجعوا ذلك الى أن محمدا أفاده من أسفاره ورحلاته ، أو من العبيد والأرقاء الأعاجم الذين كانوا فى خدمة السادة من قريش(٢) ٠

ولا داعى أن نستعرض ما قالوه ، ولا داعى أيضا أن نقف طويلا فى مناقشة هذه الدعوى ، ويكفينا أن نقول ما قلناه قبلا من أن القصص القرآنى (لم يقصد به التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنه وقوعها ، وانما المراد به الاعتبار والعظة) ٠

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة فى الاسلام / ١٥ ، / ٢٥ للمستشرق المجرى جولد زيهز ، وانظر الكتاب المقدس والاسلام لهنرى سمث من ٥٠ ــ ٩٧ ، وانظر الوحى المحمدى / ٨٦ فهناك نصوص كثيرة تثبت عنهم هذه الدعاوى ٠
(٢) تفسير المنار ٠

ثم نقـول فـوق هـذا : ان الأخبار التاريخية الصحيحة لم تثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من رحلتين ، كانت أحـداهما فى طفولته ، وكانت الأخرى عندما ضارب فى مال خديجـة رضى الله عنها وهـو شاب ، فهل يكون من نتيجة هاتين الرحلتين هـذا الأثر الهائل من القصص القرآنى ، ثم من أين لهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستمع أثناء رحلاته الى هذا القصص ؟

يبدو أن المستشرقين كانوا يناقشون الأخبار التاريخية عندما تحـول بينهم وبين ما يشتهون ، وكانوا يسلمون بها عندما تشهد لهم ، وقـد نبه الى

ذلك الدكتور « طـه حسين » وهـو يناقش بعضهم عندما ادعى أن من مصادر القرآن شعر أمية بن أبى الصلت فقال : « والغريب من أمر المستشرقين فى هـذا الموضوع وأمثاله أنهم يشكون فى صـحة « السيرة » نفسها ، ويتجاوز بعضهم الشك الى الجحود ، فلا يرون فيها مصدرا تاريخيا صحيحا ، وانمـا هى عندهم كما ينبغى أن تكون عند العلمـاء جميعا طائفة من الأخبار والأحاديث تحتـاج الى التحقيق والبحث العلمى الدقيق ليمتاز صحيحها من منحولها · هم يقفون هذا الموقف العلمى من السيرة ، ويغلون فى هـذا الموقف ، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المستيقن المطمئن مـع أن أخبار أمية ليست أدنى الى الصـدق ولا أبلغ فى الصـحة من أخبار السيرة · فما سر هـذا الأطمئنان الغريب الى نحو من الأخبار دون الآخر »(٣) ؟

أما ادعاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخـذ عن الأرقاء والعبيد الأعاجم فهـو ادعاء كشف القرآن الكريم بطلانه عندما ناقش مشركى مكة فيه ، فقال : « ولقـد نعلم أنهم يقولون انمـا يعلمه بشر لسان الذى يلحـدون اليه أعجمى وهـذا لسان عربى مبين »(٤) ·

* * *

وكثيرا ما يدور فى الذهن هـذا التساؤل · لمـاذا وقـع التكرار فى القصص القرآنى على هـذه الصورة التى نراها فى القرآن الكريم ؟

حاول الباحثون القـدامى أن يجيبوا على هذا التساؤل فقال « الباقلانى » : « ان اعادة القصة الواحـدة بألفـاظ مختلفة من الأمر الصعب الذى تظهر فيـه الفصاحة وتبين البلاغة » ·

---

(٣) فى الأدب الجاهلى / ١٤٣ ·
(٤) آية ١٠٣ من سنورة النحل ·

ويقول أيضا : « وأعيد كثير من القصص القرآنى فى مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوته ، ونبهوا ـ أى العرب ـ بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثلة مبتدأ ومكررا »(٥) ٠

ومعنى هـذا أن الباقلانى يرجـع سر التكرار الى اظهار الفصاحة والبلاغة، حيث أن عرض القصـة بأساليب مختلفة يظهر ذلك واضحا جليا ٠

ويرجـع الباقلانى أيضا سر التكرار الى توسيع مجال المعارضة والمحاكاة أمام العرب حتى يسلموا بعجزهم عن المعارضة ، ويقروا أنهم لن يستطيعوا ذلك قبـل التكرار أو بعـده ٠

وتحدث « الزركشى » فى برهانة عن دواعى تكرار القصص القرآنى فذكر أن القرآن اذا كرر القصة زاد فيها شيئا ، ثم ضرب مثالا لذلك فقال : « ألا ترى أنه ذكر الحية فى عصا موسى عليه السلام ، وذكرها فى موضع آخر ثعبانا ، ففائدته أن ليس كل حية ثعبانا وهـذه عادة البلغاء أن يكرر أحـدهم فى آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفه زائدة » ٠

وذكر الزركشى ان من جملة الدواعى كذلك اظهار عجز العرب بعـد توسيع مجال ٠ المعارضة بالتكرار ، فقال : (ان الله سبحانه وتعالى أنزل هـذا القرآن ، وعجز القوم عن الاتيان بمثل آية ، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع ، اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبروا)(٦) ٠

ونقـول : لعـل من أبرز دواعى التكرار : الاضافات الجـديدة التى تحملها القصـة فى كل عرض لتنويع الفـائدة ، ـ كما أشـار الزركشى ـ ، فنحن اذا استعرضنا القصص الذى تكرر طالعتنا هـذه الاضافات فى كل عرض ، ولقـد أشار الامام « محمد عبده » الى هـذا فقال : (ومن سنة القصص المكررة أن يذكر فى كل منها ما لميذكر فى الأخرى لتنويع الفوائد)(٧) ٠

وكثيرا ما نرى مثل هـذا القـول منتشرا فى تفسيره ٠

---

(٥) القصص القرآنى فى منطوقة ومفهومة / ٢٤٠ للأستاذ / عبد الكريم الخطيب ٠

(٦) البرهان فى علوم القرآن ح ٣/٢٦ ، / ٢٧ ٠

(٧) تفسير المنار / ح ٨ / ٤٩٦ ، وانظر القصص القرآنى / ٣١١ (رسالة دكتوراه بمكتبة أصول الدين) للزميل الدكتور / عبد الباسط بلبول ٠

ويقـول صاحب القصص القرآنى : (ويبـدو أن أبرز داعية من دواعى التكرار · هى ما يحمله التكرار من فوائد فى كل عرض)(٨) ·

ويبـدو أيضا أن أى قصـة تكررت كان لهـا غرض دينى فى كل سورة ذكرت فيها ، ولعـل هـذا يكشف أسرارا أخرى من أسرار التكرار ، ويكشف مـع هـذا أسرار اختلاف القصـة فى الأسلوب والاضافات فى السور التى عرضت فيها ، وهـذا مجال واسـع عريض ·

* * *

ويلاحظ أن القصص الذى تكرر كان تارة يتكرر بجملته ، وتارة أخرى يتكرر جانب أو مقطع منه ، وتارة ثالثة يتكرر موضوعه ـ يعنى يذكر جانب من القصـة فى سورة ، ويذكر جانب آخر فى سورة أخرى ، فاذا ضمت هـذه الجوانب الى بعضها أنتجت موضوعا أو قصة حول موضوع معين ·

ومع كل هـذا فقـد كان من منهج القصص القرآنى أو من طريقته فى العرض ألا يعنى بتفصيلات أو جزئيات لا يتعلق بهـا غرض دينى ، فقـد تكررت قصة نوح نحو عشر مرات ، ومـع هـذا لم يتناول أى عرض للقصـة (ما هية التنور الذى فار باذن الله ، وهـل كان الطـوفان عاما أو خاصا ؟ ومن هم الذين أقلتهم السفينة مـع نوح ؟ وكم يوما بقـوا فيها ؟ وأين هبطوا ؟ وكم بقى المـاء غامرا للأرض ·

كما أنه لم يتحـدث عن المغرقين ولا عن مجهودهم ومحاولاتهم ولا عمـا لقـوا من الألم فى أنفسهم ، ولا عما أحسوا من النـدم ، لاعراضهم عن نوح ودعـوته) ·

وأخيرا نقـول : ان هـذا البحث محاولة جـديدة لحصر الاضافات التى انفرد بها كل عرض للقصـة ، كما أنه محاولة للوقـوف على شيىء من أسرار التكرار الأخرى ، وأسرار اختلاف القصـة فى أسلوبها واضافاتها ، حتى يتضح أن هـذا التكرار ليس تكرارا آليـا أو مملا ، وانمـا هـو اعجاز لا يستطيعه بشـر ·

أما خطـة البحث فانك تراها فى تقـديم كل قصة · ولعلنى بهـذا أكون قـد أضفت للمكتبة الاسلامية كتابا جـديدا ، وأسأل الله ان ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه وأن يتجاوز عن الخطـأ والتقصير · انه سميع الدعاء ·

---

(٨) القصص القرآنى فى منطوقة ومفهومة بتصرف ·
(٩) سيكلوجية القصة فى القرآن / ٥٠٧ للدكتور التهامى نفرة ·

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٣٩٨هـ — نوفمبر ١٩٧٨م

قصة نوح
عليه السلام

رحلة الأمير

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة الأعـراف)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم
مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا
تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

(من سورة يونس)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا
بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ
عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم
مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى
مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى
خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ
إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم

بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ
أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ
إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ
مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ
سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ
زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ
مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ
إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ
وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا

عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى
وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا
لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى
وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾
تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا
قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

(من سورة هـود)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

(من سورة الأنبيـاء)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

(من سورة المؤمنـون)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

(من سورة الفرقان)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ

قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

(من سورة الشعراء)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

(من سورة العنكبوت)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

(من سورة الصافات)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾

(من سورة النجم)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي
مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ
عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿١٦﴾

(من سورة القمر)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي
إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ
إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم
مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل
لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ

أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾
قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ
إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا
كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا
فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ
نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ
تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(سورة نوح)

بين يدى القصـــة

لقـد تكررت هـذه القصة فى كثير من سور القرآن وكانت تعرض بتفصيل أحيانا ، وبايجاز أحيانا أخرى ٠

ومن المواضع التى ذكرت فيها القصة بتفصيل :

سورة الأعراف ، وسورة هـود ، وسورة « المؤمنون » ، وسورة الشعراء ، وسورة القمـر ، وسورة نوح ٠

أما المواضع التى ذكرت فيها القصة بايجاز فهى :

سورة يونس ، وسورة الأنبياء ، وسورة الفرقان ، وسورة الصافات ، وسورة الذاريات ، وسورة النجم ٠

ووجهة نظرنا فى الحكم على القصـة بالايجاز والاطناب تتمثل فى أن كل عرض للقصـة يظهر فيه حـوار بين نوح وبين قـومه ، فاننا نعتبره عرضـا مفصلا ، وكل عرض لا يظهر فيه ذلك فاننا نعتبره عرضا موجزا ٠

وانما أدخلنا سورة نوح فى جملة السور التى عرضت القصة بتفصيل ، وان لم يظهر فيها عنصر الحـوار ، لأن سورة نوح أبرزت كثيرا من مواقف نوح ومواقف القـوم ، فقامت هـذه المواقف مقام الحـوار ٠

وتتلخص هـذه القصة فى تلك المواضع التى ذكرت فيها بتفصيل فى المحـاورة التى دارت بين نوح وبين قـومه ، وفى الحـديث عن العـذاب والنجـاة

وكانت المحاورة تطـول أحيانا ، فيظهر فيها النداء الأول الذى وجهه نوح لقـومه واجابة القـوم على هـذا النداء ، ثم رد نوح ورد القـوم مرة ثانية وهكذا ٠٠٠٠ وقـد تقصر فلا يظهر فيها الا نداء واجابة ٠

وقبل المحاورة ، وقبل الحـديث عن العـذاب والنجاه ـ وهما العنصران الرئيسيان للقصة نرى افتتاحا يمكن أن يستفاد منه ٠ أن الله سبحانه أرسل نوحا الى قـومه ، وأن نوحا كانت تربطه بقـومه اخـوة النسب ٠ وسنتبع القصـة فى هـذه النقاط وفى تلك المواضع ، لنرى ما هى الاضافات التى يحملها كل عرض ؟ حتى يتضح أن هـذا التكرار اعجاز لا يستطيعه بشر ٠

أما المواضع التى ذكرت فيها القصة بايجاز ، فبعضها اشارات سريعة خاطفة تبرز نهاية القـوم وسبب نزول العـذاب بهم ، مثل سورة النجم ، والذاريات ، والفرقان ، والصافات ، ٠ وبعضها يبرز حـديثا طـويلا لنوح يدعو قـومه فيه الى الله ، ثم يبرز نهايتهم مثل سورة يونس ٠

وسنكتفى بعرض القصة فى المواضع التفصيلية ، ونترك مواضع الايجـاز لتأمل القـارىء ٠

افتتاح القصـــة :

● لقـد تحدثت سورة الأعراف عن هـذا الافتتاح فقالت « **لقـد أرسلنا نوحا الى قـومه** »

● وتحدثت سورة هـود عنه بقولها : « **ولقـد أرسلنا نوحا الى قومه** »

● وتأتى سورة المؤمنون فتقول فى افتتاح القصة « **ولقـد أرسلنا نوحا الى قـومه** »

● أما سورة الشعراء فتقول فى افتتاحها « **كذبت قوم نوح المرسلين** »

وأما سورة القمر فتقول : « **كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا** »

وأما سورة نوح فتقـول : » **انا أرسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبـل أن يأتيهم عـذاب أليم** »

ومن هـذا الاستعراض نستطيع أن نقول :

ان السور التى تناولت القصة بتفصيل يستفاد من افتتاحهـا : أن الله سبحانه أرسل نوحا الى قومه ، ويتفق الجميـع فى ذلك ، ومع هـذا نرى شـيئا من الاختلاف فى العرض ، وشيئا من الاضافات ٠

وأول ما يطالعنا أننا لا نكاد نرى اختلافا فى افتتـاح السور الثـلاث الأول ، ولكـن اذا دققنا النظر نرى أن هنـاك اختلافا بين سورة الأعراف من جهـة ، وسورة هـود ، وسورة المؤمنين من جهـة أخـرى ، ويظهر هـذا الاختلاف فى حذف الواو من افتتاح سورة الأعـراف واثباتها فى سـورتى هـود والمؤمنين ٠

ولعـل السر : أن ما ذكر قبل قصة نوح فى سورة الأعراف لا عـلاقة له بالقصة ، فقـد تحدثت السورة قبل قصة نوح عن خالقية الله سـبحانه وعن قدرته ، فقالت : « **ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى سـتة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهـار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجـوم مسخرات بامره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** » ٠ ثم قالت السورة : « **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقـالا سقناه لبـلد ميت فانزلنا به المـاء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعـلكم تذكرون ٠ والبلد الطيب يخرج نبـاته باذن ربه والذى خبث لا يخـرج الا نكـدا كذلك نصرف الآيات لقـوم يشكرون** » ٠

ومن هنا جاءت القصة بدون واو على طريق الاستئناف فى سورة الأعراف(١) .

أما سورة هود فيبدو أن القصة فيها صدرت بالواو ، لعطفها على ما ذكر فى أول السورة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به ، من الدعوة الى التوحيد ، والدعوة الى الايمان بالبعث ، فكأنه قال : لقد أرسلناك يا محمد الى قومك والى الناس كافة بذلك ، ولقد أرسلنا نوحا الى قومه بمثل ما أرسلناك به »(٢) .

وأما سورة « المؤمنون » ، فيبدو أن القصة فيها صدر بالواو ، لأنه قد تقدمها ذكر نوح عليه السلام ضمنا فى قوله تعالى : « **وعليها وعلى الفلك تحملون** » حيث أن نوحا أول من صنعه .

ونرى أن افتتاح سورة الشعراء قد أضاف وحدة الرسل وأن من كذب رسولا فقد كذب المرسلين جميعا ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى افتتاحها « **كذبت قوم نوح المرسلين** » ، وقوم نوح لم يرسل اليهم سوى نوح عليه السلام(٣) .

أما افتتاح سورة القمر فقد أضاف حديثا عن قريش من ناحية اشتراكهم مع قوم نوح فى التكذيب ، وذكرت نوحا بلفظ « **عبدنا** » ، (وفى ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة ، تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله ، وزيادة تشنيع لمكذبيه ، فان تكذيب عبد السلطان أشنع من تكذيب عبد غيره)(٤) .

---

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافى / ١٤٩ طبع بيروت .

(٢) تفسير المنار ببعض تصرف ح ١٢/ ٥٠ .

(٣) يظهر أيضا ذلك فى سورة الفرقان فى قوله سبحانه « **وقوم نوح لما كذبوا الرسل** » ولكن سورة الفرقان من السور التى عرضت القصة بايجاز واختصار .

(٤) روح المعانى .

أما افتتاح سورة نوح ، فقد أضاف بيان وظيفة نوح وانها الانذار ، ويستفاد ذلك من قوله سبحانه « **أن أنذر قومك** » ٠

وقد يقول قائل : ان هذا ليس اضافة ، فقد أعلن نوح عن وظيفته فى غير هذه السورة ؟ ويجاب بأن هذا البيان الذى جاء فى افتتاح سورة نوح ، ليس من كلام نوح ، وانما هو من كلام الله سبحانه ، أما فى غير سورة نوح ، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام ٠ وأضاف افتتاح سورة نوح أيضا : قرب وقوع العذاب ، ويفهم ذلك استنتاجا من قوله سبحانه : « **من قبل أن يأتيهم عذاب أليم** » ، فالمراد بالعذاب : الطوفان ، فى أغلب الظن ، وكأن الله سبحانه يقول له : أسرع بالانذار قبل أن تأتى النهاية فقد قرب موعدها وقبل أن يأتيهم العذاب فقد أوشك ٠

ولعل السر فى اضافة ، سورة نوح لهذه الاضافة الأخيرة أن سورة نوح تحكى ما وقع بين نوح وبين قومه بعد مضى فترة طويلة من دعوته الى الله ويؤيد ذلك الكلام الذى خاطب فيه نوح ربه ، وقدم له فيه تقريرا بما وقع واقرأ ان شئت قول الله على لسان نوح فى تلك السورة : « **قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا** » ٠٠ الى آخر السورة ٠

وقد يؤيد ذلك أيضا سورة نوح نزلت بعد كثير من السور التى حكت قصة نوح ٠ سواء وقعت تلك الحكاية باجمال أم بتفصيل ، فقد نزلت بعد سورة الأعراف ، وسورة الفرقان ، وسورة الشعراء ، وسورة يونس ، وسورة هود(٥) ٠

النداء الأول :

● تتحدث سورة الأعراف عن النداء الأول الذى وجهه نوح لقومه فتقول : « ٠٠٠٠ **فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** »

● وتقول سورة هود عن هذا النداء « ٠٠٠ **انى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم** » ٠

---

(٥) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ح ١/١٠ ، ١١ ٠

● وفى سورة المؤمنين نرى النداء على هـذه الصورة « ... **فقال يا قـوم اعبدوا الله ما لكم من اله غـيره أفلا تتقون** » .

أما سورة الشعراء فنراها تقول : « **اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسـول أمين . فاتقوا الله واطيعون . وما أسالكم عليـه من اجـر ان اجـرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله واطيعون** » .

وفى سورة نوح يقول الله « **قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبـدوا الله واتقـوه واطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جـاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** » .

ويلاحـظ أن النداء فى هـذه السور كلهـا يتفق فى أن نوحا دعا قـومه الى التوحيد ، وخوفهم من عاقبة الاصرار على الكفـر والجحود .

ولكن مع هـذا نرى اختلافا فى العرض وبعض الاضافات . ففى سورة الأعراف نرى تهديد نوح لقومه يظهر فى صورة نصح ، فقد قال المفسرون فى قوله سبحانه على لسـان نوح « **انى اخاف عليكم عـذاب يوم عظيم** » : انه انذار مستأنف جـاء تعليلا للأمر بعبادة الله وحـده(٦) .

ولقد كشف نوح فى هـذا التهـديد عن المهـدد به وهو العـذاب ، بل وكشف أيضا عن درجته وشدته ، ويظهر ذلك من وصف العـذاب بالعظم ، فاليوم لم يوصف بالعظم الا لنزول العـذاب فيه ، واذا كان اليوم قد وصف بالعظم لنزول العـذاب فيه فما بالك بالعذاب نفسه(٧) .

ونرى فى سورة هـود مثل ذلك ، ومع هـذا نرى فرقا فى وصف اليـوم حيث وصف اليوم فى سورة هود « بالألم » والمعنى : « شديد ألمـه »(٨) ، ويستفاد من ذلك :

مدى درجة العـذاب ، أما سورة الأعراف فقـد وصف بالعظيم ، والمعنى عظيم ألمـه ، عظيم هوله ويستفاد من وصف اليوم بالعظم مدى درجة العـذاب ومدى عظم الاهـوال التى كانت فيه ، فلفظ عظيم يفيـد ، على ما يبـدو لى ، أن هـذا اليـوم كان عظيم الألم ، وعظيم الأهوال(٩) .

---

(٦) انظر : تفسير المنارح ٨/٤٣٧ ، وتفسير : الكشاف ح ٢/٨٩ .
(٧) انظر روح المعانى ح ٨/١٥٠
(٨) وهـذا الألم يشـعر به من يعـذب فيه .
(٩) انظر فى تفسير لفظة عظيم تفسير المنار ح ١١/٥٢ .

وتأتى سورة المؤمنين فلا نرى تصريحا بالمخوف منه فقد قال فيها « أفلا تتقون » . والمعنى أفلا تخافون عقاب الله ان لم تؤمنوا .

أما سورة الشعراء فتجمع بين التصريح والتلميح فقد قال نوح فيها « ألا تتقون » وحدد المتقى بعد ذلك فقال « فاتقوا الله » والمراد عقابه على ما يبدو . ولكنها مع ذلك لا تكشف مدى درجة العذاب ولا تفصح عنها .

وتضيف تكرار الأمر بالتقوى وهو تهديد أيضا .

وأما سورة القمر ، فلا نرى هذا النداء اطلاقا .

وأخيرا نرى فى سورة نوح هذا التهديد فى الأمر بالتقوى ويلاحظ أن التهديد هنا جاء من أول الأمر صريحا .. حدد فيه المتقى منه ، وهو الله سبحانه .. والمراد عقابه ولكن لا يظهر فيه أيضا مدى درجة العذاب .

وقبل التهديد نرى فى أول النداء الذى صدر من نوح تغايرا فى العرض فقد صدر النداء فى سورة الأعراف بقوله « فقال » ومثله فى ذلك سورة المؤمنين وفى سورة هود نرى النداء قد صدر بقوله « انى لكم نذير » .

أما سورة الشعراء ، وسورة نوح فقد صدر النداء فيهما بقوله « قال » ويبدو أن اثبات الفاء هو الأصل ، وتقدير الكلام : « **أرسلنا نوحا الى قومه فجاء فقال** » ، فجاء فى سورة الأعراف وسورة المؤمنين على الأصل أما سورة هود ، فقد أضمر قال ، وأضمر معه الفاء ، وعلى هذا فالتقدير فيها « **فقال أنى لكم نذير مبين** » وهذا كما فى قوله « **وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم** » ، أى فيقال لهم أكفرتم ، فأضمر الفاء والقول معا .

وأما سورة الشعراء ، فلما لم يذكر فيها لفظ « أرسلنا » لم يبق هناك داع لذكر الفاء ، لأن داعى الالغاء « أرسلنا » . وأما سورة نوح فقد حذفت الفاء .

ونرى أيضا أن نوحا عليه السلام فى هذا النداء خاطب القوم وهو يدعوهم الى الله بصيغة الأمر ، ما عدا سورة هود ، فقد جاء خطابه فيها بصيغة النهى ، ويظهر ذلك من قوله : « **انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله** » ولعل السر فى ذلك أن هذا النهى قد سبقه الانذار ، والانذار يناسبه النهى ، لأن النهى عن الشىء انذار عن مضرته .

وقد يقول قائل : ان هـذا منتقض بقوله سبحانه فى سورة نوح على لسانه « **انى لكم نذير مبين** » ، فقـد أنذرهم نوح فى هـذه الآية ، ثم خاطبهم ثانية بصيغة الأمر فقال « **أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون** » .

ويجاب بأن افتتاح القصة فى سورة نوح قد حمـل هـذا الانذار فقـال الله لنـوح « **أن أنذر قومك** » ثم تكـرر هـذا الانذار على لسان نوح عليه السلام ، والانذار يحمل التخويف ، فلما تكرر التخويف ناسب أن يأتى بصيغة الأمر ، فالأمر ألين فى الخطاب من النهى ، فالنهى زجـر ، والأمر طلب .

وتضيف سورة نوح فى ندائها الأول أن نوحا بين لهم أن من جـزاء الاستجابة عـدم أخـذهم بعـذاب الاستئصال وتأخير نهايتهم الى الأجـل المضروب لهم الذى حـدده الله ، وعندما يأتى هـذا الأجل لا يؤخر ، وذلك قوله : « **ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جـاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** » ..

اجـــابة القـــوم :

● تتحـدث سورة الأعراف عن اجـابة القوم لنـوح عليه السلام ، فتقول : « **قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين** » .

معنى الاجـــابة :

قال السادة والاشراف انا لنعتقد أنك بدعوتنا « **الى عبادة الله وحـده وترك آلهتنا ، فى انحراف بين عن طريق الحق والرشاد** »(١٠) .

(وهـكذا حال الفجار يرون الأبرار فى ضلالة كما قال سبحانه : « **واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون** » ، وكما قال . « **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هـذا افك قـديم** » ، الى غـير ذلك من الآيات)(١٣) .

● وتتحدث سورة هـود عن هـذه الاجـابة فتقول : « **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنـا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** » .

---

(١٠) تفسير سورة الأعراف ـ ١٠٠ لأستاذنا الدكتور/أحمد الكومى ، وانظـر التفسير الكبير للفخر الرازى ح ١٤/١٥ .

المعنى :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه »

فقال الاشراف الذين كفروا من قومه ، « ووصف الملأ بالكفر مع اشتراك الكل فيه ، للايذان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه ، وليس المراد بذلك الا ذمهم ، دون التمييز عن اشراف آخرين آمنوا به عليه السلام ، اذ لم يؤمن به أحد من أشرافهم ، كما يفصح عنه قولهم : ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا »(١٤) ٠

« ما نراك الا بشرا مثلنا »

ما نراك الا من جنسنا ، فلا مزية لك تجعلك نبيا ٠

« وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » ٠٠

ما نراك اتبعك الا أخساؤنا وفقراؤنا ، (ويعنون بهم من دون طبقة الأشراف والأكابر ، كالزراع والصناع والعمال)(١٥) ٠

« بادى الرأى »

اتبعوك بلا تفكير وبلا روية ، قبل أن يقلبوا الرأى وينظروا فى العواقب ، آمنوا فى مبتدأ الرأى قبل أن يختمر ٠

« وما نرى لكم علينا من فضل »

وما نرى لك ولأتباعك أدنى فضل تمتازون به علينا ٠

« بل نظنكم كاذبين »

نحن نرجح جانب الكذب فيكم على جانب الصدق ، وهذا الحكم عام يشمل التابع والمتبوع ، التابع فى التصديق ، والمتبوع فى دعوى الرسالة ٠

---

(١١) آية ٣٢ من سورة المطففين ٠
(١٢) آية ١١ من سورة الأحقاف ٠
(١٣) تفسير ابن كثير ح ٢/٢٢٣ بتصرف قليل ٠
(١٤) روح المعانى ٠
(١٥) تفسير المنار ح ١٢/٥٣

● وتتحدث سورة المؤمنون عن هذه الاجابة فتقول :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين • ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » •

« ما هذا الا بشر مثلكم »

أنكروا رسالة نوح عليه السلام بحجة البشرية ، فالبشرية تنافى الرسالة فى زعمهم •

« يريد أن يتفضل عليكم » •

يريد من وراء دعواه أن يترأس ويعلو ، كما قال سبحانه : « **وتكون لكما الكبرياء فى الأرض** » •

« ولو شاء الله لأنزل ملائكة » •

ولو شاء الله ارسال رسول لأرسل ملائكة •

« ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين » •

ما سمعنا بمثل هذا الكلام الذى يدعو اليه فى آبائنا السابقين ، ويصح أن يكون المشار اليه : نوح ، ويكون المعنى : ما سمعنا بمثل هذا الذى يدعى وهو بشر أنه رسول الله ، (وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ، ورضوا للالهية بحجر)[١٧] •

« ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » •

ما هو الا رجل مجنون ، فانتظروا حتى ينزل به الموت ويريحنا منه •

● وتأتى سورة الشعراء فنرى اجابة القوم فيها على هذه الصورة :

« قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون » •

والمعنى : كيف نؤمن لك ، وكل أتباعك من الطبقة الدنيا ؟ ان ذلك لن يكون •

● أما سورة القمر فتقول فى الاجابة : « **وقالوا مجنون وازدجر** » ٠
والمعنى : وصفوه بالجنون ، وزجروه بالتهديد حتى يكف عن دعوته ، وقد فسر هذا الزجر قوله تعالى فى سورة الشعراء : « **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** » ٠

مما تقدم نستطيع أن نقول :

● أن اجابة سورة الأعراف أضافت : وصف القوم لنوح عليه السلام بالضلال بل بالاستقرار والتمكن فيه ، ويدل على هذه المبالغة : أن القوم قد عبروا عن حكمهم هذا بالرؤية ٠٠ التى بمعنى الاعتقاد ٠

ويستفاد من هذا الاتهام رفضهم للتصديق به ٠

● وتضيف اجابة سورة هود : اتهام القوم لأتباع نوح عليه السلام بالكذب ، ويظهر ذلك من قولهم : « **بل نظنكم كاذبين** » ، وانما قلنا : ان هذه اضافة ، لأننا نرى فى كثير من السور وصف القوم لنوح بالكذب ، وفى سورة القمر نرى التكذيب يتكرر ، يقول سبحانه : « **كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا** » الى غير ذلك من الآيات المتناثرة فى كثير من السور التى تحدثت عن قصة نوح ، ولا يستفاد من أى سورة الا وصف نوح بالكذب ، أما سورة هود ، فاننا نرى فيها : وصف القوم له ولأتباعه بهذه الصفة ، ومن هنا قلنا : أنها أضافت : وصف القوم أو اتهامهم لأتباعه بالكذب ، وتركنا ما اشتركت فيه مع غيرها ٠

ويلاحظ أن القوم بينوا أن اتهامهم هذا ، صدر عن ظن لا عن اعتقاد ، ويبدو أنهم ما كانوا يعتقدون كذب نوح ولا كذب أتباعه ٠

● واذا كانت اجابة سورة هود تتفق مع اجابة سورة المؤمنين ، من ناحية أن كلا منهما قد كشفت ، أن القوم قد أنكروا الرسالة بحجة البشرية ، فقالت سورة هود : « **ما نراك الا بشرا مثلنا** » ، وقالت سورة المؤمنين : « **ما هذا الا بشر مثلكم** » ، ويفهم استنتاجا من ذلك أن الرسول لابد وأن يكون من جنس آخر ، فاننا نرى سورة المؤمنين قد حددت هذا الجنس الآخر عندما قالت : « **ولو شاء الله لأنزل ملائكة** » ٠

ومن هنا فان سورة المؤمنون قد أضافت هذا التحديد ، وأضافت ما يمكن أن يفهم لا على سبيل التحديد استنتاجا مما تقدمه من سورة المؤمنين نفسها ، أو من سورة هود ٠

● وتضيف سورة المؤمنون : علة ادعاء نوح للرسالة ، ويظهر ذلك من قول قوم نوح : « **يريد أن يتفضل عليكم** » ، فقد علمت أن المعنى :

يريد من وراء دعوته أن يترأس ويعلو كما قال سبحانه على لسان فرعون وقومه لموسى وهارون : « **قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين** » ٠

وتضيف أن القوم قد حكموا العادة أيضا في رفضهم للرسالة فقالوا : « **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** » ، فما أغبى هذه العقول ، وما أضيق هذا الأفق ٠

● واذا كانت اجابة سورة هود تتفق مع اجابة سورة الشعراء ، من ناحية أن كلا من الاجابتين قد كشف أن من أسباب رفض القوم لرسالة نوح عليه السلام ، لتباع الاراذل له مع اختلاف في العرض ، فقد قالت سورة هود : « **وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا** » ، وقالت سورة الشعراء : « **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** » ، ٠٠ فان سورة هود قد أضافت أن الأراذل لا فضل لهم ، ولا مزية ترفع خسيستهم ، ويظهر ذلك من اجابتهم في هذه السورة بقولهم : « **وما نرى لكم علينا من فضل** » ٠

وقد يقول قائل : ان لفظتي : أرذل ، وأراذل[١٨] ، يفهم منهما أن الأتباع أحط شأنا وأقل مكانة من أول وهلة ، أفلا يدل هذا على أنه لا فضل لهم ؟ ٠

ونقول ان ما يفهم من اللفظتين صحيح ، ولكن قد يكون في الأراذل مزية[١٩] تجعل الأشراف لا يستنكفون من أن يتساووا معهم في اتباع نوح ، ويبدو أن هذا : هو ما عنوه بقولهم : « **وما نرى لكم علينا من فضل** » فدلالة اللفظتين على أن الأتباع لا فضل لهم ـ في أغلب الظن ـ ليست مسلمة ٠

وتضيف اجابة سورة هود فوق اتفاقها مع سورة الشعراء فيما تقدم ، كيفية ايمان الأراذل بنوح عليه السلام ، ويفهم ذلك من قولهم في سورة هود : « **بادي الرأي** » ، فقد تقدم أن المعنى : اتبعوك بلا تفكير وبلا روية ، قبل أن يقلبوا الرأى وينظروا في العواقب ، آمنوا في مبتدأ الرأى قبل أن يختمر ٠

---

(١٨) أراذل جمع أرذل ، وقيل غير هذا ، والأرذل : الدون الخسيس ، انظر مختار الصحاح ، وتفسير المنار ٠

(١٩) مثل قرة العصبية ، أو كثرتهم غالبة ، أو زيادة ذكاء ٠

● ومن الاختلاف فى العرض الذى يظهر فى الآيات السابقة ، لفظة « قال » فقد صدرت بالفاء فى سورتى هود والمؤمنين ، وخلت منها فى سورتى الأعراف والشعراء ...

ويبين « الكرمانى » أن سر ذلك ، هو أن جواب القوم فى سورة الأعراف لا يليق بالجواب ، أما فى سورتى هود والمؤمنين ، فقد أجابوه بما زعموا أنه جواب .

وسكت « الكرمانى » عن سورة الشعراء .

وفى نظرى ـ والله أعلم ـ أن كلام « الكرمانى » منتقض بقوله سبحانه على لسان القوم فى سورة الشعراء : « **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** » ، فهذه اجابة فى نظر القوم ، وفى نظره(٢٠) ، ومع هذا خلت من العطف .

ويبدو أن الأصل أن تصدر الاجابة على طريق الاستئناف ، وذلك ، لأنها محاورة بين المرسل والمرسل اليهم ، وهذا يقتضى الاستئناف ، ... ومن هنا جاءت سورة الأعراف وسورة الشعراء خالية من العطف(٢١) .

ولعل السر فى تصدير الاجابة فى سورة المؤمنين بحرف عطف : أن المحاورة فيها ، لم تدر بين نوح وبين قومه ، وانما دارت بين الأشراف بعضهم وبعض ، وهذا يقتضى الاستئناف .

ولعل السر فى تصدير الاجابة فى سورة المؤمنين بحرف الفاء بالذات ، الدلالة على مبادرة القوم ومسارعتهم الى هذا الكلام بعد أن انتهى نوح من كلامه ..

ويبدو أن هذا أيضا هو سر العطف بالفاء فى سورة هود .

وقد ذكر صاحب المنار ذلك ، فبين سر العطف بالفاء فى سورتى هود والمؤمنين ، ولكنه لم يشر الى سر العطف مطلقا فى سورة المؤمنين ، واليك بعض عباراته ، يقول :

---

(٢٠) على عكس اجابة سورة الاعراف ، فهى اجابة فى نظر القوم ، وليست اجابة فى نظره ، لأنها على ما يبدو لا تحمل الا السباب .

(٢١) يبدو أن نوحا عليه السلام حضر هذه المحاورة وفهم موقف القوم منها ، وقد تكون هذه المحاورة دارت بين الأشراف والعامة ، لصد الناس عن نوح ، وحضرها أيضا نوح .

« واقترن جوابهم هنا(٢٣) بالفاء ، لأنه هو الأصل فى الرد السريع ، ومثله فى سورة « المؤمنون » ، وتقدم فى سورة الأعراف مفصولا وهو : « **قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين** » ، لأنه هو الأصل فى باب المراجعة ، يقال ٠٠ قال ٠٠٠ ويسمى الاستئناف البيانى ، أما الموصول بالفاء فقد أريد به المبادرة الى الرد على نوح بما يبطل دعوته بزعمهم » ، ثم يختم صاحب المنار كلامه بقوله : (فيا لله العجب من هذه الدقة فى بلاغة القرآن)(٢٣) ٠

اجابة نوح عليه السلام :

تتحدث سورة الأعراف عن اجابة نوح عليه السلام فتقول : « **قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ٠ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون** » ٠

معنى الاجابة :

« قال يا قوم ليس بى ضلالة »

دافع نوح عن نفسه ، فنفى عنها تهمة الضلال على أبلغ وجه ، فقال : ليس بى أدنى شىء من الضلال ، فالتاء فى لفظة « ضلالة » ، للمرة الواحدة ، والوحدة فيها تنصرف الى أقل القليل من الضلال(٢٤) ٠

« ولكنى رسول من رب العالمين »

قدم نوح نفسه بهذه الجملة التى تفصح عن بعده عن الضلال بعدا تاما ، فمن كان رسولا لا يمكن أن يكون به أدنى ضلال ٠

« أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم » ٠

هذا اعلان عن وظيفته ، فوظيفته التبليغ ، والنصح ، والفرق بين التبليغ والنصح أن التبليغ هو : التعريف بجميع أوامر الله ونواهيه ، أما النصح فهو : الدعوة الى ما يدعو اليه بصدق واخلاص ، يقول القرطبى : النصيحة هى : اخلاص النية من الشوائب التى تفسدها ٠

---

(٢٢) قال صاحب المنار ذلك وهو يفسر قوله سبحانه : « **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** » ٠

(٢٣) تفسير المنار ح ٥٢/١٢ ، وانظر درة التنزيل /١٥١ ، وأسرار التكرار/٧٣ ٠

(٢٤) انظر روح المعانى ح ١٥٠/٨ ٠

(٢٥) انظر القرطبى فى تفسير الآية ٠

« وأعلم من الله ما لا تعلمـون » ..

يبـدو أن هـذه الجملة حالية ، وعليـه فالمعنى : أبلغكم ما أرسلنى الله تعالى به اليكم ، وانصح لكم فيما أدعـوكم اليه ، (وأنا فى هـذا وذاك على علم من الله أوحاه الى لا تعلمون منه شيئا)(٢٦) .

« أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعـلكم ترحمون » ..

تلمس من خـلال هـذا التعبير القـرآنى أن قـوم نوح تعجبـوا من اختصاص نوح بالرسالة ، فأخـذ نوح فى ازالة هـذا العجب من نفوسـهم ، فبين لهـم أن ما تعجبوا منه ليس موضـع عجب ، فمن رحمـة الله أن يرسل الرسـل ، ليحـذروا الناس عاقبـة الكفـر ، حتى يتقوا بهـذا الانذار سـخط الله فيؤمنوا ، وعنـد ذاك يتعرضون لنفحات الله ورحماته .

● وفى سورة هـود يجيب نوح القـوم بقوله : **« قال يا قـوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسالكم عليه مالا أن أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا قول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمـن الظالمين »** .

معنى الاجـــابة :

« قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده » .

بدأ نوح اجابته بهـذا النداء ، ليبين لهم أنه ليس غريبـا عنهم حتى يطمئنوا ويؤمنـوا ، ثم لفت أنظارهم الى أنه وان كان بشرا ، فليس مثلهم ، ما دعـاء المثلية مرفوض ، فهو بشر أعطاه الله البرهان والدليـل على صـدق دعـواه ، وأعطاه النبوة ، .. وسميت النبوة رحمة ، لأنها سبب الرحمة .

---

(٢٦) تفسير المنار ح ٨/٤٣٨ ، وقد ذهب الى أن الجملة حالية .

(٢٧) الضمير يعود الى البينة ، ويستلزم من خفاء البينة خفاء النبوة ، انظـر : روح المعانى ح ١٢/٣٩ ، والبحر المحيط ح ٥/٢١٦ .

« فعميت عليكم »

خفيت عليكم البينة(٢٧) فلم تفهموها ولم تهتدوا بها (وبهذا يحصل الذم لهم حيث أنه أتى بالمعجزة الجلية الواضحة ، وانها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم)(٢٨) ٠

« انلزمكموها وأنتم لها كارهون » ٠

أنجبركم على التصديق بها فى حال كراهيتكم اياها ، لا نفعل ذلك ، فان الاسلام لا يصح الا باذعان وهذا أول نص يدل على أنه لا يصح أن يكون الايمان بالاكراه(٢٩) ٠

« وياقوم لا أسألكم عليه مالا أن أجرى الا على الله » ٠

بين نوح أنه لا يبتغى المال من وراء دعوته ، فأجره على الله ، ويبدو أن نوحا يحاول بهذا الكلام أن ينفى ما ألم بنفوسهم من أنه يهدف الى المال من وراء دعوته ، يقول صاحب المنار :

« فهذه الجملة دفع لشبهة أخرى على نبوة نوح لابد أن تكون حاكت فى صدور قومه ، وقد يكون بعضهم تكلم بها »(٣٠) ٠

« وما أنا بطارد الذين آمنوا » ٠

(ليس من شأنى ولا بالذى يقع منى طرد الذين آمنوا من قربى وجوارى لاحتقاركم لهم ووصفكم اياهم بالأراذل جهلا منكم)(٣١) ٠

« انهم ملاقوا ربهم » ٠

انهم يلاقون ربهم فيتولى حسابهم ، فهو وحده الذى يعلم هل ايمانهم ايمان صحيح ، أو ايمان مدخول مبنى على التسرع وعدم النظر(٣٢) ٠

---

(٢٨) القرطبى فى تفسير الآية ٠ بتصرف ٠
(٢٩) انظر تفسير المنار ح ١٢/٥٥ ٠
(٣٠) تفسير المنار ح ١٢/٥٦ ٠
(٣٠) نفس المصدر ، ويبدو أن كلام نوح هذا أراد به أن يرد على قولهم « **وما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى** » ، لأن لازم هذا القول أنهم يريدون طرد هؤلاء الفقراء ٠
(٣٢) انظر الكشاف ح ٢/٣٠٥ ، وقوله : « **انهم ملاقو ربهم** » ، تعليل مستأنف لنفى الطرد ٠

« ولكنى أراكم قـوما تجهلون » ٠

أراكم قـوما تجهلون الميزان الذى يوزن به الرجال ، فتظنون ٢رفعة والعلم فى الغنى والجـاه ٠

« وياقـوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون » ٠

لا أحـد ينصرنى من الله ـ أى يمنع عنى ما أستحقه من عقاب ـ ان طردتهم ، أفـلا تفهمون ذلك ٠

« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك » ٠

يبين نوح عليه السلام أنه لم يدع لنفسه أكثر مما لها ، فهو لم يدع أنه يمـلك خـزائن الله ، ولم يدع أنه يعـلم الغيب ، ولم يدع أنه من جنس الملائكـة(٣٣) ٠

« ولا أقـول للذين تزدرى(٣٤) أعينكم لن يؤيتهم الله خيرا » ٠

لا أقـول للذين تنظرون اليهم نظرة احتقار واستهزاء لن يؤتيهم الله ثوابا على ايمانهم ٠

« الله أعلم بمـا فى أنفسهم » ٠

الله يعلم ما أضمروه وأسروه من ايمان واخلاص(٣٥) ٠

« انى اذا لمن الظـالمين » ٠

انى اذا قلت شيئا من ذلك(٣٦) أكون من جملة الظالمين ٠

---

(٣٣) يبـدو أن نوحا بهذا الكلام ، أراد أن يرد على قولهم : « وما نرى لكم علينا من فضـل » فقـد بين بكلامه هذا ، أنه لم يدع لنفسه فضلا حتى يقال له ذلك ٠

(٣٤) اسناد الأزدراء الى العين مجاز ، للتنبيه على أنهم استحقروهم بادى الرؤية ، وبما عاينوا من رثاثة حالهم دون تأمل وتدبر فى كما لاتهم ، انظـر روح المعانى ٠

(٣٥) يبدو أن نوحا أراد بهذه الجملة ٠ أن يبين لهم أن هؤلاء اذا لم يكن لهم فضل عندهم ، فان لهم فضلا عند الله ٠

(٣٦) مما نفاه من أول الآية ٠

وتأتى سورة الشعراء فنراها تذكر اجابة نوح على هـذه الصورة : « **قال وما علمى بمـا كانوا يعملون ، ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون • وما أنا بطارد المؤمنين • ان أنا الا نذير مبين** » •

المعنى :

« **قال وما علمى بمـا كانوا يعمـلون ، ان حسـابهم الا على ربى لـو تشـعرون** » •

يبـدو أن نوحا عليه السلام فهم من قولهم : « قالوا أنؤمن لك واتبعـك الأرذلون » أنهم يحاولون تشويه ايمان هـؤلاء الأراذل ، الناتجـة عن هـذا الايمان ، وانهم لم يؤمنوا به الا طلبـا للعزة والسيادة ، فبين لهم نوح عليـه السلام أنه لا يعلم الا الظاهر ، أما الباطن الذى ألجأهم الى الايمان فلا علم له به ، فالله وحـده هـو الذى يعلمه ، وهـو الذى يتولى حسابهم عليـه ، ولو تشعرون ذلك لمـا عتبوهم(٣٧) •

« **وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين** » •

ليس من شأنى ولا بالذى يقع منى طرد هؤلاء ، فما أنا الا نذير مبين •

ونرجىء الحـديث عن اجابة نوح فى سورة القمر ، وسورة المؤمنين حتى نأتى الى اجابته الثانية التى جاءت ردا على الاجابة الثانية للقـوم فى سورتى الشعراء ، وهـود ، فاننا سنرى أن اجابته هذه فى هاتين السورتين تتفق مع اجابته فى سورتى القمر والمؤمنين •

كذلك نرجىء الحـديث عن كل ما تبقى فى سـورة نوح حتى ننتهى من القصة كلها فى كل السور ، فاننا لا نرى محاورة بمعنى المحاورة •

وقفـة مـع الاجابة :

ان الحـديث عن كون نوح عليه السلام رسولا يبلغ عن الله ما أمره به ، لم تنفرد به سورة واحـدة ، بل هـو أمر مشترك فى أغلب السور التى عرضت قصـة نوح بتفصيل ، مع اختلاف فى التعبير ، فتارة يقول نوح : « **انى لكم نذير مبين** » ، وتارة يقول : « **انى لكم رسول أمين** » ، وتارة ثالثة يقـول : « **وآتانى رحمة من عنده** » ، وتارة رابعة يقول : « **ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى** » •

---

(٣٧) جواب لو محذوف تقديره : ما ذكر • انظر القرطبى •

ويلاحظ أن سورة الأعراف هى السورة الوحيدة التى أعلن نوح فيها أن من موضوع رسالته : « التبليغ » ، ومن هنا فاننا نستطيع أن نقول ان سورة الأعراف قد انفردت بهذا التصريح وحدها ، وليس ذلك اضافة اضافتها سورة الأعراف ، فاعلان نوح عن رسالته ، أو عن كونه نذيرا ، يقتضى أن الله أمره بالتبليغ ٠

ولعل السر فى ذلك أن سورة الأعراف تحكى بتفصيل نسبى أول لقاء دار بين نوح وبين قومه ، فناسب ذلك أن يكشف نوح عن وظيفته بصريح العبارة ، وقد يؤيد هذا أن ترتيب النزول قد وضع سورة الأعراف فى أول السور التى حكت قصة نوح بتفصيل ٠

وقد يقول قائل : لماذا جاء التعبير عن النصح فى قصة نوح فى سورة الأعراف بالفعل ، وهو : « أنصح » ، وجاء فى قصة هود فى نفس السورة بالاسم ، فقال هود فى اجابته فيها : « وأنا لكم ناصح » ؟

ويجاب بأن الله سبحانه حكى معنى كلام نوح ، ومعنى كلام هود ، وليس لقائل أن يقول : اذا كان القولان صحيحين فهلا وضع أحدهما مكان الآخر ؟

وهذه اجابة تفويض وتسليم ،

وهناك اجابة أخرى تكشف شيئا من سر هذا التغاير ، تقول الاجابة :

ان الضلال من صفات الافعال التى ينتقل الانسان عنها الى أضدادها فى الزمن القصير مرارا كثيرة ، أما السفاهة فهى من صفات النفس التى لا ينتقل الانسان عنها الى أضدادها فى سرعة وسهوله ، ومن هنا ٠٠٠ عندما رمى نوح بفعل الضلال نفى عنه هذه التهمة بفعل محمود ، وعندما رمى هود بالسفاهة ، وهى صفة لا تتغير بسهولة ، نفاها بصفات ثابته(١) ٠

وتضيف اجابة سورة الأعراف : توبيخ نوح لقومه على تعجبهم من اختصاصه بالرسالة ، ويظهر ذلك من قوله : « **أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون** » ، ونوح بهذا يحاول أن يزيل هذا التعجب من نفوسهم ٠

●وتضيف اجابة سورة هود الحديث عن المعجزة ، وان القوم لم يفهموها ولم يهتدوا وايها ، ويظهر ذلك من قول نوح لهم « ٠٠ **يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى** » ، فالبينة هى : المعجزة التى أعطاها الله اياه دليلا على صدقه ٠

---

(١) انظر درة التنزيل / ١٥٣ ٠

ومن هنا نفهم : أن نوحا كانت له معجزة ، لكن ما هى ؟ لم يفصح النص عنها ، ولا يوجد فى أى سورة الحديث عن المعجزة ، فضلا عن تحديدها .

وتضيف : أن التصديق لا يكون طريقه الجبر ، ويظر ذلك من قوله : « **فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** » فالمعنى : أنجبركم على التصديق بها فى حال كراهيتكم لها انكارا وجحودا واستكبارا ، لا نفعل ذلك ، فان الاسلام لا يصح الا باذعان ، وقد تقدم ذلك ، وتقدمت الاشارة الى أن هذا أول نص فى دين الله يفيد أن التصديق لا يكون عن طريق الجبر والاكراه .

وتضيف أن نوحا أفصح فى كلامه لقومه عن أنه لا يدعى لنفسه فضلا ليس له ، فهو لم يدع أنه يملك خزائن الله ، ولم يدع أنه يعلم الغيب ، ولم يدع أنه ملك ، وهو بهذا يبين أنه لا علاقة بين النبوة وبين واحد من هذه الأمور .

وتضيف أن نوحا بين فى اجابته أن الأراذل لهم فضل عند الله ، ويفهم ذلك استنتاجا من قوله لهم : « **لن يؤتيهم الله خيرا** » ، ومن قوله : « **الله أعلم بما فى أنفسهم** » : فان هذا الكلام جاء فى معرض الدفاع عنهم بعد أن دافع عن نفسه .

● واذا كانت سورة هود تتفق مع سورة الشعراء ، من ناحية اظهار موقف نوح من الأراذل ، وأنه ليس من شأنه ولا بالذى يقع منه طردهم ، فحسابهم على الله ، فان سورة هود أضافت فوق هذا استحالة طردهم ، فقد أعلن نوح فيها أنه ان طردهم فانه يعرض نفسه لعقاب الله ، ولا أحد يستطيع نصره ، يقول نوح فى ذلك : « **ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون** » .

● واذا كانت سورة هود تتفق مع سورة الشعراء ، من ناحية أن كلا منهما قد أفصحت عن تشويه ايمان الأراذل ، فان سورة هود قد نصت على هذا التشويه بصريح العبارة ، ويظهر ذلك من قول قوم نوح لنوح فيها « **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى** » ، أما سورة الشعراء فلم تصرح بهذا التشويه ، وانما فهم ذلك استنتاجا من قولهم : « **قالوا انؤمن لك واتبعك الأرذلون** » ، والذى يؤيد هذا الاستنتاج قول نوح فى اجابته فى سورة الشعراء ، « **قال وما علمى بما كانوا يعملون** » ، فقد قال « البيضاوى » بعد أن فسر قولهم « **قالوا انؤمن لك واتبعك الأرذلون** » (واشاروا بذلك الى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة ، وانما هو لتوقع مال ورفعة) ، ثم أيد استنتاج

هـذه الإشارة بقـوله : (فلذلك قال نوح فى اجابته « وما علمى بمـا كانوا يعملون » أى : وما علمى بأنهم عملوه اخلاصا ، أو طمعا فى طعمة ، وما على الا اعتبار الظاهر)(٢) ٠

● واذا كانت سورة هـود تتفق مـع سورة الشعراء ، من ناحية أن كلا منهما قـد أظهرت أن نوحا عليه السلام ، لا يطلب أجرا على دعوته ، وقـد أظهرت سورة الشعراء ذلك فى نداء نوح الأول ، وأظهرت سورة هـود ذلك فى اجابته ، أو فى ندائه الثانى ، فاننا نرى اختلافا فى التعبير يتناسـب مع سياق كل سورة ، ففى سورة هـود يقـول نوح : « **ويا قـوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله** » ، وفى سورة الشعراء يقول نوح : « **وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين** » ، وأظهر ما يطالعنا من اختلاف ، هـو التعبير عن المسئول عنه ، فقد جعله نوح المـال فى سورة هـود ، وجعله فى سورة الشعراء هـو الأجر ٠

ويبـدو أن السر فى ذلك أن اجابة نوح فى سورة هـود ، وقـع فيها لفظ « خزائن » فى قـوله : « **ولا أقـــول لكم عنـــدى خزائن الله** » ، ولفظ المـال بالخزائن أليق(٣) ٠

ومن عجيب الاسرار : أن قصة ابراهيم ، وموسى عليهما السلام قـد خلت من هـذا القول ، وقـد ذكر سر ذلك صاحب « أسرار التكرار » ، فقال : (وليس فى قصة موسى عليه السلام ، لانه رباه فرعـون حيث قال : « ألم نربك فينا وليـدا » ، ولا فى قصة ابراهيم عليه السلام ، لان أباه من المخاطبين حيث يقول : « اذ قال لابيه وقـومه » ، وهو رباه ، واستحيا موسى وابراهيم أن يقولا : « وما أسألكم عليه من أجر » ، وان كانا منزهين من طلب الأجرة)(٤) ٠

الاجابة الثانية لقـوم نوح :

تنتهى المحاورة فى سورة الأعراف ، وينتهى كلام القـوم عند قـولهم : « ٠٠٠ انا لنراك فى ضلال مبين » ، ولكنها لا تنتهى فى سورة هـود ، ولا فى سورة الشعراء ، ٠٠٠ فنرى القـوم فى سورة هـود يجيبون نوحا ـ بعـد أن دفـع شبههم التى أثاروها ، وبعـد أن دافـع عن نفسه وعن أتباعه ـ بقولهم : « **قالوا يا نوح قـد جادلتنا فأكثرت جـدالنا فأتنا بمـا تعـدنا ان كنت من الصـادقين** » ، ٠٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ح ١٢٩/٢ ٠
(٣) انظر أسرار التكرار / ٩٦ ٠
(٤) أسرار التكرار / ١٤٣ ٠

والمعنى : يا نوح قد خاصمتنا وحاججتنا ، فأكثرت من الخصومة والجدال ، ويدل قولهم هذا على أن نوحا غلبهم وحجهم ، وأنهم أصبحوا لا يجدون جوابا ، ومن هنا قالوا هذا القول ، ثم أرادوا أن يغلقوا باب المجادلة والمحاجة ، فطلبوا من نوح أن ينزل عليهم العذاب الذى يخوفهم به فقالوا : « **فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » .

وفى سورة الشعراء يجيب القوم نوحا بقولهم : « **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** » .

والمعنى : لئن لم تقلع عن دعوتك ايانا لنقتلنك رميا بالحجارة .

ويلاحظ أن السورتين تتفق اجابتهما فى أن كلا الاجابتين ، قد بين أن القوم سئموا من المحاورة والمجادلة ، ويفهم ذلك من سورة هود صراحة ، فقد قال القوم فيها : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » ، أما سورة الشعراء . فيفهم ذلك منها ضمنا .

ومع هذا الاتفاق نرى نتيجة هذه السآمة تختلف فى كل سورة ، وتضيف بهذا الاختلاف جديدا ، فتبرز سورة هود النتيجة فى صورة طلب القوم من نوح انزال العذاب الذى توعدهم به ، ويظهر ذلك من قولهم : « **فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » ، وتبرز سورة الشعراء النتيجة فى صورة تهديد لنوح بالرجم ان لم يكف عن دعوته ، ويظهر ذلك من قولهم « **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** » .

رد نوح :

● تتحدث سورة هود عن رد نوح على القوم فتقول : « قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون » .

معنى الاجابة :

« **قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين** » .

بين نوح عليه السلام لقومه أن نزول العذاب ليس فى قدرته ، فمرجعه الى الله وحده ، فهو الذى يقرر مصيرهم ، فيقرر هل يستحقون العقوبة ، أولا ؟ وهل يستحقونها عاجلا ، أو آجلا ، وانه سبحانه اذا أراد بهم أمرا فلن يفوتوه ، أو لن يغلبوه بكثرتهم(٥) .

---

(٥) انظر روح المعانى ح ١٢/ ٤٥ ، والقرطبى ح ٩/ ٢٩ ، والمنار ح ١٢/ ٥٩

« **ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هـو ربكم واليه ترجعـون** » ٠

ان نصحى لن ينفعكم ولن يجـدى معكم عندما أريده أنا ، ما دام الله يريد غـواءكم ، هـو مالككم ومدبر أموركم ، واليه تعـودون فيجازيكم على أعمـــالكم ٠

● وتتحـدث سورة الشعراء عن هـذا الرد فتقول : « **قال رب ان قـومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحاو نجنى ومن معى من المؤمنين** » ٠

والمعنى أن نوحا عندما رأى من القـوم اصرارا على التكذيب دعا ربه أن يحكم بينه وبينهم ، والمراد بهـذا الدعاء انزال العقوبة عليهم ، ويؤيد ذلك أنه عقب هـذا الدعاء بطلبه النجاة له ولاتباعه ، فلو لم يكن المراد انزال العقوبة ، لما كان لهـذا التعقيب معنى(٦) ٠

● وتأتى اجابة نوح فى سورة المؤمنين التى أرجأنا الحـديث عنها ، لانها تتصل باجابته الماضية فى سورة هـود ، وسورة الشعراء ، من ناحية أنها تتعلق بالعذاب مثلهما فنراها تقول : « **قال رب انصرنى بما كذبون** » ٠

والمعنى : أن نوحا يطلب من الله أن ينصره عليهم ، بسبب تكذيبهم ، ويبدو أن المراد من هـذا الدعاء ، انزال العقوبة بهم ٠

● وتأتى اجابة سورة القمر التى أرجانا الحـديث عنها ، لنفس السبب ، فنرى نوحا يقول كما حكى الله عنه : « **فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر** » ٠

معنى الاجـابة :

دعا نوح ربه قائلا : انى قـد غلبنى قـومى ، فلم يسمعوا منى ، ولم يأبهـوا بنصحى ، فانتقم لى ، ويبدو أيضا أن المراد اهلاكهم ٠

من هـذا العرض نستطيع أن نقول :

ان اجابة نوح فى سورة الشعراء ، وسورة المؤمنين ، وسورة القمر ، تفيد أن نوحا دعا الله أن ينزل العـذاب على قومه ، نرى ذلك واضحا فى كل سـورة ، ولكن مع هـذا ، فاننا نرى اختـلافا ، واضافات ، فنرى سـورة الشعراء ، وسورة المؤمنين ، تكشف كل واحـدة منهما السبب الذى من أجله

---

(٦) انظر الفخر الرازى ح ٢٤/١٥٤ ٠

دعا نوح على قـومه ، فتقول سورة المؤمنين على لسان نوح « **رب انصرنى بمـا كذبون** » فالمعنى : رب انصرنى بسبب تكـذيبكهم ، والمـراد بقـوله « انصرنى » ، انزال العقوبة بهم ٠

ويقول نوح عليه السلام فى سورة الشعراء : « رب ان قـومى كذبون » ، فهـذا القول الصادر من نوح ، يظهر السبب الذى من أجله يدعـو عليهم ، قبل أن يدعـو عليهم بقـوله بعـد ذلك « فافتح بينى وبينهم فتحا » ، وفى سورة القمر لا يظهر فيها ذلك السبب فيقول نوح فيها : « انى مغلوب فانتصر » ، والمعنى : غلبنى قـومى فلم يسمعوا منى ولم يأبهوا بنصحى ، ويقول « الفخر الرازى » المعنى : انى مغلوب بحكم البشرية لم أعـد أتحمل ، ثم بين أن التحمل يبقى فى نفس النبى ما دام الايمان محتملا ، فاذا لم يبق هـذا الاحتمال ، ضاع وتبدد احتمال النفس ٠

● أما اجابة سورة هـود ، فنراها على عكس هـذه الاجابات الثلاث ، حيث نرى فيها أن القـوم هم الذين طلبوا العـذاب فقالوا : « **فأتنا بمـا تعـدنا ان كنت من الصادقين** » ، وأن نوحا فوض الأمر فى ذلك الى الله فقال : « ٠٠ **انما يأتيكم به الله ان شاء** » ٠

ويبدو أن نوحا فى سورة هـود لم يكن يئس من ايمانهم ، وانما كان يتوقع منهم الايمان ، ومن هنا لم يطلب العـذاب ، بل طلبه قـومه ، انهـاء للمناقشة ، واغلاقا لبابها ، وعندما طلب القـوم ذلك ، فوض الأمر الى الله ٠

الحديث عن السفينة وكيف صنعها نوح ، وعن العذاب والنجاة :

ان الحديث عن الفلك وكيف صنعه نوح ؟ لا نراه الا فى سورة هـود ، وسورة « المؤمنون » ٠ ففى سورة هـود يقـول الله سبحانه : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ٠ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قـومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٠ فسوف تعلمون من يأتيه عـذاب يخزيه ويحـل عليه عـذاب مقـيم » ٠

معنى الآيات :

« **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** » ٠٠

(اصنع الفلك الذى سننجيك ومن آمن معك فيه)(٧) حال كونك محفوظا بعنايتنا ، معلما بوحينا كيف تصنعه ، فلا يعرض لك خطأ وأنت تصنعه ٠

(٧) تفسير المنار ح ١٢/٦٢ ٠

والتعبير بالعين الواحـدة يفيد العناية ، والتعبير بالاعين يفيد المبالغة فيها، هكذا يدل كلام العرب ، وقـد جاء القرآن بذلك ، فقال سبحانه لموسى عليـه السلام : « ولتصنع على عينى(٨) » ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم « وأصبر لحكم ربك فانك بأعيننا(٩) ٠

« ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » ٠

ولا تراجعنى فى أمرهم ، فتطلب دفـع العـذاب عنهم ، فقد حقت عليهم كلمة العـذاب وقضى عليهم بالاغراق ٠

« ويصنع الفـــلك » ٠٠

أقبـل يصنع الفلك كما أمر(١٠) ٠

« وكما مر عليه ملأ من قـومه سخروا منه » ٠

كلما مر عليه جماعة (استهزاؤا به وضحكوا منه ، لظنهم أنه مصـاب بالهوس والجنون ٠٠٠٠ روى أنهم كانوا يسألونه عما يصنع ، فيجيبهم أنه يصنع بيتا يجرى على المـاء ، ولم يكن هـذا معروفا ولا متصورا ، وقـل أن يسبق أحـد أهـل عصره بمـا هـو فـوق عقولهم ومداركهم ، من قـول أو عمل الا سخروا منه قبل أن يتم له النجاح)(١١) ٠

« قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » ٠

اذا كنتم تستهزئون بنا ، لانكم ترون عملا لا تفهمونه ولا تفهمون فائدته ، **(فانا نسخر منكم اليوم لجهلكم ، ونسخر منكم غـدا لمـا يحل عليكم)(١٢) ٠**

فسوف تعلمون من يأتيه عـذاب يخزيه ويحـل عليه عـذاب مقيم ٠٠

فسوف تعلمون من يأتيه العـذاب ويحل به (أنحن أم أنتم يوم ينكشف المستور عن المحـذور)(١٣) ٠

---

(٨) آية ٣٩ عن سورة طـه ٠
(٩) آية ٤٨ من سورة الطـور ٠
(١٠) انظر روح المعانى ح ١٢/ ٥٠ ٠
(١١) تفسير المنار ح ١٢/ ٦٢ ٠
(١٢) نفس المصـدر بتصرف ٠
(١٣) فى ظـلال القرآن ح ٤/ ٥٤٧ ٠

● وفى سورة « المؤمنون » يقول سبحانه : « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا » وقد تقدم معناه ٠

ومع أن الحديث عن السفينة وصنعها ، لم يرد الا فى سورتى هود والمؤمنون ، فاننا نرى أن سورة هود تضيف كيف سارع نوح الى تنفيذ أمر الله ، ويظهر ذلك من قوله : « ويصنع الفلك » ، وتضيف موقف القوم أثناء صنع نوح السفينة وكيف كان نوح يواجه هذه السخرية ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه : « وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٠ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » ، وكل ذلك لا يستفاد من غيرهما ٠

والحديث عن السفينة يعتبر مقدمة للحديث عن النهاية ، ونرى سورة هود تمهد لتلك المقدمة بتمهيد لا نراه فى سورة المؤمنين ، ولا فى غيرها ، وذلك حيث تقول : واوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » ، والمعنى أن الله سبحانه أوحى الى نوح أنه لن يؤمن أحد سوى من آمن ، ثم نهاه فى هذا الوحى أن لا يحزن على ما أصابه منهم فى الماضى من التكذيب والا يذاء والاستهزاء ، فقد آن وقت الانتقام(١٤) ، فالبؤس : الحزن ، ومنه قول الشاعر :

وكم من خليل أوحميم رزئته ... فلم أبتئس والرزء فيه جليل(١٥)

لكن متى كان هذا الوحى ؟ هل كان قبل أن يدعو على القوم بالهلاك ـ كما تقدم فى كثير من السور ـ ؟ ، أو بعده ؟

حاولنا أن نعرف اجابة لهذا السؤال ولكن المراجع ضنت به رغم كثرتها ، وعلى كل فاننا نستطيع أن نقول : ان ما دار بين نوح وبين قومه فى سورة هود انما وقع قبل ما دار بينه وبينهم فى سورة المؤمنين ، وسورة الشعراء ، وسورة القمر ، وقبل أن ييأس من ايمانهم ، ولما يئس من ايمانهم ودعا عليهم وكرر دعاءه ، أوحى الله اليه بذلك ، ويبدو أن الله سبحانه أراد أن يكشف بهذا أن نوحا صادف يأسه قدر الله فيهم بعدم ايمانهم ، يعنى أن يأسه جاء فى النهاية ، لا قبل أوانه ٠

أما لماذا ذكرت هذه الآية فى سورة هود ، مع أن سياقها يناسب أى سورة دعا نوح فيها على قومه ، ولا يناسب سورة هود التى طلب القوم

---

(١٤) انظر روح المعانى ح ١٢/ ٤٩ ٠
(١٥) تفسير القرطبى ح ٩/ ٣٠ ٠

فيها العذاب ، ففوض نوح الأمر الى الله بقوله : « قال انما يأتيكم به الله ان شاء » ؟ ..

ـ فهذا اعتراض ـ وان كان في غير محله ـ الا أنه يبدو ان سورة هود جاء للقصص الذى ذكر فيها بتفصيل أكثر من أى سورة أخرى ورد فيها هذا القصص ، فناسب أن تذكر فيها .

يقول صاحب « أسرار ترتيب القرآن » فى مناسبة وضع سورة هود بعد سورة يونس :

(أن سورة يونس ذكرت فيها قصة نوح مختصرة جدا ، مجملة ، فشرحت فى هذه السورة وبسطت بما لم يبسطه فى غيرها من السور ، ولا فى سورة الاعراف على طولها ، ولا فى سورة « انا أرسلنا نوحا » التى أفردت لقصته)(١٦) .

ويتكرر قوله سبحانه : « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » ، فى السورتين ، وهذا يدل على مدى رأفة نوح بقومه ، فرغم أن نوحا عليه السلام دعا عليهم ، وتكرر هذا الدعاء كثيرا ، فاننا نرى أنه لن يفرح بنزول العذاب بهم ، بل سيحزن لمصيرهم ، وقد تدفعة الشفقة عندما يعاين أمارات العذاب أن يدعو الله لهم ، هذا ما يدل عليه النهى فى أغلب ظنى ..

وقد يؤيد هذا أن قوله سبحانه : « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » جاء فى سورة المؤمنين بعد الحديث عن ظهور أمارات العذاب ، فقد جاء بعد قوله سبحانه « فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم » .

● ويأتى الحديث عن النهاية فنرى سورة الاعراف تقول : « فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين .... ويظهر من الآية أن القوم لم تؤثر فيهم دعوة نوح ، فاستمروا على التكذيب ، فاستحقوا عقاب الله ، وكان العقاب الغرق ، ونرى فى الآية أن الله سبحانه كشف عن سبب استحقاقهم للعقوبة وبين أنه التكذيب مرتين ، مرة فى البداية ومرة فى النهاية ، ونرى فى الآية أيضا أن الله سبحانه كشف عن سبب تكذيبهم فبين أنه عمى البصائر والقلوب .

● ونرى سورة هود تقول : « حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل . وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم .

---

(١٦) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى / ١٠٨ بتحقيق عبد القادر عطا .

وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين • وقيل يا أرض أبلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » •

معنى الآيات :

حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين •• حتى اذا جاء وقت أمرنا بهلاكهم وفار وجه الأرض بالماء قلنا لنوح حينئذ : احمل فى الفلك من كل نوع من الأحياء ذكر أو انثى (وتتفرق الأقوال حول قوله : « من كل زوجين اثنين) ، وتشيع فى الجو رائحة الاسرائيليات قوية • أما نحن فلا ندع الخيال يلعب بنا ويشتط حول النص ، ونقول : ان المراد : مما يملك نوح أن يمسك وأن يستصحب من الأحياء ، وما وراء ذلك خبط عشواء)[17] •

« وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن » ••

أمر نوح أن يحمل فى السفينة أهل بيته المؤمنين دون الكفار[18] ، وان يحمل المؤمنين من قومه •

« وما آمن معه الا قليل » ••

(لم يبين لنا الله ولا رسوله عددهم ، فكل ما قاله المفسرون فيهم مردود لا دليل عليه)[19] •

« وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » •

هذا من كلام نوح عليه السلام ، فقد أمرهم أن يركبوا السفينة ، وأن يقولوا معه : بسم[20] الله مجريها ومرساها ، (وهذا تعبير عن تسليمها للمشيئة فى جريانها ورسوها ، فهى فى رعاية الله وحماه ، وماذا يملك البشر من أمر الفلك فى اللجة بله الطوفان)[21] •

---

(١٧) تفسير الظلال بتصرف ح ٤/٥٤٨ •

(١٨) أما غير أهل بيته ، من الكفار فانهم يدخلون تحت قوله « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » •

(١٩) تفسير المنار ح ١٢/٦٤ ، وانظر تفسير الطبرى فى الآية •

(٢٠) قوله : بسم • متعلق بقوله : اركبوا ، وهو حال من الواو والتقدير : اركبوا قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها • انظر الكشاف •

(٢١) الظلال ح ٤/٥٤٨ •

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبـال » ٠

(هذا تصوير لحالها فى جريها بهم كأنها حاضرة أمام القارىء أو السامع ، اى تجرى فى أثناء موج يشبه الجبال فى علوه وارتفاعه وامتداده)[٢٢] ٠

« ونادى نوح ابنـه » ٠

يبدو أن هـذا النداء كان عند ركوب السفينة وقبل جريانها ٠

« وكان فى معزل » ٠٠

(فى مكان عزلة وانفراد دون أهله الذين ركبوا فيها ودون الكفار)[٢٣] ٠

« يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » ٠

يا بنى اركب مـع والدك ومـع أهلك ومـع المؤمنين ، ولا تكن مـع هؤلاء الذين قضى عليهم الله بالهلاك ٠

« قال سآوى الى جبـل يعصمنى من المـاء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم » ظن الولد أن الأمر أمر ماء يرتفع بكثرة المطر كالمعتاد ، وأنه من الممكن أن يتقى هـذا المـاء بالصعود الى مكان عال ، فبين له الوالد أن الأمر أمر انتقام لن ينجو منه الا من رحم الله ٠٠٠ ومن رحم الله هم : ركاب هذه السفينة[٢٤] ٠

« وحال بينهما الموج » ٠٠

(وكان قد بدأ يرتفع أثناء هذا الحديث حتى حال بين الوالد وولده)[٢٥] ٠

« فكان من المغرقين » ٠٠

الهالكـين

« وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى » ٠٠

صـدر الأمر الالهى للسـماء أن تكف عن المطـر ، وللأرض أن تبلع المـاء الذى عـلاها ، وفى الحـال كفت السماء ، وابتلعت الأرض المـاء ، فغـاض ونضب ، **« وقضى الأمر » ٠٠**

نفـذ القضـاء ، فأهلك القـوم وذهبوا الى غير رجعـة ٠

---

(٢٢) المنار ح ١٢/٦٥ ٠
(٢٣) تفسير المنار ح ١٢/٦٦ ٠
(٢٤) انظـر نفس المرجـع ٠
(٢٥) نفس المرجـع ٠

« واستوت على الجـودى »

استقرت عليه ، (ويبـدو ان هـذا الجبل قد غمـره المـاء ولم يرتفـع فوقه الا قليـلا ، فلمـا بلغته السفينه كان المـاء فوقه رقراقا وبدا ينقص ويغيض فاستوت عليه)(٢٦) ٠

« وقيـل بعـدا للقـوم الظالمين » ٠٠

اتبعوا بالطرد من رحمة الله بعـد هلاكهم ، بسبب رسوخهم فى الكفر ٠ وتختم القصة بقـوله سبحانه :

« قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات(٢٧) عليك ، وعلى أمم ممن معك(٢٨) وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عـذاب أليم » ٠

● وفى سورة « المؤمنون » يقول الله سبحانه فى الحـديث عن النهـاية : **« فاذا جـاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيهـا من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القـول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » ٠**
وقد علم مما قضى تفسير هـذه الآية ٠

ثم يقول الله بعـد ذلك : **« فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقـل الحمد لله الذى نجـانا من القـوم الظالمين ، وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين » ٠٠**

ويبـدو أن الدعـاءين صـدرا من نوح عليه السلام بعـد الدخول ووقت الاستواء ، والعطف يؤيد هـذا(٢٩) ، ونوح عنـدما دعا بالدعـاءين فانمـا ينفـذ أمر اللـه ٠

● وتأتى سورة الشعراء فنراها تقـول : **« فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ، ثم أغرقنا بعـد الباقين ، ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهـو العـزيز الرحيم » ٠٠**
والمعنى واضـح ٠٠

---

(٢٦) نفس المرجـع ٠
(٢٧) السعة فى الرزق ٠
(٢٨) على ذرية أمم ممن معك ، أى على ذرية مؤمنـة تتناسل من هؤلاء المؤمنين ٠
(٢٩) انظـر روح المعانى ح ٢٨/١٨ ، ولفظ « منزل » بالضـم : مصـدر بمعنى الانزال ، تقول : أنزلته انزالا ومنزل ، وبالفتح : اسـم لكل ما نزلت به ٠ انظـر زاد المسير لابن الجـوزى ح ٤٧١/٥ ٠

● وتتحدث سورة القمر عن هذه النهاية فتقول : « **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر ، فكيف كان عذابى ونذر** » ٠

المعنى :

« **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** » ٠٠

السماء لا أبواب لها ، ولكن التعبير يراد به غزارة المطر وكثرته ، فلأنه كثير وغزير جعل كأنه نازل من أبواب(٣٠) ٠

« **وفجرنا الأرض عيونا** » ٠٠

وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة ٠

« **فالتقى الماء على أمر قد قدر** » ٠٠

(التقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض على أمر مقدر ، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر ، طائعان للأمر ، محققان للقدر)(٣١) ٠

« **وحملناه على ذات ألواح ودسر** » ٠٠

يفهم من قوله : « **ذات ألواح ودسر** »(٣٢) أنها السفينة ، فهو صفة يقوم مقام الموصوف ، وينوب عنه ، (وهذا من فصيح الكلام وبديعه ، ولو جمعت بين الصفة والموصوف لم يكن بالفصيح)(٣٣) ٠

« **تجرى بأعيننا** » ٠٠

تجرى محفوظة بعنايتنا ٠

« **جزاء لمن كان كفر** » ٠٠

(جزاء لنوح ، لأنه نعمة كفروها ، فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على أمته)(٣٤) ٠

---

(٣٠) انظر البحر المحيط ح ١٩٧٧/٨ ٠
(٣١) الظلال ح ٦٥٠/٧ ، ويقول البيضاوى فى قوله « **على أمر قد قدر** » المعنى : (على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان) ، والماء : اسم جنس ، والمراد ماء السماء ، وماء الأرض ٠
(٣٢) الدسر : المسامير ، جمع دسار ٠
(٣٣) البحر المحيط ح ١٧٧/٨ ٠
(٣٤) البيضاوى ح ٢٤٦/٢ ٠

« **ولقد تركناها آية فهل من مدكر** » ..

تركنا هذه الفعلة عبرة ، فهل من معتبر .

« **فكيف كان عذابى ونذر** » ..

استفهام تعظيم وتهويل لما حل بقوم نوح من العذاب ، فقد استأصل جميعهم وقطع دابرهم .

مما تقدم نستطيع أن نقول :

ان سورة الأعراف وسورة الشعراء ، قد عرضت كل منهما النهاية بايجاز واختصار .

أما سورة هود والمؤمنون ، فقد عرضت كل منهما مقدمة النهاية بشىء من التفصيل :

فنرى سورة هود تعرض أمر الله لنوح بأن يحمل فى السفينة من كل زوجين اثنين ، وأن يستصحب معه المؤمنين وحدهم ، وتعرض سورة المؤمنين هذا أيضا ، ويظهر ذلك فى سورة هود من قوله سبحانه : « **حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن** » ، أما فى سورة المؤمنين فيظهر من قوله جل وعلا : « **فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم** » ..

ومع هذا الاتفاق ، فاننا نرى اختلافا فى العرض ، وأظهر هذا الاختلاف ، ما وقع بين قوله سبحانه فى سورة هود : « **قلنا احمل فيها** » وبين قوله فى سورة المؤمين : « **فاسلك فيها** » .

ولعل السر فى هذا التغاير والاختلاف ، أن سورة هود جاءت الأوامر فيها مفصلة ، فجاء الأمر بالحمل على حدة ، وبالركوب على حدة ، وبالهبوط على حدة ، أما سورة المؤمنين ، فلم يأت فيها الا أمر واحد ، هو قوله : « **اسلك** » ، فجيىء به بلفظ مجمل يتضمن الحمل والركوب ، وذلك لأن معناه : أدخل ، والادخال يتضمن الركوب ، ولأن سورة هود عرضت قصة نوح بتفصيل ، ناسب ذلك أن تأتى الأوامر فيها مفصلة ، ومن بينها الأمر بالحمل الذى لا يقتضى ولا يتضمن سوى الحمل ، وناسب أن يأتى فى سورة المؤمنين أمر مجمل يتضمن الحمل والركوب ، حيث أنها قد عرضت القصة باجمال بالنسبة الى سورة هود(٣٥) .

---

(٣٥) انظر درة التنزيل ٣١٥ وما بعدها .

ونرى بعد ذلك فى سورتى هود والمؤمنين أثناء الحديث عن مقدمة النهاية اضافات تحملها كل سورة ٠

فنرى سورة هود تضيف أمر نوح لقومه بالركوب ، وأمره لهم بأن يقولوا : « **بسم الله مجريها ومرساها** » ، تسليما للمشيئة فى جريانها ورسوها ، ولا يبين النص القرآنى ، هل صدر هذا الأمر من نوح تنفيذا لأمر الله سبحانه ، أو هو أمر أنشأه نوح من نفسه ، تعبيرا عن هذا التسليم ؟ ٠ وانما الذى يبينه أنه أمر من نوح ٠

وتضيف قبل هذا أن عدد المؤمنين به قليل ، ومن هنا فلا داعى للتخبط فى تحديد هذا العدد ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه : « **وما آمن معه الا قليل** » ٠

ونرى سورة المؤمنون تضيف أمر الله لنوح بحمد الله على نعمة التنجية ، وأمره له بالدعاء أن ينزله منزلا مباركا ٠

وتنتهى القصة فى سورة المؤمنين ، ولا نرى فيها حديثا عن العذاب ونهاية الكافرين الا باشارات تفهم بالفحوى ، وذلك مثل ما جاء فى قوله سبحانه : « **فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين** » ، ٠٠

فالأمر بالحمد على النجاة منهم ، يفهم منه أنه أهلكهم ، ويدل على هذا قوله سبحانه فى آية أخرى : « **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** » ٠٠

ومثل ما جاء فى التعقيب على القصة ، وهو قوله سبحانه : « **ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين** » ، فاسم الاشارة مشار به ، الى ما فعل بقوم نوح ، وقوله : « **لمبتلين** » معناه : لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم ٠٠

أما سورة هود فلا تنتهى القصة فيها ، بل نراها تكمل المقدمة ، فتتحدث عن جريان السفينة وعن هيجان الأمواج ، وعن انتهاء العذاب ، ومن هنا فاننا نستطيع أن نقول :

ان سورة هود أضافت : تصوير جريان السفينة بالمؤمنين فى مياه هائجة مضطربة أمواجها كالجبال ، واقرأ قول الله : « **وهى تجرى بهم فى موج كالجبال** » ٠

وأضافت رؤية نوح لولده ، والحوار الذى نشأ بينهما ، ومصير الولد ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه : « **ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** » ••

وأضافت نهاية العذاب وكيف أنهاه الله بكلمة واقرأ قول الله فى ذلك « **وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقض الأمر** » •

وأضافت أين استقرت السفينة ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه : « **واستوت على الجودى** » •

● وأضافت أن نوحا لم يهبط من السفينة الا بأمر الله ، وانه هبط مصحوبا بسلامة الله وبركاته •

وأضافت استشفاع نوح فى ابنه الذى تخلف عن السفينة ، وحال بينهما الموج(٣٦) فكان من المغرقين ، ويصور ذلك قوله سبحانه : « **ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين • قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** » •

وهذه الآيات تتعلق بمسألة فرعية من قصة نوح لا من صلب القصة ، وهى تظهر عدل الله ، فلا محاباة ولا خواطر عنده سبحانه ، وتظهر جواز الخطأ فى اجتهاد الأنبياء(٣٧) •

ولعلك على ذكر من أن سورة هود هى السورة الوحيدة التى عرضت قصة نوح بتفصيل أكثر من أى سورة أخرى ومن هنا جمعت هذه الاضافات كلها ، ولعلك على ذكر أيضا من السر فى ذلك •

---

(٣٦) هذا تفسير لنادى ، أى فكان نداؤه أن قال يارب ان ابنى من أهلى الذى وعدتنى بنجاتهم ، اذ أمرتنى بحملهم فى السفينة ، وان وعدك حق لا يتخلف ، ويبدو أن هذا الدعاء وقع بعد المحاورة وقبل أن يحول بينهما الموج ، وكان هدف نوح بهذا الدعاء أن ينجى ولده الذى تخلف عن السفينة • انظر : تفسير المنار ح ١٢/ ٧٠ •

(٣٧) ومن هنا فانها تتصل بالقصة من ناحية أنها تتعلق بالعقائد ، ولقد بين صاحب المنار أن الترتيب يقتضى أن تجعل هذه الآيات بعد الحوار بين نوح وولده ، ولكن الترتيب القرآنى عرض آية « **وقيل يا أرض ابلعى ماءك** •• » قبل هذه الآيات ، لأنها تتصل بالآية التى قبلها اتصالا وثيقا حيث ان الآية التى قبلها تصور نكبة الطوفان ، وهى تبين كيف أنهى الله هذا العذاب بكلمتين وجيزتين من كلمات التكوين الالهى • انظر تفسير المنار ح ١٢/ ٦٧ •

● وتأتى سورة القمر فتضيف كيف حدث الطوفان ؟ ، وتصور ذلك تصويرا يعجز القلم عن وصفه ، ولنقرأ قول الله فى سورة القمر : « **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر • وحملناه على ذات ألواح ودسر • تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر** » •

ألا تشعر معى بالعظمة والروعة رغم الايجاز والاختصار ، يقول صاحب المنار فى التعليق على هذه الأيات : (وانه لوصف وجيز فى أعلى مراقى البلاغة والتأثير ، ما أفظع هذا المنظر ، ما أشد هوله ، ما أعظم روعته ، ماء ينهمر من آفاق السماء انهمارا ، وأرض تتفجر عيونا خوارة فتفيض مدرارا ، ماء ثجاج ، يصير بحرا ذا أمواج ، خفيت من تحته الأرض بجبالها ، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها ، وكانت عليه السفينة كما كان عرش الله على الماء فى بدء التكوين ، كأن ملك الله الأرضى قد انحصر فيها •••) •

وأخيرا نقول :

اذا كانت سورة هود قد صورت نكبة الطوفان بالحوار الذى جرى بين نوح وبين ولده ، وصورت نهاية هذا الطوفان ، فان سورة القمر قد انفردت بتصوير كيفية حدوث هذا الطوفان بآياتها المعروفة ، لا يشاركها فى ذلك سورة أخرى •

وفى النهاية تأتى سورة نوح التى أرجأنا الحديث عنها الى أن يتم عرض كل السور •

فنرى أن نوحا بعد أن دعا قومه الى الله ، وخوفهم عاقبة الاصرار على الكفر والجحود ، (يقدم حسابه لربه الذى كلفه هذا الواجب وذلك الجهد الثقيل ، ••• وربه يعلم ، وهو يعرف أنه يعلم ، ولكنها شكوى القلب المتعب فى نهاية المطاف ، الى الجهة الوحيدة التى يشكو اليها الأنبياء والرسل والمؤمنون)(٣٨) ، ونوح بهذا يسترجع الذكريات المريرة الأليمة ، وما أكثر الذكريات المريرة الأليمة لألف سنة الا خمسين عاما •••

ونرى نوحا عليه السلام فى شكواه يبين أنه اجتهد فى دعوته ، فدعا الى الله فى كل وقت وعلى كل حال ، ولكن الموقف لم يتغير ، وفى ذلك يقول نوح : « **قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا** •

---

(٣٨) الظلال ح ٨/ ٢٩٩ •

وانى كلمـا دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهـم وأصروا واستكبروا استكبارا • ثم انى دعوتهم جهارا • ثم انى أعلنت وأسررت لهـم اسرارا » •

ثم يبين نوح أنه استعمل الترغيب ، ولكن الموقف لم يتغـير أيضـا ، وفى ذلك يقول :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليـكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنـات ويجعل لكم أنهارا » ••

ثم يبين أنه استعمل أسلوب الاقناع ، ولكن الموقف ما زال كمـا هو متجمـدا ، وفى ذلك يقـول :« **ما لكم لا ترجون لله وقارا** » ، والمعنى : (ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيهـا تعظيم الله اياكم فى دار الثواب) والحـال التى يأملون فيهـا تعظيم الله لهم فى دار الثواب ، انمـا هى الايمـان ، فكأنه يقـول لهم : ما لكم لا تؤمنـون بالله ؟ ••

ثم يقـدم مجمـوعة من الأدلة على صحة هـذه الدعوى لاقناعهم ، فيقول : « **وقد خلقكم أطوارا** » وهى جملة فى موضـع الحـال ، وتقـدير الكلام على هـذا : ما لكم لا تؤمنـون بالله والحـال هـذه ، وهى حال موجهة للايمان(٣٩) •

ثم يقـدم الدليـل الثانى فيقول : « **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمـر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا** » •

ثم يقـدم الدليـل الثالث فيقول : « **والله أنبتكم من الأرض انباتا ، ثم يعيـدكم فيها ويخرجكم** » •

وأخيرا يقـدم الدليل الرابع فيقول : « **والله جعل لكم الأرض بسـاطا لتسلكوا فيها سـبلا فجاجا** » •

وبعـد هـذا الاسلوب المتنوع يكشف نوح عن تجمـد الموقف ، ويبين أن القـوم قد اتبعوا القيادات الضـالة الذين أغراهم المـال والولد بالضـلال ، فيقول : « **رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولـده الا خسارا** » ••

---

(٣٩) انظـر الكشاف ، والفخر الرازى ، وقـد رفض الفخـر الرازى أن يكـون الرجـاء بمعنى الخـوف ، وهـذا الرفض يناسب السـياق •

ثم بين نوح أن هـذه القيادات كانت تحرض الاتباع على الكفر والضلال فيقول : « **ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواع ولا يغـوث ويعوق ونسرا** » ..

ثم بين نتيجة هـذا التحريض بقوله : « **وقـد أضلوا كثيرا** » ..

● وبعـد أن اقتنع نوح أنه لا خـير يرجى من ورائهم دعا على الفريقين أن لا يصل اليهم الهـدى ، وأن يزدادوا ضـلالا على ضلالهم فقال : « **ولا تزد الظـالمين الا ضـلالا** » .

وقبل أن يعرض القـرآن بقية الدعاء الصـادر من نوح عليه السـلام يعـرض نهـاية هـؤلاء ، فيقـول : « **مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا** » ، (والتعقيب بالفـاء مقصود هنا ، لأن ادخالهم النـار موصول باغراقهم ، والفاصل الزمنى القصير كأنه غير موجـود ، لأنه فى موازين الله لا يحسب شيئا فالترتيب مع التعقيب كائن بين اغراقهم فى الأرض وادخالهم النـار يوم القيامة ، وقد يكون هو عـذاب القـبر فى الفـترة القصيرة بين الدنيا والآخرة)[٤٠] .

ثم يقول النص القـرآنى : « **فلم يجـدوا لهم من دون الله أنصارا** » ، لا بنـون ، ولا مال ، ولا سلطان ، ولا أوليـاء من الآلهـة المدعاة[٤١] .

ويكمل السياق بقية الدعاء بعـد ذلك فيقول : « **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضـلوا عبـادك ولا يلدوا الا فاجرا كفـارا** » .

ثم تختم السورة بهـذا الدعـاء الخاشع : « **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنـا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا** » .

من هـذا العرض السريع نستطيع أن نقول :

ان سورة نوح قد أضافت بيـان اجتهـاد نوح فى دعـوته بتفصـيل ، ويظهر ذلك من قوله : « **قال رب انى دعوت قومى ليـلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا** » ، ومن قوله : « **وانى كلمـا دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيـابهم وأصروا واستكبروا استكبارا** » ، فالتعبير بلفظ « كلمـا » يفيـد تكرار هـذه الصـورة ، وتكـرار الدعـوة ، بل يفيـد كثرة

(٤٠ ، ٤١) ظـلال القـرآن .

التكـرار[٤٢] · ومن قوله « **ثم انى دعوتهم جهارا · ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا** » ·

وانما قلنا « بتفصيل » ، لأن سورة يونس ، وهى من السـور التى عرضت قصة نوح بايجـاز ، يظهـر ذلك منهـا ، ولكن بايجاز ايضـا ، فقـد قال نوح فيها : « **يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليـكم غمـة ثم اقضوا الى ولا تنظـرون** » ·

ووجه الاستدلال أن قوله « **كبر عليكم مقـامى** »[٤٣] معناه : شق عليكم اقامتى مدة طويلة أدعو فيهـا الى الله ، وهـذا يفيـد الاجتهـاد فى الدعـوة ولكـن بايجـاز كمـا قلنا ، حيث لم يفصـح فى هـذا القـول عن الدعـوة ليـلا ونهـارا ، ولا عن الجهـر ، ولا عن المزاوجة بين السر والجهـر · كما جاء فى سـورة نوح ·

وأضافت أن نوحا استعمل أسلوب الترغيب والاقناع ·

ويتمثل الترغيب فى أنه قـدم لهم مقابلا ماديا جـزاء ايمانهم ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه على لسـانه « **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفـارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمـددكم بأموال وبنين ويجعـل لكم جنـات ويجعـل لكـم أنهـارا** » ·

ويتمثـل الاقناع فى الأدلة الأربعة التى قدمهـا نوح كتدليـل على قضية الايمـان التى تمثلت فى قوله « **ما لكم لا ترجون لله وقارا** » وقد تقـدمت الاشارة الى هـذه الأدلة ·

● اذا كانت سورة المؤمنون قـد كشفت أن الاشراف حاولوا اضلال العامة ـ وهـذا على أساس أن المحاورة التى دارت هناك ـ انمـا دارت بين الأشراف والعـامة ، والتى يقـول الله فيهـا : « **فقـال المـلأ الذين كفـروا من قـومه ما هـذا الا بشر مثـلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهـذا فى آبائنا الأولين · ان هو الا رجـل به جنة فتربصوا به حتى حـين** » ··

اذا كان هـذا كذلك ، فان سورة نوح قد أضافت حديثا جديدا جرى بين الأشراف والعـامة ، وحاول به الأشراف اضلال العـامة وصدهم عن نوح ،

---

(٤٢) البحـر المحيـط بتصرف ح ٨/٣٣٨ ·
(٤٣) مقامى : مصدر ميمى بمعنى الاقـامة ·

ويظهر ذلك من قول الله على لسان نوح : « **ومكروا مكرا كبارا ٠ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسرا** » ، بل وتضيف فوق هذا ٠ نتيجة هذه المحاولة ، وأن الأشراف نجحوا فى تحقيق هدفهم ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه : « **واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** » ، ومن قوله ، « **وقد اضلوا كثيرا** » ٠

ونكتفى بهذا ، وهناك أمور أو اضافات أخرى لا تخفى على القارىء ٠

● ولقد ذكرت قصة نوح بايجاز فى سورة يونس ، وفى سورة الأنبياء ، وفى سورة الفرقان ، وفى سورة العنكبوت ، وفى سورة الصافات ، وفى سورة الذاريات ، وفى سورة النجم ، وقد مرت آيات كل سورة ٠

ولو تأملت القصة فى كل سورة من هذه السور لوجدت اختلافا فى الأسلوب واضافات جديدة فى بعضها ، فسبحان من هذا كلامه ، وسبحان من قال فى حق هذا الكلام : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » ٠٠

قصة هود
عليه السلام

قصـــة هـــود « عليه السلام »

بين يدى القصـــة

لقـد تكـررت هـذه القصـــة فى كثير من سور القـرآن ، وكانت تعرض بتفصيل أحيانا ، وبايجـاز أحيانا أخـرى ٠

ومن المواضع التى ذكرت فيهـا القصة بتفصيل :

سورة الأعراف ، وسورة هـود ، وسورة المؤمنون ، وسورة الشعراء ، وسورة الأحقاف ٠

وتتلخص هـذه القصة فى تلك المواضـع فى المحاورة التى دارت بين هـود وبين قومه ، وفى الحـديث عن العـذاب والنجاة ٠

وكانت المحـاورة تطول أحيانا فيظهر فيها النـداء الأول الذى وجهـه هود لقـومه واجـابة القـوم على هـذا النـداء ٠ ثم رد هـود ورد القـــوم مرة ثانية ، وهـــكذا ٠٠٠

وقد تقصر فلا يظهـر فيها الا نداء واجـابة ٠

وقبل المحاورة وقبل الحـديث عن العـذاب والنجاة ـ وهما العنصران الرئيسيان للقصة ـ نرى افتتاحا يمكن أن يستفاد منه أن الله سـبحانه أرسل هـودا الى قومه عـاد ، وأن هودا كانت تربطه بقـومه أخـوة النسب ٠

وسنتتبع القصة فى هـذه النقاط ٠ وفى تلك المواضع ، لنرى ما هى الاضافات التى يحملها كل عرض ؟ حتى يتضـح أن هـذا التكرار اعجـاز لا يستطيعه بشر ٠

قصـــة هود عليـــه السلام

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

(من سورة الأعراف)

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ
وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ
ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ
بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى
تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ
إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ
أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ
شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ
جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

(من سورة هـود)

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ
إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا
حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا
كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

(من سورة المؤمنون)

كَذَّبَتْ عَادٌ

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا
بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا
ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا
سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا
خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

(من سورة الشعراء)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾

(من سورة فصلت)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ
قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾
قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ
أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ
فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ
إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ
فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾

(من سورة الأحقاف)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ

مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

(من سورة الذاريات)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ

عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا

فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾

(من سورة القمر)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَأَمَّا عَادٌ

فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

(من سورة الحاقة)

قال الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ

رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي

الْبِلَادِ ﴿٨﴾

(من سورة الفجر)

افتتاح القصـــة :

نستطيع أن نقول الآن : ان السور التى تناولت القصـــة بتفصيل يمكن أن يؤخـذ من افتتاحها : أن الله سبحانه أرسـل هـودا الى قـومه عاد ، وأن هـودا كانت تربطـه بقـومه أخـوة النسب ...

لكن التعبير عن ذلك جاء مختلفا ، وحمـل الاختلاف اضافات وفـوائد : فافتتاح سـورة الأعراف وسـورة هـود ، يحـدد اسم القـوم واسم الرسول الذى أرسـل اليهم ، والعلاقة التى تربط بين الرسول وبين القـوم . فتقـول كل منهما « **والى عاد أخاهم هـودا** » .

● وتأتى سـورة المؤمنون فلا تذكر اسم المرسل ولا المرسل اليهم وتترك السياق يحـدد ذلك ، ولكنها مـع هـذا تضيف أن هـذا الرسـول نشأ بين القـوم ، ومن هنا فاننا نستطيع أن نقـول : ان هـودا كانت تربطـه بقـومه أخـوة النسب كما يؤخـذ من غير سـورة المؤمنون ، وأنه أيضا لم يترب بعيدا عنهم وانما تربى بينهم وفى وسطهم . كما يؤخـذ من سـورة المؤمنون ، ولنقرأ قـول الله فى افتتاح القصـة فى سـورة المؤمنون : « **ثم أنشأنا من بعـدهم قـوما آخرين . فأرسلنا فيهم رسـولا منهم** » ، فقد عبر القرآن بلفظ « فيهم » دون لفظ « اليهم » ـ كما جاء فى غير هـذه السورة ـ ا للايذان من أول الأمر أن من أرسـل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم ، وانما نشأ بين أظهرهم .

وقـد يقـول قائل : لم لا يكون الرسول فى سـورة المؤمنون غير هـود ، واذا أردنا التحـديد فلم لا يكون هـو صالح عليه السلام . ويؤيد هـذا أن الله سبحانه يقـول فى آخر القصـة فى نفس السورة : « **فأخـذتهم الصيحة بالحـق** » ، فالمعروف أن قـوم صالح هم الذين أهلكوا بالصيحة ، أما قـوم عاد فقد أهلكوا بالريح ؟

ويجـاب بأن القرآن قـد بين أن الترتيب الزمنى لقـوم هـود . بعـد قـوم نوح ، فقـد قال سبحانه فى سـورة الأعراف حكاية عن هـود : « **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعـد قـوم نوح** » .

كذلك نرى فى كثير من سـور القرآن أن قصـة هـود تذكر بعـد قصـة نوح ... فسورة المؤمنون على هـذا النسق اذا .

ومن هنا فاننـــا نرجح أن المراد بقـــوله سبحانه : « **ثم أنشأنا من بعدهم قـــوما آخرين** » : عاد ، ونرجح أن المراد بقـــوله « **فأرسلنا فيهم رسولا منهم** » : هـــود ٠٠ استنتاجا ممـــا ذكرنا ٠

أما الاستدلال بقـــول الله سبحانه فى آخر القصـــة : « **فأخـــذتهم الصيحة بالحـــق** » على أن المراد بالقـــوم : قـــوم صالح ، فهـــذا يجاب عنه : بأن المراد : بالصيحة : العقوبة الهائلة ، كما قال الشاعر :

صـــاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الأذقان(١)

● أما افتتاح ســـورة الشعراء فيبرز نهاية القصـــة قبـــل البدء فيها ، ثم يبين وحـــدة الرسل وأن من كذب رســـولا فقد كذب المرسلين جميعا ، وهـــذا ما لايستفاد من غيره من السور التى تناولت القصـــة بتفصيل ، يقول سبحانه : « **كذبت عـــاد المرسلين** » ، وعاد لم يرســـل اليها الا رسول واحـــد هـــو : هـــود ٠

● وتأتى ســـورة الأحقاف فلا تذكر اسم الرسول وتكتفى ببيان القـــوم ، وصلة القرابة بين الرسول وبين القوم ، ولكنها مع هـــذا تضيف جـــديدا ، فتحدد المكان الذى سكنته عاد ووجـــه رسولهم منه دعـــوته ، وأنه الأحقاف(٢) ، وهـــذا ما لايستفاد من غير هـــذا الافتتاح ٠

ولقـــد عبر افتتاح ســـورة الأحقاف للقصـــة عن دعـــوة هـــود : بالانذار **فخالف بذلك غيره** ، يقـــول سبحانه : « **واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف** » ، ولعـــل السبب أن هـــودا بدأ كلامه فى كل عرض ٠ بصيغة الأمر(٣) ، أما هنـــا فقـــد بدأه بصيغة النهى ، والنهى عن الشيىء انذار عن مضرته ــ كمـــا يقـــول صاحب روح المعانى(٤) ، يعنى أن النهى عن الشيىء يحمل انذارا وتحـــذيرا من مضاره ، فاذا قلت لصاحبك مثلا : لا تشرب الخمر ، فهـــذا النهى يتضمن انذار باضرار الخمـــر ٠

---

(١) انظر روح المعانى ح ١٨/٢٨ ، ٣٣ ٠

(٢) يقع شمالى حضرموت ٠ ويقال انه الآن رمل ليس به أنيس ٠

(٣) بدأ هـــود كلامه فى سورة الشعراء بصيغة الاستفهام فقـــال : « ألا تتقون » والاستفهام هنا يحمل توبيخا على عدم التقوى ، فكأنه يطالبهم بهـــا ٠

(٤) انظر روح المعانى ح ٢٦/٢٥ ٠

ولنستعرض بدء كلام هـود لقـومه فى غير سورة الأحقاف :

● من سـورة الأعراف يقول الله سبحانه : « **والى عاد أخاهم هـودا قال يا قـوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقـون** » ٠

● من سـورة هـود يقول سبحانه : « **والى عاد أخاهم هـودا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون** » ٠

● من سـورة المؤمنون يقـول سبحانه : « **ثم أنشأنا من بعدهم قوما آخرين ٠ فأرسـلنا فيهم رسـولا منهم أن أعبدوا الله مالكم من اله غيره أفـلا تتقـون** » ٠

● من سـورة الشعراء يقـول سبحانه : « **كذبت عاد المرسلين ٠ اذ قال لهم أخوهم هـود الا تتقون ٠ انى لكم رسول أمين ٠ فاتقوا الله وأطيعون** » ٠

● أما سـورة الأحقاف فيقول سبحانه فيها : « **واذكر أخا عاد اذ أنذر قـومه بالأحقاف وقـد خلت النذر من بين يديه ومن خلفـه الا تعبدوا الا الله** » ، فجاء بدء الكلام بصيغة النهى ، ومن هنا جاء التعبير بالانذار ٠

وتضيف سـورة الأحقاف أيضا : اتفـاق للرسـل فى الدعوة الى التوحيد ٠

وقـد أفاد ذلك قـوله سبحانه : « **وقـد خلت النـذر من بين يديه ومن خلفه** » ، فهـذه الجملة اعتراض بين قـوله : « **انذر** » ، وقـوله : « **ألا تعبدوا الا الله** » ، ومعنى الآية حتى الجملة الأخيرة : « واذكر زمان انذار هـود قـومه بمـا انذر به الرسل قبله وبعـده ، وهو ألا تعبدوا الا الله ، تنبيها على أنه انذار ثابت قـديما وحـديثا اتفقت عليه الرسل عليهم السلام عن آخرهم »(٥) ٠

النـــداء الأول :

● قال هود عليه السلام فى ندائه الأول الذى وجهـه لقـومه فى سورة الأعراف : « **يا قـوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون** » ٠

● وقال فى نفس النـداء فى سـورة هـود : « **يا قـوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم لا مفترون ٠ يا قـوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على**

---

(٥) روح المعانى بعض تصرف ح ٢٦/٣٥ ويلاحظ أن الجملة اعتراض بين المفسر والمفسر على أساس ن النهى من قبيل الانذار ٠

الذى فطرنى افلا تعقلون • ويا قـوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليـه يرسـل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قـوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » •

● وقال فى سورة المؤمنون : « ••• **ان أعبدوا الله مالكم من الله غيره أفلا تتقـــون » •**

● وقال فى سـورة الشعراء : « ••• **ألا تتقـون • انى لكم رسول آمين • فاتقـوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • أتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخـذون مصانع لعلكم تخلدون • واذا بطشتم بطشكم جبارين • فاتقوا الله وأطيعون • وانقـوا الذى أمدكم بمـا تعلمون • أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون • انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » •**

● وقال فى سـورة الأحقاف : « ••• **ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عـذاب يوم عظيم » •**

« ومن هـذا العرض يتضح لنـا أن نداء هـود جاء مختصرا فى سـورة الأعراف ، وسـورة المؤمنون وسـورة الأحقاف ، ويستفاد منه : أن هـودا دعا قـومه الى التوحيد ، وخـوفهم من عاقبة الاصرار على الكفر والجحود •

ولا نكاد نرى اختلافا فى هـذه النتيجة ، ولكننا نرى اختلافا فى العرض :

● ففى سـورة الأعراف وسـورة المؤمنون : تأتى الدعوة الى التوحيد فى النـداء بصيغة الأمر •

● وفى سـورة الأحقاف : تأتى الدعوة الى التوحيد فى النـداء بصيغة النهـى •

● وفى سـورة الأعراف وسـورة المؤمنون لا يصرح فى النـداء بالمخوف منـــه •

● وفى سـورة الأحقاف يصرح فيه بذلك ، بل ويفصح النـداء عن مدى درجـة العـذاب ، فهو عـذاب هائل ، لأنه قـد وصف اليـوم بالعظم ، واليوم لم يوصـف بالعظم الا لنزول العـذاب فيه ، واذا كان اليوم قـد وصف بالعظم لنزول العـذاب فيـه ، فمـا بالك بالعـذاب نفسه ، وفى الوقت نفسه نرى هـودا يظهر هذا التهـديد فى سورة نصح من رحيم يخاف عليهم سوء المصير •

● وتأتى سورة هود **فيظهر فى النداء اضافات جديدة** ، فنرى ذما وتوبيخا ، فقد قال هود فى ندائه فى هذه السورة ـ بعد الدعوة الى التوحيد ـ « ... **ان أنتم الا مفترون** » ، أى ما أنتم فى اتخاذكم لها غير الله الا كاذبون ·

ونرى هودا بعد ذلك يبادر قومه فيوضح لهم أنها دعوة خالصة ونصيحة ممحضة ، فليس له من ورائها هدف ، وما يطلب على النصح والهداية أجرا ، انما أجره على الله الذى خلقه فهو به كفيل(٦) ، فيقول « **يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى** » ·

وفى التعبير بقوله : « فطرنى » تنبيه على أن أصنامهم التى يعكفون على عبادتها لا قدرة لها ولا حيلة ، ولا تملك من صفات الألوهية ما يرشحها لهذا المنصب ، ... ان الخالق الحقيقى هو الذى يستحق هذه العبادة · ثم يقول : « أفلا تعقلون » ، وكأنه يقول لهم : « أفلا يعقلون استحالة الألوهية لغير الخالق ، أو : أفلا يعقلون نصيحة من لا يطلب على نصيحته أجرا الا من الله تعالى ـ وهو ثواب الآخرة ـ ، ولا شىء أنفى للتهمة من ذلك »(٧) ·

ثم نرى هودا يرغبهم فى الايمان ويستميلهم اليه بأمور مادية فيقول : « **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم** »(٨) ·

ويختم هود نداءه بقوله : « **ولا تتولوا مجرمين** » ، أى لا تتولوا مرتكبين لجريمة التكذيب ·

اذن فنداء سورة هود قد أضاف أمورا لا توجد فى السور الثلاث السابقة ·

أضاف وصف هود للقوم بالكذب ، ويظهر ذلك من قوله : « **ان أنتم الا مفترون** » ، وقد تكرر هذا الوصف فى نهاية النداء ، فقد قال لهم : « **ولا تتولوا مجرمين** » ·

---

(٦) انظر الظلال للمرحوم الأستاذ/سيد قطب ·

(٧) البحر المحيط ح ٥/٢٣٢ ·

(٨) يبدو أن هودا رغبهم بزيادة المطر ، لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شىء الى الماء ، وقيد المطر بكونه « مدرارا » ، ليشعر بأنه ليس مدمرا أو مهلكا ·

ويبدو أن الفرق بين الوصف الأول والثانى : أن الأول وصف للواقع ، والثانى معلق على توليهم واعراضهم ٠

واضاف أن هودا لا يبتغي عرضا ماديا من وراء دعوته ، وانما يطلب الأجر من الله وحده ٠

واضاف ترغيب هود للقوم فى الايمان بأمور مادية ٠

● ونأتى الى نداء سورة الشعراء ، فنرى هودا يخوف القوم من عاقبة الاصرار على الكفر والجحود ، فقد قال لهم : « ٠٠٠ ألا تتقون » ، يعنى : ألا تخافون عقاب الله ان لم تؤمنوا ٠

ونرى هودا يقدم للقوم نفسه فيقول : « **انى لكم رسول أمين ، أى انى رسول من عند الله أمين فى نصحه لا يكذبكم ولا يخدعكم ، أو أمين فيما ينقله عن الله لا يزيد فيه ولا ينقص منه** » ٠

ونرى هودا يعود الى المطالبة بالتقوى ويحدد المتقى هذه المرة ، حيث يضيف التقوى الى الله ــ ويبدو أن المراد عقابه ــ ، فيقول : « **فاتقوا الله وأطيعون** » ٠

ويبدو أن قول الله سبحانه على لسان هود : « **فاتقوا الله وأطيعون** » مترتب عى قوله عز وجل على لسانه أيضا : « **انى لكم رسول أمين** » ، فالفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها ، وكأنه يقول لهم : اذا كنت رسولا لا أكذب ولا أخدع ، ولا أزيد ولا أنقص شيئا مما كلفت به ، فيجب عليكم أن تتقوا الله الذى أرسلنى ، وأن تطيعونى فيما أمركم به وأنهاكم عنه ٠

ونرى هودا يبين هنا أيضا أنه لا يطلب أجرا على دعوته فأجره على الله فيقول : « **وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين** » ٠

ونرى هودا بعد ذلك يذم سلوكهم فيقول : « **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** » يعنى : « اتبنون من كل مكان مرتفع أبنية ضخمة لا للسكن ، بل السخرية من المارة »(٩) ٠

---

(٩) روح المعانى بتصرف ح ١٩/ ١١٠ ٠

ويقول : « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، وللمفسرين آراء في لفظ « مصانع » أى فى تفسيره ، لكن كل هذه الآراء في أغلب ظنى بعيدة ، ..

ونقول : لم لا يكون للقوم مصانع حقيقة ؟ ولم لا يكونون قد برعوا فى نوع معين من الصناعات ؟ ..

ان الأولى تفسير اللفظ بهذا ، ثم نحن فى حل من تعيين ما برعوا فيه .

أما قوله : « لعلكم تخلدون » فمعناه : انكم تعملون عمل من يرجو الخلود فى الدنيا .

ثم يقول لهم : « واذا بطشتم بطشكم جبارين » ، أى : اذا أردتم البطش بطشكم بلا رأفه ولا رحمة .. هذا وصف لهم بالقوة والغلظة ..

ويعود هود الى المطالبة بتقوى الله وطاعته هو ، فيقول : « **فاتقوا الله وأطيعون** » .

ومرة رابعة يطالبهم بتقوى الله ويبين لهم أن الله سبحانه من حقه أن يتقى ، فقد أنعم عليهم بما يعرفون ، فيقول : « **واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون** » .

ثم يفصل بعد الاجمال شيئا من النعم التى أنعم الله بها عليهم فيقول : « **أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون** » .

وأخيرا يختم نداءه الأول بهذا التخويف الصادر فى صورة نصح فيقول : « **انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** » .

مما تقدم نستطيع أن نقول :

ان نداء سورة الشعراء **قد أضاف أمورا** ليست فى السور الأربع السابقة :

أضاف : ذم هود لسلوك القوم وتوبيخهم عليه ، ويظهر ذلك من قوله : **أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين** » .

ويستفاد من هذا التوبيخ : أن القوم كانوا مكبرين لدرجة أن تحكم الكبر فى سلوكهم ، وأنهم كانوا يحبون الدنيا كثيرا ، ومن هنا فهم يبنون

الأبنية الضخمة العالية من أجل العبث(١٠) ، ويتخذون المصانع مباهاة ومفاخرة بتكاثر الأموال كأنهم لا يفارقون الدنيا ولا يزولون عنها ، ويحاولون قهر الناس والبطش بهم من أجل الغلبة والسيطرة .... ومن يفعل ذلك فانما يبتعد بنفسه عن حد العبودية .

واذا كان النداء الأول فى سورة الأعراف ، وسورة المؤمنون ، وسورة الأحقاف ، يظهر منه الدعوة الى التوحيد بصريح العبارة ، فان نداء سورة الشعراء لا يظهر منه ذلك صراحة ، وانما يستفاد ضمنا من التوبيخ على عدم التقوى ، ومن الأمر بالتقوى بعد ذلك وتكراره ثلاث مرات .

واذا كان التهديد فى نداء السور الثلاث قد اختلف عرضه ، فان التهديد فى سورة الشعراء قد جمع هذا الاختلاف كله ، فقد طوى أولا المخوف منه فقال : « ألا تتقون ، ثم صرح أخيرا به . فبين أنه العذاب ، ثم كشف مدى درجته وشدته فقال : « **انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** » .

وزادت سورة الشعراء فى ندائها الأمر بالتقوى الذى تكرر ثلاث مرات وهو تهديد أيضا .

ولا تكاد نرى اتفاقا بين نداء سورة هود ، ونداء سورة الشعراء . الا فى نفى هود عن نفسه سؤال الأجر على دعوته ، ومع هذا الاتفاق ، فقد عرض هذا النفى فى كل سورة من السورتين بأسلوب يختلف عن الآخر ويضيف جديدا ...

فقد قال سبحانه على لسان هود فى سورة هود « **يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى افلا تعقلون** » ، وقال سبحانه على لسان هود فى سورة الشعراء : « **وما أسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين** ..

ونرى أن هودا صدر النفى فى سورة هود بهذا النداء : « **يا قوم** » وهذا النداء يريد هود منه أن يذكرهم أنه ليس غريبا عنهم ، حتى يطمئنوا ويصدقوا .

---

(١٠) قال صاحب البحر المحيط : « وهذا مسلك من يحب العلو فى الدنيا » .

ولا يوجد هذا النداء فى سورة الشعراء ويختم هود النفى فى سورة هود بهذا الانكار والتوبيخ : « أفلا تعقلون » ٠

ولا يوجد مثله فى سورة الشعراء ٠

ونرى هودا يضيف الى الله سبحانه صفة الخلق فى سورة هود ، وصفة الربوبية فى سورة الشعراء ٠٠ فيقول فى سورة هود « ٠٠٠ الا على الذى فطرنى » ، ويقول فى سورة الشعراء : « ٠٠٠ الا على رب العالمين » ٠

اجابة القوم :

● تتحدث سورة الأعراف عن اجابة القوم لهود فتقول : « **قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين** » ٠

والمعنى : انا لنراك خفيف العقل ضعيف الرأى ، وانا لنظنك من الكاذبين فى دعوى الرسالة عن الله ٠

وتنكير السفاهة ، للمبالغة ، فكأنهم يقولون له : انا لنراك فى سفاهة تامة راسخة تحيط بك من كل جانب وتحتوى عليك كما يحتوى الظرف على المظروف ٠

وحكمهم عليه بالسفاهة صدر عن اعتقاد باطل منهم ، ولذلك عبروا عن حكمهم هذا : « بالرؤية » التى بمعنى الاعتقاد ، أما حكمهم بالكذب على هود عليه السلام فقد صدر عن ظن ، ولو قالوا انهم يعتقدون ذلك لكانوا كاذبين على أنفسهم(١١) ٠

● وتتحدث سورة هود عن هذه الاجابة فتقول : « **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** » ٠

معنى الاجابة :

« قالوا يا هود ما جئتنا ببينة » ، أى ما جئتنا بمعجزة تدل على صدقك ، وقد كذبوا فى ذلك كما كذبت قريش فى قولهم : « لولا أنزل عليه آية من ربه »

---

(١١) انظر فى تفسير الآية : تفسير المنار ح ٨/٤٩٦ ، والبحر المحيط ح ٤/٣٢٣ ٠

وقد جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايآت كثيرة ، فهود عليه السلام وغيره من الأنبياء لهم معجزات • وان لم يعين لنا بعضها • الا نرى الى قوله صلى الله عليه وسلم : « **ما من نبى الا وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر** » •

« وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » أى : بسبب قولك المجرد عن البينة فلفظة « عن » ، للتعليل •

« وما نحن لك بمؤمنين بمصدقين فيما جئت به » •

ويقول « صاحب روح المعانى » فى بيان موقف هؤلاء القوم كما تصوره هذه الآية :

« وقد بالغوا فى الاباء عن الاجابة • فأنكروا الدليل على نبوته عليه السلام ، ثم قالوا مؤكدين لذلك ! « وما نحن بتاركى آلهتنا » ، ثم كرروا ما دل عليه الكلام السابق من عدم ايمانهم بالجملة الأسمية مع زيادة الباء ، وتقديم المسند اليه المفيد للتقوى ، دلالة على أنهم لا يرجى منهم ذلك بوجه من الوجوه ، وفى ذلك من الدلالة على الاقتناط ما فيه »[١٢] •

« ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، •• لقد خرجت على آلهتنا وعصيتها وصدرت عن عبادتها ، فاصابتك بجنون كان من جرائه هذا الهذيان الذى تقوله •

والتنكير فى قوله « بسوء » للتقليل • كأنهم لم يصفوه بشدة الجنون وانما بشىء منه ، ويقوى هذا نسبة السوء الى بعض الآلهة دون كلها •

ويستفاد أيضا من هذه النسبة : تعظيم أمر آلهتهم وأن البعض منها له من التأثير ماله •

● أما سورة المؤمنون فتتحدث عن الاجابة بقولها : « **قال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون • ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون • أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون • هيهات هيهات لما توعدون • ان هى الا حياتنا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين • ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين** » •

---

(١٢) آية •

المعنى :

« قال الملأ من قـومه الذين كفروا وكذبوا بلقـاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيـــا ما هـذا الابشر مثلكم يأكـــل ممـــا تأكلون منه ويشرب ممـــا تشربون » ٠

وصفت هـذه الآية الاشراف بثلاث صفات من صفات الذم : وصفتهم بالكفر ، ووصفتهم بتكذيب لقـاء الآخرة ـ أى لقـاء ما فيها من حساب وثواب وعقـاب ـ ووصفتهم بالترف ٠

ثم بينت أن هـؤلاء الاشراف احتجوا على نص رسـالة هـود ببشريته التى تماثل بشريتهم ولا تزيد عنها شـيئا ٠

« ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » ٠٠

يبين الاشراف أن من أطاع رسـولا تماثل بشريته بشريتهم ، فقـد خسر عقـله وأصبح لا عقل له ٠

« أيعـدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجـون » ٠٠

ينكر الاشراف قضية البعث التى أوقفهم عليها رسولهم ٠

« والآية استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتبـاع الرسـول بانكار وقـوع ما يدعـوهم للايمان به واستبعاده »(١٣) ٠

وقوله : « أنكم » من قـوله « أنكم مخرجـون » : تأكيد لقـوله « أنكم » الأولى ، لطـول الفصل بينه وبين خبره الذى هـو قوله : « مخرجون » ، وقوله « اذا » : ظرف متعلق به ٠ أى : أيعـدكم أنكم مخرجون من قبـوركم أحياء كما كنتم أولا اذا متم وكنتم ترابا ٠

---

(١٣) أخرجـه الشيخان ٠

(١٣) روح المعانى ح ١٨/ ٣٠ ٠

(١٤) هيهات : اسم لبعد ، وفاعله مستتر فيه يرجع الى التصديق ، أو الوقوع ، أو نحو ذلك ، فكأنه قيل : بعد التصديق ، أو الوقوع وهيهات الثانية : تكرير لتأكيد البعد ، والغالب فى هذه الكلمة مجيئها مكررة ٠

« هيهات[١٤] هيهات لما توعدون ٠ ان هى الا حياتنا[١٥] الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » ٠

يعبر الاشراف عن مدى استبعادهم لهذه الحقيقة ٠ حقيقة البعث الخطيرة فيقولون ان ما توعدون به بعيد بعيد ، فليس لنا الا هذه الحياة ، وفيها نموت ونحيا ، ثم لا بعث ولا حساب بعد ذلك ، ٠٠

وأرادوا بقولهم : « نموت ونحيا » : يموت بعض ويولد بعض ، أو أرادوا بالموت : العدم السابق على الوجود ٠ فالطعف بالواو لا يقتضى الترتيب ٠

● وتتحدث سورة الشعراء عن هذه الاجابة فتقول : « **قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ٠ ان هذا الا خلق الأولين ٠ وما نحن بمعذبين** » ٠

معنى الاجابة :

« **قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** » أى قالوا : سواء علينا وعظك وعدمه فلن نترك ما نحن عليه وجعلوا قوله وعظا ، اذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به ، وانه كاذب فيما ادعاه ٠

« **ان هذا الا خلق الأولين** » ، تعليل لعدم ايمانهم ، والمعنى : ما هذا الذى تقوله وتدعيه الا اختلاق الأولين من الكذبة قبلك[١٦] ، أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا عادة الأولين الذين تقدمونا من الآباء وغيرهم ، ونحن بهم مقتدون[١٧] ٠

« وما نحن بمعذبين » ، ولن ينزل علينا العذاب الذى تخوفنا به من أجل أعمالنا ٠

---

(١٥) قوله : « ان هى الا حياتنا الدنيا » أصلة : ان الحياة الا حياتنا الدنيا ، ثم وضع الضمير موضع الحياة ، لأن الخبر يدل عليها ويبينها ، فالضمير عائد على متأخر ، وعودة كذلك جائز فى صور منها : اذ فسر بالخبر كما هنا ٠٠ انظر روح المعانى ح ١٨/ ٣١ ، ٣٢ ٠

(١٦) انظر البحر المحيط ح ٧/ ٣٤ ٠

(١٧) انظر روح المعانى ح ١٩/ ١١٢ ٠

● وفى سورة الأحقاف تظهر الاجابة على هـذا الوضع : « **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا بمـا تعـدنا ان كنت من الصادقين** » ٠

أظهر القـوم أن دعـوته التى يحاول بها صرفهم عن آلهتهم لن تنجح ، ويبـدو أن هـودا كان يتوعدهم بالعـذاب ـ اذا استمروا على كفرهم ـ ، ولهـذا قالوا فى استهتار وبلا مبالاة ، : « **فأتنا بمـا تعـدنا ان كنت من الصادقين** » ٠ من دعـوة الرسـالة ٠

وقفة مع الاجـابة :

● ان اجابة القـوم فى سورة الأعراف كانت اتهـاما لهـود بخفة العقل ، والكـذب ٠

ويستفاد من هـذا الاتهـام : رفضهم للتصديق به ٠

● أما اجـابة سورة هود فيظهـر فيها فوق الرفض المؤكد للتصـديق بصريح العبـارة ـ الذى سبق أن تحدثنا عنه ـ ان القـوم قد أنكـروا معجزة هـود ، وأنهم قد اتهموه بشىء من الجنـون ، ثم ذكـروا علة هـذا الاتهـام وأنه آلهتهم ، ويستفاد من هـذه العـلة : مدى اعتقاد القـوم فى قـدرة آلهتهم ٠

● وتأتى سورة المؤمنون ، فيظهر فيها الرفض بحجة بشرية الرسـول ، وتكشف شيئا من القضـايا التى كان يدعو اليهـا هود ـ مع التوحيـد ـ فتكشف أنه كان الى الايمـان بحقيقة البعث ، ويظهر فيها اتهـام هود بالكذب ٠

● وتأتى سورة الشعراء فيظهر فى اجابتها : رفض القـوم للتصـديق ، ووصـفهم له بالكـذب ، وذلك قولهـم : « **ان هـذا الا خلق الأولين** » ـ على التفسير الأول ـ ويظهر فيها تكذيبهم لهـود فى وقوع العـذاب الذى تهددهم به ، ويستفاد من هـذا التكذيب : اتهـام القـوم لهود بالكذب ، وذلك قولهم ، « **وما نحن بمعـذبين** » ٠

● وتأتى سورة الأحقاف ، فيظهر فى اجابتها : رفض القـوم للتصديق ، وذلك قولهم : « **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا** » ، ويظهـر فيها تكذيبهم لهـود فى وقوع العـذاب الذى تهددهم به ، وذلك قولهم : « **فأتنا بمـا تعدنا ان كنت من الصادقين** » ، فالتعبير بلفظ « **ان** » يفيـد أنهم يرجحون جانب التكذيب على جانب التصديق ، ويستفاد من هـذا التكذيب : اتهام هود بالكذب ٠

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول :

ان كل سورة قد عرضت اجابة القوم عرضا يضيف جديدا ..

فسورة الأعراف جمعت فى اجابتها بين الاتهامات التى اتهم بها هود عليه السلام وجاءت موزعة على بقية الاجابات ، وذلك لأن القوم قد اتهموا هودا فى سورة الأعراف : بخفة العقل ، وبالكذب ، فقد قالوا : « **انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين** » ، ونرى هذين الاتهامين موزعين على بقية اجابات السور المذكورة .

ففى سورة هود نرى القوم قد اتهموا هودا بشىء من الجنون ، ويظهر ذلك من قولهم : « **ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** » .

وفى سورة المؤمنون نراهم قد اتهموا هودا بالكذب ، ويظهر ذلك من قولهم : « **ان هو الا رجل افترى على الله كذبا** » .

وفى سورة الشعراء نرى هودا قد اتهم بالكذب مرتين ، مرة تصريحا ، ويظهر ذلك من قولهم : « **ان هذا الا خلق الأولين** » ، على أساس أن المعنى : ما هذا الذى تقوله وتدعيه ، الا اختلاق الأولين من الكذبة قبلك ، فأنت على مناهجهم .

ومرة تلميحا ، ويظهر ذلك من قولهم : « **وما نحن بمعذبين** » ، وقد مر أنه يستفاد من هذا التكذيب : اتهام هود بالكذب .

وفى سورة الأحقاف نرى هودا قد اتهم بالكذب تلميحا ، ويظهر ذلك من قولهم : « **فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » .

ويلاحظ أيضا أن الاتهام الضمنى الذى جاء فى سورتى الشعراء والأحقاف ، قد جاء فى سورة الأعراف فى آخر اجابة للقوم حيث قالوا كما حكى القرآن : « **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » .

وفوق هذا زادت سورة الأعراف وصف القوم لهود عليه السلام بالجنون التام لا بشىء منه كما جاء فى سورة هود ، وعلى هذا فالاتهام فى سورة الأعراف أشد وأنكى من الاتهام فى سورة هود ، ودليل ذلك ما سبق أن قلناه من أن التنكير فى لفظ « **سفاهة** » للمبالغة وأن حكمهم هذا صدر عن اعتقاد منهم ، ويفهم ذلك من تعبيرهم عن هذا الحكم بالرؤية .

أما التنكير الذى جاء فى الاتهام الموجه الى هود فى سورة هود ، والذى يمثله قولهم : « **بسوء** » ، فانه يفيد التقليل ٠

● وتأتى اجابة سورة هود ، فتضيف : الحديث عن المعجزة وأن القوم قد أنكروها ٠

وتضيف أن القوم قد ذكروا علة اتهام هود بشىء من الجنون ٠٠

وتضيف ما يمكن أن يستفاد من علة الاتهام ، وقد سبق أن قلنا :

ان ما يمكن أن يستفاد من ذلك هو : مدى اعتقاد القوم فى قدرة آلهتهم ، ومدى تعظيمهم واحترامهم لهذه الآلهة ٠

● أما اجابة سورة المؤمنون فتضيف : الحديث عن بشرية الرسول ، وما يلزم هذه البشرية ـ لتبقى نابضة بالحياة ـ من أكل وشرب ٠

وتضيف : أن البشرية تنافى الرسالة ، ٠٠٠٠ ومن هنا فطاعته الغاء للعقل وتضييع له ٠

وتضيف : أن هودا دعا ـ مع التوحيد ـ الى الايمان بحقيقة البعث ٠

وقبل ذلك كله أضافت الاجابة : وصف الأشراف بصفتين هما : التكذيب بلقاء الآخرة ، والترف ٠

وتشترك اجابة سورة المؤمنون مع اجابة سورة الأعراف فى وصف الملأ بالصفة الثالثة وهى : الكفر ، ومكانها فى الآيتين الصدارة ٠

ولعل السر فى اضافة سورة المؤمنون لصفة التكذيب بلقاء الآخرة : أن القوم فى هذه السورة لما أنكروا البعث فى حديث طويل استغرق أكثر محاورتهم ٠ سجل القرآن عليهم هذا الوصف فى أول كلامه عنهم ٠

وقد يؤيد هذا أن وصف القوم بالتكذيب بلقاء الآخرة يدخل فى وصفهم بالكفر ضمنا ، ولكن القرآن أفرده ، ليسجل عليهم المغالاة أيضا ٠

أما السر فى اضافة سورة المؤمنون لوصف الترف ، فلعل القرآن أراد أن يسجل عليهم الخسة ، حيث قابلوا الاحسان بالاساءة ٠

وتضيف اجابة سورة المؤمنون : أن الاشراف تواصوا بالرفض ، رفض النبوة ، ورفض المبادىء التى جاء بها ودعا اليها ، فالمحاورة لم تدر بين هود وبين القوم ، وانما دارت بين الأشراف بعضهم وبعض ، ولقد استنتج المفسرون ذلك من الآتيان بواو العطف مع قوله سبحانه فى سورة المؤمنون « **وقال الملأ** » .

يقول صاحب روح المعانى : (ان اجابة الملأ هنا صدرت بواو العطف فقال الله : « **وقال الملأ** » ، ولكن فى سورة الأعراف قال الله : « **قال الملأ** » بدون واو العطف على طريق الاستئناف ، لأن المرسل اليهم هنا قالوا ما قالوا بعضهم لبعض ، وهذا يأبى الاستئناف ، أما هنالك فقد كانت المقاولة بين المرسل والمرسل اليهم ، وهذا يقتضى الاستئناف) .

ونتساءل ما هو السر فى اختصاص سورة المؤمنون بواو العطف ؟ ..

حاول (صاحب الكشاف) ، وغيره أن يحددوا السر ، فعرضوا مجموعة من الاجابات ، ولكن (صاحب روح المعانى) رفض هذه الاجابات بعد أن ناقشها ، ثم قال فى النهاية : (وأنا لم يظهر لى السر فى ذلك) ، ونحن نؤيد هذا المسلك .

وعلى كل فالخلاف منصب على الاتيان بواو العطف فى سورة دون أخرى ، وفى عرض دون آخر : (صاحب الكشاف) ، وغيره ، يحاولون الاجابة ، و (صاحب روح المعانى) يفوض ويسلم بعجزه عن معرفة السر ، لكن ليس هناك خلاف فى أن المحاورة دارت بين الأشراف بعضهم وبعض ... ويبدو أن هذه المحاورة حضرها هود ، ومن هنا فانها تعتبر اجابة لهود ، لأنه على هذا يكون قد فهم موقف القوم .

● وتضيف سورة الشعراء أن وصف القوم لهود بالكذب لم يقتصر على هود وانما شمل المرسلين من قبله ، ويظهر ذلك من قولهم : « **ان هذا الا خلق الأولين** » ، على أساس التفسير الذى ذكرناه سابقا .

● وتضيف سورة الأحقاف فى اجابتها : أن هودا اجتهد فى دعوته وحاول بكل وسيلة أن يصرفهم عن آلهتهم ، ويفهم ذلك استنتاجا من قولهم : « **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا** » .

وأخيرا نقول :

اذا كانت الاجابات تتفق فى بيان موقف القوم ، وفى الاتهامات التى وجهت لهود عليه السلام ، ... فلا يخفى ما فى كل عرض من اختلاف فى

الأسلوب ينأى بالتكرار بعيدا عن الملل والسآمة ، وسبحان من أعجز كلامه البشر قاطبة ، وسبحان من اعترف بعظمة كتابه أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ٠

اجابة هود :

● فى سورة الأعراف أجاب هود قومه بقوله : « **يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ٠ أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح آمين ٠ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » ٠

معنى الاجابة :

« **يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ٠ أبلغكم رسالات وبى وانا لكم ناصح آمين** » ٠

يدافع هود عن نفسه وينفى عنها تهمة السفاهة ، ثم يقدم للقوم نفسه ويبين لهم وظيفته ، وأنه ليس معقولا أن يكذب عليهم أو يخدعهم ، انما هو ناصح فيما يبلغهم به ويدعوهم اليه ، أمين فيما ينقله عن الله لا يغير فيه ولا يبدل ٠

ومن الآيتين نفهم كيف كان خلق الأنبياء ٠ وفى ذلك يقول صاحب الكشاف :

« وفى اجابة الأنبياء عليهم السلام على من نسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به ٠ من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء ، وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم – فى اجابتهم هذه أدب حسن وخلق عظيم ، وحكاية الله عز وجل ذلك : تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء ؟ وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم(١٩) » ٠

---

(١٩) تفسير الكشاف ، وانظر تفسير سورة الاعراف لاستاذنا الدكتور أحمد الكومى / ١١٠ فقد نقل هذا النص ، وكذلك نقله صاحب البحر المحيط ح ٤ / ٣٢٤ ٠

« **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** » ٠

يبدو أن هـودا فهم أن القـوم قـد تعجبوا من اختصاصه بالرسـالة ـ هكذا نلمس من خـلال التعبير القرآنى السابق ـ ، وهنا حاول ازالة هـذا العجب من نفـوسهم فقال ما قال ، والمعنى : « أكذبتم(٢٠) وعجبتم من أن جـاء ذكر وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم ؟ ، ان ما تعجبتم منه ليس موضـع عجب ، فمن رحمة الله سبحانه ان يرسـل الرسـل ، ليرشدوا الناس الى ما فيه صـلاحهم فى الدنيا والآخرة »(٢١) ٠

ثم أخـذ هـود يذكرهم بواقعهم الذى يعيشون فيه ، لكى يحملهم على شكر الله فقال : « **واذكروا اذ جعلكم خلفـاء من بعـد قـوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحـون** » ٠

ومعنى قوله : «**واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**» ، اذكروا نعمة الله حيث(٢٢) استخافكم وجعلكم عمار الأرض بعـد قـوم نوح ، ويفهم من هـذا التذكير : قرب زمان عاد من زمان نوح ٠

ويقول « صاحب روح المعـانى » (اذ منصوب على المفعولية لقـوله « اذكروا »(٢٣) ، أى اذكروا هـذا الوقت المشتمل على النعم الجسام ، وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت ٠ دون ما وقـع فيه مـع أنه المقصود بالذات ، للمبالغـة فى ايجاب ذكره ، ولانه اذا استحضر الوقت ٠ كان هـو حاضرا بتفاصيلة) ٠

ومعنى قـوله : « **وزادكم فى الخلق بسطة** » : زادكم فى المخلوقات بسطة وسعة فى الملك والحضارة ، أو زادكم فى خلق(٢٤) أبدانكم حيث أطالها وقـواها ، فقد كانوا طـوال الأجسام أقـوياء الأبدان ٠

وقـد علق كثير من الباحثين على ما رواه المفسرون من روايات تتعلق بهؤلاء النـاس ، من ناحيـة الضخامة والقـوة ، فقـالوا : انها روايات اسرائيلية لا أصـل لهـا ، ٠٠٠

---

(٢٠) الهمزة فى قوله : « أوعجبتم » الاستفهام الانكارى ، والواو بعـدها للعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة ، وتقـديره أكذبتم ٠

(٢١) تفسير سورة الاعراف / ١١٠ ، وانظر تفسير المنار ح ٨ / ٤٩٣ ٠

(٢٢) اذ على هـذا الرأى : ظـرف ٠

(٢٣) قوله : « واذكروا » معطوف على محذوف تقـديره : لا تتعجبوا واذكروا ٠٠

(٢٤) « الخلق » على الرأى الأول بمعنى : المخلوق ، وعلى الثانى يكون مصدرا ٠ انظر المنار ، والبحر ٠

وهـذا التعليق صحيح ، فالانسان تتملكه الدهشـة وهـو يطلع على أمثال هـذه الروايات فى كتب التفسير ، ويقول : أما كان الأولى أن يضرب المفسرون عن هـذه الأقـوال صفحا ، ...

واذا أردنا أن نعرف شيئا عن قـوة أجسـام قـوم هـود وضخامتها فحسبنا أن نقرأ قول الله فى سورة الشعراء : « **واذا بطشتم جبارين** » ، وقوله فى سـورة الحاقة : « **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القـوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية** » .

ويختم هـود تذكيره بتذكيرهم نعم الله عليهم جملة لا تفصيلا فيقول :

« **واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » .

والمعنى : اذكروا النعم الكثيرة التى ترفلون فيها وتتقلبون بين جـوانبها ، وأشكروا الله عليها رجاء أن تفلحوا .

● وفى سورة هـود أجاب هـود بقوله : « **انى أشهد الله وأشهدوا أنى برىء مما تشركون . من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون . انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هـو آخـذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به ويستخلف ربى قـوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شيىء حفيظ** » .

معنى الاجـابة :

« **انى أشهد الله وأشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه** » :

أعلن هـود براءته من كل الشركاء الذين يعبدونهم من دون الله ، وأشهد الله على ذلك ، وأمرهم أن يشهدوا هم أيضا بها .

وانمـا غاير بين الشهادتين ، لان اشهاد الله شهاد حقيقى ، أما اشهادهم فالغرض منه السخرية والاستهزاء ، كما يقـول الرجل لخصمه اذا لم يبال به : أشهد على أنى قائل لك كذا[٢٥] .

---

(٢٥) انظر روح المعـانى ح ١٢ / ٨٣ ، والبحر المحيط ح ٥ / ٢٣٣ .

ويقـول « صاحب الظلال » : (المعنى انى أشهد الله على براءتى ممـا تشركون ، واشهدوا أنتم شهادة تكون حجة عليكم أننى عالنتكم بالبراءة ممـا تشركون من دون الله وعلى هـذا فاشهادهم حقيقة اقامة للحجة عليهم ، وعدل عن الخبر فيه تمييزا بين الخطابين فهو خبر فى المعنى) ٠

فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ، يأمرهم هـود عليه السلام بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا لا مـع بعضها التى سلطت عليه سهامها ، وأن يتعاون الجميع فى ايصال الكيد اليه ، ثم ينهاهم عن الامهال والانظار ، كل هذا ممـا يدل على كمال ثقـة هـود عليه السلام بالله سبحانه(٢٦) ٠

« انى توكلت على الله ربى وربكم » ٠

وبعـد التحـدى السابق لهم ولآلهتهم ، أعلن هـود توكله على الله ، فمن توكل على الله لا يخاف من كيد ولا يفزع من وعيد ٠

« ما من دبة الا هـو آخـذ بناصيتها »(٢٧) ٠

٠٠ يبين هـود لهم أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا ، لان الذى توكل عليه اله قـادر قاهر ، كل دابة فى قبضته وملكه ، وتحت قهره وسلطانه ، وهم من جملة أولئك المقهـورين ٠

ثم أخـذ هـود ينذرهم ويتوعدهم فخاطبهم قائلا : « فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قـوما غيركم ولا تضرونه شيئا أن ربى على كل شىء حفيظ » ٠

ومعنى قـوله : « فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم » ، ان تتولوا لم أعاتب على تفريط فى الابلاغ ، فان ما أرسلت به اليكم قـد بلغكم فأبيتم الا تذكيب الرسالة وعـداوة الرسول ٠

ومعنى قـوله : « ويستخلف ربى قـوما غيركم ولا تضرونه شيئا » : يهلككم ويجيىء ، بقـوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم ، ولا ينقص ملكه شيئا بهلاككم ٠

---

(٢٦) ذكر صاحب روح المعانى هذا الرأى أيضا فى تفسيره ٠
(٢٧) الناصية : مقدم الرأس ، واستعمال الأخـذ بالناصية فى القـدرة والتسلط ٠ مجـاز ٠

ومعنى قـــوله : « **ان ربى على كل شيىء حفيظ** » : ان ربى يجـــاز على الأعمال خيرها وشرها ، فالحفظ كناية عن المجازاة ٠

● وفى سورة « المؤمنون » قال هود فى اجابته : « **رب انصرنى بما كذبون ٠ قال عما قليل ليصبحن نادمين** » ٠

ومعنى قـوله : « **رب انصرنى بمـا كذبون** » : انتقم لى منهم ، بسبب تكذيبهم اياى ٠

أما قـوله : « **قال عمـا قليل ليصبحن نادمين** » فمعناه : أن الله سبحانه استجاب دعاء هـود ، فوعـده بالانتقام منهم وتطهير وجـه الأرض من أشكالهم ، وبين أنهم عندما يعاينون العـذاب سيندمون على تكذيبهم وعنادهم ، ولا يغنى عنهم ذلك شيئا ٠

● وفى سورة الشعراء لا نرى اجابة لهـود عليه السلام ٠٠

أما فى سورة الاحقاف فنرى الاجابة على هـذه السورة : « **قال انمـا العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قـوما تجهلون** » ٠

ومعنى الآية : أن هـودا يرجـع علم وقت نزول العـذاب الى الله سبحانه ويبين أنه ليس له دخـل فيه اطلاقا ، فهـو لا يقـدر على انزاله ، ولا يستطيع تعجيله ، ومن هنـا كان جـوابه مطابقا لقـولهم : « ائتنا » ، فقد أجابهم بنفى العلم عنه ، ونفى العلم عنه يتضمن أنه لا يقـدر عليه ولا على تعجيله ، لأنه لو قـدر عليه وأراده بالتعجيل لكان له علم به فى الجملة(٢٨) ٠

ثم يبين لهم وظيفته وأنها البلاغ فقط ، ومن جملة البلاغ بيـان نزول العـذاب اذا لم ينتهوا عن الشرك لا تحديد وقته ٠

وأخيرا يقول لهم : « **ولكنى أراكم قوما تجهلون** » ، وسبب وصفه لهم بالجهـل : أنهم أدخلوا طلب نزول العـذاب تحت وظيفة الرسـل ، أو المعنى أنتم تجهلون عاقبة أمركم ولا تشعرون بهـا ٠

---

(٢٨) روح المعانى بتصرف ح ٢٦ / ٢٥ ٠

وقفة مع اجابة هود :

● ان اجابة هود فى سورة الاعراف يظهر فيها : أن هودا نفى عن نفسه تهمة السفاهة ، وأنه قدم للقوم نفسه ، وكشف عن وظيفته ، وذلك بتقديم نفسه ، والاعلان عن وظيفته · ينفى عن نفسه تهمة الكذب ، ويظهر منها أيضا أنه وبخهم على تعجبهم من أن يرسل الله اليهم رسولا منهم ، وأنه ذكرهم بشىء من نعم الله لعلهم يؤمنون ·

● أما سورة هود فيظهر منها : أن هودا تبرأ من آلهتهم ، وأنه تحداهم وآلهتهم ، ثم أعلن توكله على الله الذى يخضع لسلطانه كل دابة ، وأخيرا يظهر منها أنه هددهم بالهلاك ·

● وتأتى اجابة سورة « المؤمنون » فيظهر منها : أن هودا دعا قومه ، وأن الله استجاب دعاءه ، فوعده بالانتقام منهم ·

● أما سورة الشعراء فلا نرى لهود عليه السلام اجابة ·

● وأخيرا تأتى سورة الاحقاف فيظهر منها : أن هودا أرجع علم نزول العذاب الى الله سبحانه ، ثم بين وظيفته ، وأخيرا وصفهم بالجهل ·

مما تقدم نستطيع أن نقول :

ان سورة الاعراف قد اضافت أن هودا نفى عن نفسه تهمة السفاهة بصريح العبارة بأسلوب رقيق لين ، ولعلك على ذكر من كلمة « صاحب الكشاف » التى ذكرناها سابقا ، والتى تدل على ذلك ·

واضافت : أن هودا أنكر على القوم تعجبهم من اختصاصه بالرسالة ·

واضافت استنتاجا أن القوم قد تعجبوا من ذلك فعلا ·

واذا كانت اجابة هود فى سورة الاعراف قد تحدثت عن تذكير هود لقومه · بشىء من نعم الله عليهم يتجلى فى قوله : « **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » فان هذا الحديث ليس جديدا ، فقد قال هود فى ندائه الأول فى سورة الشعراء : « **واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون** » ، ولكن مع هذا ، فقد اختلف أسلوب سورة الاعراف عن أسلوب سورة الشعراء ، وحمل الاختلاف بعض الاضافات ، فذكرت كل سورة نعما لله

سبحانه لم تذكر فى الأخرى ، فذكرت سورة الأعراف نعمة استخلاف الله قـوم هـود لقـوم نوح فى عمارة الأرض ، وذكرت نعمة الضخامة فى الابدان ٠

أما سورة الشعراء ، فقد ذكرت نعمة الانعام ، ونعمـة البنين ، ونعمـة الجنـات ، ونعمـة العيون ٠

وفـوق هـذا نرى فى كل سورة تذكيرا بنعم الله على الجملة ، فنقـول سورة الأعراف : « **فاذكروا آلاء الله** » ، وتقول سورة الشعراء : « **أمدكم بمـا تعلمون** » ويلاحظ أن التذكير المجمل اختلف مكانه فى كل سورة ، فقـد ذكر فى سورة الأعراف مؤخرا ، وذكر فى سورة الشعراء مقدما ، أى أن القرآن فى سورة الأعراف فصل بعض النعم أولا ، ثم أجمل ثانيا ، وفى سورة الشعراء : أجمل أولا ثم فصل ثانيا ٠٠

ويلاحظ أيضا أن تذكير سورة الأعـراف جاء بأسلوب هـادئ رقيق ، أما تذكير سورة الشعراء فقـد صدر بترهيب ، واقرأ قول الله : « **فاتقـوا الله وأطيعون ٠ واتقـوا الذى أمدكم بمـا تعلمون** » ٠

ونأتى الى اجابة سورة هـود فنرى أنها قـد أضافت : هـذا التحدى لهم ولآلهتهم ثم اعـلان التوكل على الله الذى يملك النواصى ، وكأن هـودا بهـذا ينفى نفيا قاطعا وحاسما أن تكون لآلهتهم قـدرة على أن تصيبه بسوء ، وكأنه أيضا ينفى عن نفسه تهمة الجنون ٠٠

أما اجابة هـود فى سورة المؤمنون ، فقـد أضافت أن هـودا دعا الله أن ينزل بهم عـذابة ٠

وأضافت أن الله استجاب دعاءه ، فوعـده بالانتقام منهم ٠

وأما اجابة سورة الأحقاف فاننا نرجىء الحديث عما اضافته حتى نعرض الاجابة الأخيرة لهـود عليه السلام فى سورة الأعراف ، وذلك لانهـا تتفق مـع اجابة سورة الاحقاف ، من ناحية أنها كانت مثلها ردا على طلب نزول العـذاب الذى تبجح به القـوم ٠

الاجابة الأخيرة فى سورة الاعراف :

تقـدم أن اجابة هـود الأولى انتهت عنـد قوله « ٠٠٠٠٠٠ **فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » ، فماذا قال القـوم له ردا على هـذا الكلام ؟ لقـد قالوا كما

حكى القرآن : « .. **أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » .

ومعنى هذا الكلام أن القوم أنكروا عى هود أن يأمرهم بعبادة الله وحده ، وأن يتركوا عبادة آلهتهم التى درجوا عليها ، ويبدو من قولهم : « لنعبد الله وحده » أنهم كانوا يعترفون بالله ويقرون بربوبيته ولكن مع آلهة أخرى .

ثم طلب القوم فى استهتار وبلا مبالاة نزول العذاب بهم فقالوا : « **فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » ، ولكن النص طوى ذلك ولم يصرح به .

اجابة هود :

أجاب هود القوم بقوله : « **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين** » .

ومعنى قوله : « **قد وقع عليكم من ربكم رجس**(٢٩) **وغضب** » ، قد حق ووجب عليكم من الله عذاب وسخط بسبب اصراركم على الكفر والعناد .

وعبر عن العذاب المتوقع وقوعه بأنه : « **قد وقع** » ، مبالغة فى تحقق الوقوع ، وعطف الغضب على الرجس ، للاشارة الى أن ما سينزل بهم من عذاب هو انتقام لا يمكن دفعه ، حيث أنه صادر من الله الذى غضب عليهم بسبب كفرهم(٣٠) .

وبعد أن أنذرهم هود بوقوع العذاب ، ووبخهم على مجادلتهم له بالباطل فقال : « **أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** » .

---

(٢٩) الرجس والرجز بمعنى ، وأصل معناه الاضطراب ، ثم شاع فى العذاب ، لاضطراب من حل به .

(٣٠) انظر تفسير سورة الأعراف .

ومعنى قـوله : « **أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم** » : ان خصامكم متوجه الى شيىء لا تصح فيه المخاصمة ، أتخاصموننى فى ألفاظ ـ أسماء ـ ليس تحتها مدلول يستحق العبادة(٣١) ٠

فأنت ترى أن هـودا قـد حول آلهتهم الى مجرد أسماء لا تبلغ أن تكون شيئا وراء الاسم الذى يطلق عليها ، وهـذا أعمق فى الانكار عليهم والاستهزاء بعقـــولهم ٠

أما قـوله : « **ما أنزل الله بها من سلطان** » فمعناه : ما أنزل الله بها من حجة أو دليل يؤيد زعمكم من ألوهيتها ، أو فى كونها شفعاء لكم عند الله ٠

ثم هـددهم بالعاقبة المقررة المحتومة فقال : « **فانتظروا انى معكم من المنتظرين** » ، أى : انتظروا نزول العـذاب الذى طلبتموه بقـولكم : « **فأتنـا بما تعـدنا ان كنت من الصـادقين** » ٠

ممـا نقـدم نستطيع أن نقـول :

أن القـوم قـد طلبوا من هـود فى استهتار وبلا مبـالاة نزول العـذاب فى سورتى الأعراف والاحقاف ، واجابهم هـود فى كل سورة اجابة تختلف عن الأخرى وتضيف جـديدا ٠

فاجابة سورة الأحقاف أضافت أنه لا يقـدر على انزال العـذاب ، ولا على تعجيله ، ومن هنا فلا علم له به ، لانه لو قـدر عليه ، أو استعجله كان له به علـــم ٠

أما اجابة سورة الاعراف ، فقد اضافت أن له علما به استنتاجا ، وذلك ، لأنه أجابهم أنه واقـع بهم لا محالة ٠

اذن فقـد اختلفت الاجابتان ، واضافت كل منهما جـديدا ، وفـوق هـذا ، فان ما اضافته كل منهما يبدو متناقضا ، فكيف ذلك ؟؟

ويجاب بأن هودا فى سورة الاحقاف لم يكن على علم بالعـذاب ، لا بنزوله وعـدم نزوله ، ولا بوقته وموعده ، ثم أعلمه الله بعـد ذلك ، وقـد يؤيد هـذا

---

(٣١) ويحتمل أن يكون المراد من الاسماء المسميات ، وعلى هـذا فهناك مضاف محذوف تقديره : ذوات أسماء ٠٠ انظر البحر المحيط ح ٤ / ٣٢٦ ٠

ما ذكره « صاحب البحر » فى تفسير قـوله تعالى على لسان هـود : « **وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قـوما تجهلون** » فقد قال فى معناه : (انما أنا مبلغ ما أرسلنى به الله اليكم ، ولـما تحقق عنده وعـد الله وأنه حال بهم وهم فى غفلة من ذلك وتكذيب قال : « ولكنى أراكم قـوما تجهلون » أى عاقبة أمركم لا شعور لكم بها وذلك واقـع لا محالة)(٣٢) ٠

وكان صاحب البحر يريد أن يقول : ان هـودا لم يكن على علم بالعـذاب ، ومن هنا أعلن عن وظيفته ، ثم أعلمه الله بعـد ذلك وقبل أن يختم كلامه ٠
وهـذا الكلام وجيه ، ولكن تقطيع الآية على هـذه الصورة ٠ فى النفس منه شيىء ، والأولى أن يقال : انه علم بعـد ذلك ٠

الحـديث عن النهـاية :

● فى سورة الاعراف يقـول سبحانه : « **فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر اللذين كذبوا(٣٣) بآياتنا وما كانوا مؤمنين(٣٤)** » ٠

المعنى : يبين الله فى هذه الآية أنه نجى هـودا من آمن معه ، أما الكافرون فقد استأصلهم وقطع دابرهم ، وكان ذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم ٠

وقطع الدابر : كناية عن الاسـتئصال يقال : قطع الله دابره ، أى أذهب أصـلـه ٠

● وفى سورة هـود يقول سبحانه : « **ولـما جاء أمرنا نجينا هـودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عـذاب غليظ ٠ وتلك عاد جحـدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ٠ وأتبعوا فى هـذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم ألا بعـدا لعاد قـوم هـود** » ٠

معنى قـوله : « **ولـما جاء أمرنا نجينا هـودا والذين آمنوا معـه برحمة منـا** » ٠

---

(٣٢) البحر المحيط ح ٨ / ٦٤ ٠
(٣٣) جملة «كذبوا بآياتنا» يفهم منها كما يقول صاحب ؟ : أنه كانت لهود معجزات ، ولكنها لم تعين لنـا ٠
(٣٤) جملة « وما كانوا مؤمنين » مؤكدة لقوله : « كذبوا بآياتنا » ٠٠ انظر تفسير **سورة الأعراف** ٠

لما جاء العذاب لم ينج منه الا المؤمنون وعلى رأسهم هود ، وذلك برحمة الله وفضله ، فالمراد بالأمر : العذاب ٠

وقوله : « **ونجيناهم من عذاب غليظ** » معناه : ونجيناهم من غذاب شديد فظيع(٣٥) وكرر النتيجة ، لأنه حين أهلك عدوهم ذكر أنه نجاهم عند ذاك ، ثم أراد سبحانه ـ والله أعلم بمراده ـ أن يحدد درجة العذاب الذى نجاهم منه فقال : « **ونجيناهم من عذاب غليظ** »(٣٦) ٠

أما قوله : « **وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد** » فمعناه أن عادا كفرت بمعجزات هود أو بالآيات المنتشرة فى هذا الكون(٣٧) ، وعصوه عندما دعاهم الى الله ، وعصيانه عصيان لجميع الرسل ، واتبعوا أمر كل طاغية متسلط لا يذعن للحق ، بل ويحاول صرف الناس عنه ، واجبارهم على ما يريد ٠

ثم يبين القرآن أن هلاك عاد كان مشيعا باللعنة والطرد من رحمة الله ، وأن ذلك لم يقتصر على الدنيا ، بل فى يوم القيامة تتبعهم هذه اللعنة فيقول سبحانه : « **واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة** » ٠

ثم يكشف القرآن سبب ما أصابهم من عذاب ولعنة فيقول : « **ألا ان عادا كفروا(٣٨) ربهم** » ٠

وأخيرا تختم القصة بقوله سبحانه : « **ألا(٣٩) بعداً لعاد قوم هود** » ٠

وهذا دعاء عليهم بالهلاك والبعد من الرحمة بعد أن هلكوا ، تسجيلا باستدامة ذلك عليهم ، ويصح أن يراد أن هلاك قوم هود كان مشيعا بالبعد من رحمة الله بلا أسف ولا أسى عليهم ٠

---

(٣٥) انظر تفسير المنار ٩٩/١٢ ٠
(٣٦) انظر البحر المحيط ح ٥ / ٢٣٥ ٠
(٣٧) أغلب الظن أن هذا هو الأرجح ٠
(٣٨) عدى « كفر » بنفسه : اجراء له مجرى « جحد ، وعدى » جحد بالباء اجراء له مجرى « كفر » ، والضمير فى قوله : « واتبعوا » عام فى جميع عاد ٠
(٣٩) كرر حرف التنبيه فى الدعاء عليهم ، لاظهار أهمية هذا الدعاء ، ويبدو أنه يستفاد منه أيضا : الحث على الاعتبار بالقصة ٠ انظر : روح المعانى ، والبحر المحيط ، والمنار ٠

● وفى سورة المؤمنون يقـول سبحانه : « **فأخـذتهم الصيحة بالحـق فجعلناهم غثاء فبعدا للقـوم الظالمين** » ٠

ومعنى قوله : « **فأخـذتهم الصيحة بالحـق** » أخـذتهم العقوبة الشديدة بالوعـد الصدق الذى وعـد الله به هـودا فى ضمن قوله : « **عما قليل ليصبحن نادمين** » ٠

أما قـوله : « **فجعلناهم غثاء** » فمناه : فجعلناهم كغثاء السيل ، وهـو يحمله من الورق والعيدان البالية ٠

وأما قـوله : « فبعدا للقوم الظالمين » فمعناه مثل معنى قـوله سبحانه : « **ألا بعـداً لعـاد قـوم هـود** » ٠

● ونرى سورة الشعراء تقـول : « **فكذبوه فأهلكناهم** » ، فتذكر السبب والنتيجة ، ثم تعقب بهـذا القول : « **ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٠ وان ربك لهـو العزيز الرحيم** » ٠

● ونأتى الى سورة الأحقاف فنراها تقول : « **فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هـذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عـذاب أليم تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يروا الا مساكنهم وكذلك نجزى القوم المجـرمين** » ٠

المعنى :

« **فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم** » لمـا رأوا سحابة قبالة أوديتهم « اعتقدوا أنه عارض ممطر ، ففرحوا واستبشروا ، لأنهم كانوا فى حاجة الى المطر »(٤٠) ، فالضمير فى قوله : « **رأوه** » مبهم ، يفسره قوله « **عارضا** »(٤١) ٠
« بل هـو ما استعجلتم به ريح(٤٢) فيها عـذاب أليم » ٠

أخبرهم هـود أنه العذاب الذى استعجلوه بقـولهم : « **فأتنـا بمـا تعـدنا ان كنت من الصادقين** » ، ثم يبين هـود نوع العذاب ، وأنه ريح عاتية ، ويلاحظ

---

(٤٠) ابن كثير بتصرف ٠
(٤١) وقـوله « عارضا » : تمييز ٠
(٤٢) قـوله « ريح » بدل من « ما » من قـوله « ما استعجلتم » ٠

أن الكلام على اضمار القول قبله والتقدير : قال هود : « **بل هـو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم** » ، وذلك لان الخطاب بينه وبينهم ، ولا يصح أن يكون من قـولهم ، لانه على هـذا يكون اضرابا ٠

« **تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا**(٤٣) **لا يرى الا مساكنهم** » ٠

تدمر من أمرت بتدميره ، فقوله : « **كل شيء** » عام مخصوص ، واضافة الرب الى الريح ، وذكر الامر ، لبيان أنها مأمورة من جهة مالكها ومصرفها ٠

وكانت النتيجة أن بادوا عن آخرهم ولم تبق لهم باقية ٠

« **كذلك نجـزى القـوم المجرمين** » ٠

تسجيل بأن هلاكهم كان بسبب اجرامهم وبعدهم عن الله ٠

مما نقـدم نستطيع أن نقول :

ان حديث السور السابقة عن النهاية يتفق فى أن الله سبحانه نجى هودا ومن آمن معه ، وقطع دابر الكافرين بسبب كفرهم وتكذيبهم ، ولكن مع هـذا نرى اختلافا فى العرض واضافات فى بعضها ٠ فقد اضافت سورة هـود أن الجبارين المتسلطين قـد نجحوا فى صرف الناس عن هود عليه السلام ، نعم قـد يستفاد من سورة الأعراف ، وسورة المؤمنون أن الأشراف حاولوا صرف الناس عن هـود ، ولكن لا يستفاد نتيجة هـذه المحاولة ، التى دلت عليها سورة هود ، فقد عبرت سورة هود عن النتيجة بقولها : « **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** » ٠

واضافت سورة الاحقاف : تحـديد نوع العذاب وأنه الريح ٠

وانك تستطيع أن تلمح شيئا من الفرق بين الأسلوب فى كل سورة أثناء حديثها عن درجة العـذاب ونتيجتـه ٠

وتستطيع أيضا أن تلمح شيئا من الفرق فى الأسلوب بين التعقيبات التى ذكرت فى خاتمة القصة فى بعض السور ٠

ونكتفى بذلك ، والله أعلم ٠

---

(٤٣) الفـاء فى قوله « فأصبحوا » فاء النصيحة أى نجاتهم فدمرتهم فأصبحـوا ٠

هـذه هى المواضع التى ذكرت فيها القصة بتفصيل • أما المواضع التى ذكرت فيها القصة بايجاز ، فهى سورة القمر ، وسورة الذاريات ، وسورة الحاقه ، وأظهر ما يستفاد من قصة هـود فى هـذه المواضع : نوع العذاب ، ومدته ، ودرجته ، ونهاية القـوم أو مصارعهم •

ويصح أن نقول : ان قصة هـود فى تلك المواضع كانت اشارات سريعة خاطفة تجلى فيها ما ذكر ، ••

ففى سورة القمر يقول سبحانه : « **كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ـ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر • تنزع الناس كأنهم أعجاز نخـل منقعر • فكيف كان عـذابى ونذر** » •

وفى سورة الذاريات يقول سبحانه : « **وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميـم** » •

وفى سورة الحاقة يقول عز وجل : « **وأما عاد فاهلكوا بريح صرصرا عاتية • سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية • فهل ترى لهم من باقية** » •

قصة صالح
عليه السلام

بين يدى القصـــة

لقـد ذكرت هـذه القصة فى كثير من سـور القرآن · وكانت تعـــرض بتفصيل أحيـــانا ، وبايجـاز أحيانا أخرى ·

ومن المواضـــع التى ذكرت فيهـا القصـــة بتفصـيل : سورة الأعراف ، وسورة هـــود ، وسورة الشعراء ، وسورة النمل ، وسورة القمر ·

أما المواضع التى ذكرت فيها القصـة بايجاز فهى : سورة الحجر ، وسورة فصلت ، وسورة الذاريات ، وسورة النجم ، وسورة الحاقـة ، وسورة الشمس ·

وجهة نظرنا فى الحكم على القصـة بالايجاز والاطناب هى نفس الوجهة التى عرضناها فى قصـة نوح ··· وانما أدخلنا سورة « القمر » فى جملة السور التى عرضت القصـة بتفصيل وان لم يظهر فيها عنصر الحـوار ، لأن سورة القمر جرى فيها حـوار بين القوم بعضهم وبعض ، وجرى فيها خطـاب تقـديرى وجهه صـالح الى القـوم كما سنرى عند عرض الآيات ·

وتتلخص هـذه القصـة فى تلك المواضع التى ذكرت فيها بتفصيل : فى المحـاورة التى دارت بين صـالح وبين القـوم ، وفى الحـديث عن الناقة ، ثم فى الحـديث عن النهـاية ·

أما الافتتاح هنـا ، فاننا لانكاد نرى اختـلافا أو اضافات اللهم الا افتتاح سـورة الشعراء ، وقـد سبق الحـديث عن الاضافات التى يمكن أن نأخـذها منه ، ومن هنا فلن نقف عند افتتاح قصـة صالح فى تلك السور ، ولكننا سنقف عند النقـاط السابقة فى تلك المواضع ، لنرى ما هى الاضافات التى يحملهـا كل عـرض ·

وأما المواضع التى ذكرت فيها القصـة بايجاز فهى اشارات سريعة خاطفة أبرزت نهـاية القـوم ومصارعهم ، وسنحاول أن نكشف شيئا من أسباب ايجـازها فى تلك المواضع ، وكلامنا فى هـذا لن يكون خاصا بقصة صـالح وحـدها وانما يصلح لهـا ولغيرها من القصص السابق واللاحق ·

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وإلى ثمود

أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ
ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا
مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

(من سورة الأعراف)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَإِلَىٰ ثَمُودَ

أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ
إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ
إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾
وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

(من سورة هـود)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَلَقَدْ كَذَّبَ

أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(من سورة الحجر)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ
بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا
إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ
شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

(من سورة الشعراء)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ
صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ
أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ
بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

(من سورة النمـل)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا
الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

(آية ١٧ ، ١٨ من سورة فصلت)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ
يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾

(آية ٤٤ ، ٤٥ من سورة الذاريات)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾

(آية ٥٠ ، ٥١ من سورة النجم)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا
وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن
بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ
الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ
فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

(آية ٢٣ الى ٣٢ من سورة القمر)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

(آية ٤ ، ٥ من سورة الحاقة)

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم
بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

(آية ١١ الى ١٥ من سورة الشمس)

النـداء الأول :

● تتحـدث سورة الأعراف عن هـذا النداء فتقول : « .... **قال يا قـوم اعبـدوا الله ما لكم من اله غيره قـد جاءتكم بينة من ربكم هـذه ناقة الله لكم آية فـذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخـذكم عـذاب أليم . واذكروا اذ جعلكم خلفـاء من بعـد عاد وبوأكم فى الأرض تتخـذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين** » .

المعنى :

توضح الآية الأولى أن صالحا دعا قـومه الى الله ، فطالبهم أن يعبـدوه وأن يقـروا بوحـدانيته ، ثم قـدم لهم دليـلا على نبوته ، وهـذا الدليـل هـو الناقـة ، والسياق هنا لم يذكر تفصيلا عن الناقـة أكثر من أنها بينة ، وأنها ناقة الله وفيها آية منه ، ثم طلب صالح من قـومه أن يتركوا هـذه الناقة حرة طليقة وأن لا يتعرضوا لهـا بأذى فيهلكوا بعـذاب أليم .

وتوضح الآية الثانية أن صالحا ـ بعـد كلامه السابق ـ أخـذ يذكرهم بشيىء من نعم الله فقد أنعم عليهم بجعلهم خلفاء لقبيلة عـاد فى الحضارة والعمران ، والقـوة والبأس ، وأنعم عليهم بأن أسكنهم هـذه الأرض التى يعيشون فوقها ، وعلمهم فن البناء ، وفن النحت ، فاتخـذوا الدور فى السهول وفى الجبال ، وأخيرا يذكرهم بنعم الله اجمالا ، وينهاهم عن الفساد .

● وتتحـدث سورة هـود عن هـذا النداء فتقول : « .... **قال يا قـوم اعبـدوا الله ما لكم من اله غـيره هـو أنشـأكم من الأرض واسـتعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب** » .

ونرى هنا أن صالحا بعـد أن دعا الى الله يذكرهم بنعمة الخلق ونعمة الحياة فيقول : « هـو أنشأكم من الأرض » ، ثم يذكرهم بأن الله سبحانه مكنهم من عمارة الأرض ، فعلمهم أسـباب عمرانها(١) ، وطالبهم بعـد ذلك بالرجوع الى الله عن طريق الايمـان ، ثم طالبهم بالرجوع الى الله كلما وقـع منهم ذنب أو خطـأ .

● أما سورة الشعراء فتقول فى هـذا النداء : « **اذ قال لهم أخـوهم صالح ألا تتقـون . انى لكم رسول آمين . فاتقـوا الله وأطيعون . وما أسـألكم عليه**

---

(١) كالزراعـة ، والصناعة ، والنحت .

من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • أتتركون فيما هاهنا آمنين • فى جنـات وعيون • وزروع ونخل طلعها هضيم • وتنحتون من الجبال بيـوتا فارهين • فاتقـوا الله وأطيعون • ولا تطيعوا أمر المسرفين • الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحـون » •

وصالح فى هـذا النداء ينكر عليهم عـدم التقوى ، ويقـدم لهم نفسه ، ويطالبهم بتقـوى الله وطاعته هـو ، ثم يبين لهم أنه لا يبتغى أجرا على دعوته ، فأجـره على الله وحـده ، وبعـد ذلك أنكر عليهم أن تدوم الحياة لهم على هذه الصورة الهانئة الوادعة مـع مسلك الجحود والكفران ، وكأنه يقول لهم : انكم لن تتركوا آمنين فيما حـولكم من حـدائق وأنهار ، ومن زروع مثمرة ، ونخل قد أينـع واستوى ، ثم يكرر أمره بتقـوى الله وطاعته هو ، ويحذرهم من طاعـة الذين يسرفون فى المعاصى ولا يصلحون اطلاقا •

● وتأتى سورة النمـل فنرى النداء فيها على هـذه الصورة : « •••• **أن اعبـدوا الله** » •

وصالح هنـا يأتى نداؤه موجزا مختصرا •

ولا نرى فى سـورة القمر نداء •

وقفـة مـع نداء صالح :

ممـا نقـدم نستطيع أن نقـول :

● ان كل نداء قـد بين أن صالحا دعا قـومه الى التوحيد ، ولكن مع هـذا الاتفـاق نرى اضافات تحملها غالب النـداءات •

● فنداء سورة الأعراف قـد اضاف أن صالحا ذكر قـومه بأن الله جعلهم خلفـاء من بعـد عاد فى الحضارة والعمران ، والقـوة والبأس ، وذلك قـوله : « **واذكروا اذ جعلكم خلفـاء من بعـد عـاد** » •

● واذا كان نداء سورة الأعراف قـد أبرز فى معرض تذكير صالح لقومه : تذكيره بان الله أسكنهم فـوق هـذه الأرض التى يعيشون فوقها وعلمهم فن البناء وفن النحت ، فاتخـذوا الدور فى السهول وفى الجبال ، •• ويظهـر ذلك من قـوله : « وبوأكم فى الأرض تتخـذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبـال بيـوتا » •••• فان نداء سورة هـود يشترك معه فى ذلك ، ويظهر هـذا من قول صالح لقـومه : « **واستعمركم فيها** » ، فقـد تقـدم أن المعنى : مكنكم من

عمارة الأرض ، فعلمكم أسباب عمرانها .... لكن هـذا التذكير جاء فى سورة الأعـراف مفصلا ، وجـاء فى سورة هود مجملا .

● وتضيف نداء سورة هـود فى معرض التذكير : تذكير صالح لقـومه بنعمة الخلق والحياة ، وذلك قـوله : « هـو أنشأكم من الأرض » .

● ويضيف نداء سورة الشعراء : ان صالحا بين لقـومه أنه لا يطلب أجرا على دعـوته ، فأجره على الله وحـده ، ويبـدو أن القـوم قـد وقع فى نفوسهم هـذا ، أو صرحوا به ، ولكن النص طـوى ذلك ، وجاء بمـا يدل عليه وهو قوله سبحانه على لسان صالح : « **وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العـالمين** » .

ويضيف نداء سورة الشعراء أن صالحا أنكر عليهم أن يتركوا آمنين فيما حـولهم .

ويظهر فى هـذا الانكار ضروب أخرى من نعم الله التى أنعم بها عليهم ، لا تظهر فى سورة الأعراف ، ولا فى سورة هـود ، وذلك قـوله : « **فى جنـات وعيون وزروع ونخـل طلعها هضيم** » .

ومن هنا نقول : انه وهـو ينكر عليهم ذكرهم بنعم أخرى غير التى ذكرهم بها فى معرض التذكير فى سورة الأعراف وفى سورة هـود .

ويضيف هـذا الانكار استنتاجا أن صالحا يهددهم بزوال هـذه النعم ، فكأنه يقول لهم : انكم لن تتركوا آمنين فيما حـولكم ، فأحـذروا أن تتقلب بكم الأيام ، فتزول عنكم هـذه النعم .

ويضيف أن صالحا نهاهم عن طاعة المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، ويبدو أن المراد بهم : الرؤساء والأشراف ، فهم الذين يفسدون دائما ، بمحاولاتهم المتكررة صرف الناس عن دين الله ، وقـد رأينا موقفهم من نوح عليه السلام ، ورأينا أيضا موقفهم من هـود ، وسنرى موقفهم – بشىء من التفصيل – من صالح .

اجابة القـــوم :

تتحـدث ســـورة الأعراف عن هـذه الاجابة فتقول : « **قال المـــلأ الذين استكبروا من قـومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسـل من ربه قالوا انا بمـا أرسل به مؤمنون** » .

المعنى :

هـذه محاورة دارت بين السادة الكفرة ، وبين المستضعفين المؤمنين ـ بعد أن دعا صالح الى الله ـ ولقـد بدأ السادة الحـديث بقولهم للمستضعفين : أتعرفون أن الله أرسلة وحمله التبليغ ، فأجاب المستضعفون : « انا بمـا أرسل به مؤمنون » ، ولم يقولوا : نعلم أنه مرسل ، أو ليس بمرسل ، ليظهروا أن كونه مرسلا أمر لا يقبل المنافسة ، لانه واضح لا غموض فيه (وانما الكلام فى وجـوب الايمان ، فنخبركم انا به مؤمنون[٢] ، فرد الكفرة قائلين « انا بالذى آمنتم به كافرون » ، ولم يقولوا : انا بمـا أرسل به كافرون خـوفا من أن يظهر فى كلامهم الاقرار برسالته ، فذلك يتضمن الشهادة على أنفسهم أنهم يحجدون الحـــق[٣] ٠

وتتحـدث سورة هـود عن هـذه الاجابة فتقول : « **قالوا يا صالح قـد كنت فينا مرجـوا قبل هـذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شـك ممـا تدعـونا اليه مريب** » ٠

المعنى :

يا صالح قـد كنت موضع رجائنا عندما ينزل بنا أمر من الأمور ، بمالك من عقـل راجح ورأى سديد ، فلمـا دعوت الى هـذا انقطع رجاؤنا منك ، واننا لفى شـك كثير من دعوتك هـذه ٠

أما اجابة القـوم فى سورة الشعراء فنراها على هـذه الصورة : «**قالوا انما أنت من المسحرين ٠ ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين** » ٠

المعنى :

أنت مسحور قـد غاب عقلك ومن هنا فأنت تهـذى بما لا تعرف ، ثم أبدوا أنه مسحور بكونه بشرا يماثلهم فى البشرية ، ويبدو أن غرضهم من مجمـوع الأمرين نفى رسالته ، وأخـيرا طالبـوه بآية تدل على صـدقه فى دعـــواه النبـوة ٠

وتأتى سورة النمل فنراها تقول فى اجابة القوم : « **فاذا هم فريقـان يختصـمون** » ٠

---

(٢) تفسير الكشاف ، وانظر المنار ٠
(٣) الكشاف ، والمنار ٠

والاجابة هنا لا تستفاد من عبارة النص ، وانما تستفاد من السياق ، فقد أفادت العبارة أن القـوم قد بادروا صالحا بالمجادلة والخصـومة ، ويسكت النص فلا يصرح بكلامهم الذى أعلنوا به هـذه الخصومة ٠

ويبدو أنهم بعـد أخـذ ورد وجـدال ومناقشة أظهر القوم فيها نفـورهم ، فوعـدهم صالح بالعـذاب ، فطلبوا منه أن ينزل بهم ما توعدهم به ، ويدل على هـذا اجابة صالح لهم ، فقد قال فى اجابته : « **يا قـوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أو لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** » ٠

وعلى هـذا فالمراد بلفظة « فريقان » صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد ٠ هكذا قال صاحب الكشاف ، ويعلق صاحب البحر بقوله : « **فجعل ـ يقصـد الزمخشرى ـ الفريق الواحد هو صالح ، والفريق الآخر قومه** » ثم يقول فى توضيح المعنى : (واذا هنا هى الفجائية والعطف بالفاء يقتضى التعقيب ، فكأن المعنى أنهم بادروا بالاختصام متعقبا دعـاء صالح اياهم الى عبادة الله) ٠

وأما اجابة القـوم فى سورة القمر فتقـول : « **فقـالوا أبشرا منـا واحـدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسـعر ألقى الذكر عليه من بيننا بل هـو كذاب أشـر** » ٠

وهذه محاورة دارت بين قوم صالح فقد قال بعضهم لبعض بعد أن دعاهم صالح الى الله « ابشرا منا واحـدا نتبعه » ، وهـذه العبارة تفيد موقفهم من قضية الايمان ، وأنهم لا يمكن أن يتبعوه ، فهو بشر من جنسهم ، وواحـد من أحادهم لا من أشرافهم ، ويؤيد أن المراد بقولهم « واحـدا » ما ذكرنا : التنكير الذى يدلى على عـدم التعيين ٠

ثم قالوا « **انا اذا لفى ضلال وسعر** » ، والمعنى : انا اذا اتبعنا بشرا من جنسنا وواحـدا ، نكون فى ضلال وجنـون » ٠

ثم انكروا اختصاصه بالرسالة فقالوا « أألقى الذكر عليه من بيننا » وأخيرا انتقلوا الى وصفه بالكذب والطمع ، فقالوا « بل هـو كذاب أشر » ، أى : هـو كذاب دفعه الطمع الى أن يقول: انه رسول اختصه الله بالرسالة ٠

واذا كان قولهم : « أبشر منا واحـدا نتبعه » يفيد أنهم لن يتبعـوه ، فكل عبارة قالوها بعـد قولهم هـذا تفيد ذلك وتؤكده ٠

انظر البحر المحيط فى تفسير الآية ، وانظر الكشاف ٠

ممـا نتقـدم نستطيع أن نقـول :

ان كل اجابة أجاب بها القوم صالحا عليه السلام يظهر فيها اضافات لا توجـد فى الأخرى ٠

● فسورة الاعراف تبرز الاجابة فى صورة محاورة لا تدور بين صالح وبين قـومه وانما تدور بين الكفرة والمؤمنين ، وانما اعتبرنا هـذه المحاورة اجابة ، لاننا نرجح أن صالحا حضرها وفهم موقف القـوم منها ٠

ولقـد حاول الكفرة فى هـذه المحاورة صرف المؤمنين عن دين الله فلم يفلحوا ، ويبدو أن غرضهم من هـذا السؤال : « اتعلمون أن صالحا مرسل من ربه » التهـديد والترهيب ومن هنـا ٠ فاننـا نقول أن سورة الاعراف قـد اضافت محاولة صرف المؤمنين عن دين الله ، وكيف كان ذلك ؟

● وتضيف اجابة سورة هـود : مكانة صالح فى نفـوس قـومه قبل أن يدعـو الى دين الله ، وأنه كان محل رجائهم ، فلما دعا انحطت مكانته ٠ ويظهر ذلك من قولهم : « قالوا يا صالح قـد كنت فينا مرجـوا قبل هـذا » ٠

● وتضيف اجابة سورة الشعراء : أن القـوم قـد تطاولوا على صـالح فاتهموه بأنه كالمسحور الذى يهذى بمـا لا يعرف ، ويظهر ذلك من قـولهم : « انما أنت من المسحرين » ٠

● وتضيف أنهم طالبوه بآية تدل على صـدقه فى دعواه النبوة ، ويظهر ذلك من قـولهم : « فأت بآية ان كنت من الصادقين » ٠

● وتضيف اجابة سورة النمل استنتاجا من قـوله سبحانه : « فاذا هم فريقـان يختصمون » ٠

ومن اجابة صالح : « **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسـنة** لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون » ، تضيف استنتاجا من هـذا وذاك أن القوم قـد طلبوا من صالح أن ينزل بهم العـذاب الذى توعدهم به ، وقـد تقـدم ذلك ٠

واذا كانت سورة الاعراف قـد أفادت أن القـوم قد طلبوا من صالح نزول العـذاب الذى توعـدهم به ، ويظهر ذلك من قـولهم له فيها « يا صالح

انظر الظلال ح ٧/٢١٢ طبع الحلبى ٠

ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين » ، فانها قد أفادت أن طلبهم هذا كان بعد عقر الناقة ، ويبدو من السياق فى سورة النمل أن القوم قد طلبوا ذلك قبل الحديث عن الناقة مطلقا ، ويؤيد هذا أن التعبير السابق وهو قوله : « **فاذا هم فريقان يختصمون** » تدل « الفاء » ، فيه على المبادرة والتعقيب بالخصومة لصالح بعد الدعوة الى الله ، وعلى فرض أنه كان بعد الدعوة ، وبعد الحديث عن الناقة كمعجزة ، فانه كان قبل عقر الناقة ٠

وعلى هذا فالغالب على الظن أنهم طلبوا ذلك مرتين ، وتكون سورة الاعراف بهذا قد أضافت جديدا ، وكذلك سورة النمل ٠

● أما اجابة سورة القمر فهى محاورة دارت بين القوم بعضهم وبعض تواصوا فيها بعدم اتباع صالح عليه السلام ٠

وتضيف هذه الاجابة بيان منزلة صالح الاجتماعية ، فقد أظهر القوم أن من أسباب عدم اتباعه أنه واحد من عامة القوم لا من أشرافهم وسادتهم ، ويظهر ذلك من قولهم « واحدا » فى قوله سبحانه « أبشرا منا واحدا نتبعه » ٠

وتضيف اتهامهم له بالطمع ، فصالح فى نظرهم له مأرب دنيوى فى دعواه ٠

أما اتهامهم له بالكذب فهو ليس اضافة انفردت به سورة القمر ، فقد أظهرت سورة الأعراف ذلك فى قولهم له « **يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين** » فالتعبير بلفظة « ان » يفيد ترجيح جانب التكذيب على جانب التصديق ، ويظهر فى سورة الشعراء على هذه الصورة أيضا فى قولهم « فأت بآية ان كنت من الصادقين » ، ويظهر فى سورة هود فى قولهم : « واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب » ، فالشك الكثير الذى يحدث فى النفس قلقا واضطرابا ، ترجح لجانب التكذيب ٠

● واذا كانت سورة الشعراء قد أبرزت أن القوم قد أنكروا رسالة صالح ، بحجة أنه بشر يماثلهم فى البشرية ، فان سورة القمر قد أبرزت ذلك أيضا ، واضافت فوق ذلك التصريح بتعجبهم من اختصاصه بالرسالة ، ويظهر ذلك من قولهم : « **أألقى الذكر عليه من بيننا** » ، يعنى على فرض التسليم بشرية الرسول فلماذا ينزل الذكر عليه ويتركنا ٠

رد صـــالح :

تتحـدث سورة هـود عن اجابة صالح ورده على القـوم فتقول : « **قـال يا قـوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قـوم هـذه ناقـة الله لكم آية فـذروها تأكل من أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخـذكم عـذاب قريب** » ٠

المعنى :

« **قال يا قـوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة** » ٠

يا قوم أخبرونى ان كان الله سبحانه قـد أعطانى النبوة وأيدنى بالمعجزة التى تدل على صـدقى ٠

« **فمن ينصرنى من الله ان عصيته** » ٠

لا أحـد ينصرنى من الله ويدفـع عنى عقابه ان كتمت رسالته ، وحرصت على رجائكم فى ٠

« **فمـا تزيدوننى غير تخسير** » ٠

« **لا تزيدوننى غير ايقـاع من الخسران** » ٠

« **ويا قـوم هـذه ناقة الله لكم آية فـذروها تأكل من أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخـذكم عـذاب يوم عظيم** » ٠

(لا يذكر السياق هنا صفة لهـذه الناقة التى أشار اليها صالح ، لتكون آية لهم وعلامة ، ولكن فى اضافتها لله « هـذه ناقة الله » ، وفى تخصيصها لهم « لكم آية » ، ما يشير الى أنها آية لهم من الله ، ونكتفى بهـذا دون الخوض فى ذلك الخضم من الأساطير والاسرائيليات التى تفرقت بها أقوال المفسرين حـول ناقة صالح(٤) ، وبعـد أن حـدد لهم صالح آية صـدقه ودليل نبوته ، أمرهم أن يتركوها حرة طليقة تأكل فى أرض الله ، وأن لا يتعرضوا لها بأذى فيهلكـوا ٠

وفى اضافة الأرض لله ، دليل على أنها كانت ترعى فى أرض ليست مملوكة لاحـد ، ومن هنا فلا ضرر عليهم فى بقائها ، فاذا أصابوها بسـوء فقد تجاوزوا الحـد فى الظلم والاعتداء ٠

---

(٤) الظـلال ح ١١/٥٢ ٠

● وفى سورة الشعراء يقـول صالح : « **قال هـذه ناقـة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء فيأخـذكم عـذاب يوم عظيم** » •

المعنى :

بعـد أن طلب القـوم من صالح آية تدل على صـدقه أعطاه الله الناقـة دليلا على ذلك ، فقال لهم : « هـذه ناقة » ، وكانت الناقـة أمامهم حاضرة مشاهدة ، ثم بين أنها سترد المـاء يوما ويردونه يوما « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » ، ثم نهاهم أن يتعرضوا لهـا بسوء حتى لا يهلكوا ، « ولا تمسوها بسوء فيأخـذكم عـذاب يوم عظيم » •

● وفى سورة النمل يجيب صالح القـوم بقـوله : « **قال يا قـوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** » •

المعنى :

أنكر عليهم صالح أن يستعجلوا بالعـذاب ولا يطلبوا الهـداية ، وحاول أن يوجههم الى الاستغفار لعـل الله يدركهم بالرحمة •

ولقـد كان يبلغ من فساد القلوب أن يقول المكذبون : « اللهم ان كان هـذا هـو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعـذاب أليم ••• بدلا من أن يقولوا : « اللهم ان كان هـذا هـو الحق من عندك فاهـدنا الى الايمان والتصـديق(٥) » •

● أما سورة القمر فنرى الاجابة على هذه الصورة : « **سيعلمون غـدا من الكذاب الا شر انا مرسلو الناقـة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان المـاء قسمة بينهم كل شرب محتضر** » •

المعنى :

« سيعلمون غـدا من الكذاب الا شر » حكاية لمـا قاله سبحانه لصالح عليه السلام وعـدا له ووعيدا لقـومه ، ويبـدو أن صالحا قال هـذا الكلام لقـومه بصيغة التخاطب بعـد أن أوحاه الله اليه ردا على اتهام القوم له بالكذب والطمع ،

---

(٥) الظـلال ح ١٥٢/١٩ •

والمعنى : (سيعلمون عندما ينزل بهم العـذاب من الكذاب الاشر الذى حمـله أشره على ما حمله أصالح أم من كذبه ، والمراد : سيعلمون أنهم هم الكذابون الاشرون ، لكن أورد ذلك مورد الايهام ، ايماء الى أنه مما لا يكاد يخفى)(٦) ٠

« انا مرسلو الناقـة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر » ٠

هـذا الكلام أيضا حكاية لمـا قاله سبحانه لصالح عليه السلام ، ويبـدو أن صالحا أخبر القـوم بمـا يختص بهم منه ، ونفـذ هـو ما يختص به ، فأخبر القـوم ، بعـد أن أرسـل الله الناقـة أن هـذه الناقـة آية ابتلاء وامتحـان ان أطاعـوا أمر الله فيها نجـوا ونجـوا جميعا ، وان عصوه هلكوا وهلكوا جميعا ، أما هو فقد راقبهم وانتظر ما يصنعون ، وصبر على سخريتهم واذاهم ٠

« ونبئهم ان المـاء قسمة بينهم كل شرب محتضر » ٠

الآية واضحة الدلالة فى أن صالحا أخبرهم بمـا تحوى فأخبرهم بأن المـاء قسمة بينهم أى بين الناقـة وبينهم يحضر كل فى نوبته بلا مزاحمة ٠

مما تقـدم نستطيع أن نقـول :

ان الحـديث عن الناقـة يختلف مكانه فى سورة الاعراف عنه فى بقيـة السور التى تحـدثت عن الناقـة ٠

فسورة الاعراف جاء الحـديث فيها عن الناقـة فى النداء الأول الذى وجهه صالح لقـومه ، ٠

أما سورة هـود ، وسورة الشعراء ، وسورة القمر ، فقـد جاء الحـديث فيها عن الناقـة فى اجابة صالح للقوم بعـد ندائه الأول وبعـد رد القـوم عليه ، وقـد علمت أن حكاية الله لمـا قاله لصالح عليه السلام تعتبر اجابة ، لأن صالحا بلغ القـوم ما يختص بهم ، ونفـذ بذلك أمر الله سبحانه ٠

ويلاحظ أن كل السور التى تحـدثت عن الناقـة جعلت الناقـة معجزة قـدمها صالح لقـومه ، كدليـل على نبوته بادىء ذى بدء ، يعنى بلا طلب من القـوم ، ما عـدا سورة الشعراء ، فقـد جاء الحـديث فيها عن الناقـة كمعجزة أعطاها الله لصالح بعـد طلب القـوم وذلك قـوله سبحانه « فأت بآية ان كنت من الصـادقين » ٠

---

(٦) روح المعـانى ح ٢٦/٨٧ ٠

وليس هناك تناقض أو اختلاف ، بل يبدو أن القوم طلبوا من صالح عليه السلام آية تدل على صدقه • فكانت الناقة ، وبعد أن وجدت الناقة كمعجزة ودليل ، كان صالح يلقاهم ويدعوهم الى الله ، ويتحدث عن الناقة كمعجزة موجودة •

ويقول صاحب المنار : « وقد حكى هنا ـ يقصد سورة الأعراف ـ عن صالح عليه السلام أنه ذكر الآية التى أيده الله تعالى بها عقب ذكر تبليغ الدعوة ، وفى قصته من سورة هود أنه ذكر لهم الآية بعد ردهم لدعوته ، وتصريحهم بالشك فى صدقه ، وزاد فى سورة الشعراء طلبهم الآية منه وكل ذلك صحيح ومراد ، وهو المسنون المعتاد ، ولا منافاة بين ذلك التفصيل وهذا الاجمال »(٧) •

● واذا كانت سورة الأعراف ، وسورة هود قد بينت كل واحدة منهما أثناء حديثها عن الناقة أنه يجب ألا يتعرض لها أحد بسوء فى نفسها ، ولا فى أكلها ، فقالت سورة الأعراف : « فذروها تأكل فى أرض الله لا تمسوها بسوء » ، وقالت سورة هود نفس العبارة •• ، فان سورة الشعراء وسورة القمر قد بينت كل منهما أنه يجب ألا يتعرض لها أحد بسوء فى نفسها ، ولا فى شربها ، فقالت سورة الشعراء : « هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء » ، وقالت سورة القمر : « انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر • ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » •

ويقول صاحب المنار بعد أن استعرض كثيرا من الآيات التى تحدثت عن الناقة : (فدل مجموع الآيات على أن آية الله تعالى فى الناقة ألا يتعرض لها أحد من القوم بسوء فى نفسها ، ولا فى أكلها ، ولا فى شربها ، وأن ماء ثمود قسمة بينهم وبين الناقة اذ كان ماء قليلا ، فكانوا يشربونه يوما وتشربه هى يوما ، وورد أنهم كانوا يستعيضون عنه فى يومها بلبنها ، روى هذا عن ابن عباس وقتادة ، فأما الرواية عن الأول فهى تصدق بماء معين معروف كان لشربهم خاصة ، اذ ذكر فى سورة القمر معرفا وثبت فى الحديث الآتى مرفوعا •

وأما الرواية عن الثانى ففيها أن الماء كان لهم ولماشيتهم وأرضهم وهو بعيد بل منقوض بما فى سورة الشعراء من تعدد عيون الماء عندهم ، وهو قول صالح لهم : « أتتركون فيما هاهنا آمنين • فى جنات وعيون • وزروع ونخل طلعها هضيم » ، وقد روى أحمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا أنه كان

---

(٧) المنار ح ٨/٤٤٦ •

لهم آبار وأن النبى صلى الله عليه وسلم دل المسلمين على البئر التى كانت تشرب منها الناقة حين مروا بديار قوم صالح فى غزوة تبوك · وفى البخارى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يستقوا منها ويهريقوا ما استقوا من غيرها من تلك الآبار · قال العلماء : وقد علمها بالوحى · ولا يصح شىء يحتج به فى خلق الناقة من الصخرة أو من هضبة من الأرض)(٨) ·

● أما التهديد بالعذاب الذى حذر به صالح قومه ، فقد اختلف التعبير عنه فى السور التى ذكرته ، فقد قال سبحانه فى سورة الأعراف · « فيأخذكم عذاب أليم » ، وقال فى سورة هود : « فيأخذكم عذاب قريب » وقال فى سورة الشعراء : « فيأخذكم عذاب يوم عظيم » ·

ويذكر صاحب « درة التنزيل » سر هذا التغاير فيقول : « ·· فالآية الأولى تحذير للقوم على طريق العموم ، فأما قوله فى الثانية : « فيأخذكم عذاب قريب » بعد ما قال فى الأولى « أليم » ، فانه اختص هذا المكان بقريب ، لما بعده من قوله : « فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام » ، فذكر المدة التى بينهم وبين هلاكهم وقرب ما توعدهم به من عذاب الله لهم والقريب لا ينافى الأليم بل هو أشد ألما ، اذ لم يكن بعد مهل ، فاختصاص الآية الثانية بقريب دون أليم لما ذكرنا من قرب الميعاد المقرون ذكره الى ذكره · وأما الآية الثالثة واختصاصها بقوله : « فيأخذكم عذاب يوم عظيم » ، فلأن قبلها ذكر اليومين المقسومين بين الناقة وبينهم ، كأنه قال لهم ان منعتوها يومها بعقر تنزلونه بها أخذكم عذاب يوم عظيم ، فيوم تؤلونها منه فيكون به يوم يؤلمكم الله فيه بعذاب الاستئصال وهو يوم عظيم عليكم ، وكل ذلك بمعنى واحد وهو أنهم ان عقروها عوقبوا ، فالالفاظ المختلفة دائرة على هذا المعنى ، واختلافها لاختلاف مواضعها المقتضية تغيير الالفاظ فيها)(٩) ·

ما أضافته سورة النمل ـ فوق ما تقدم ـ :

تنتهى المحاورة فى السور كلها ولا تنتهى فى سورة النمل ، ومن هنا فاننا نرى فى سورة النمل ـ فوق ما تقدم ـ اضافات تنفرد بها ولا توجد فى غيرها ، فنرى اجابة للقوم ردا على صالح عندما قال لهم : « يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون » ، ونرى ردا لصالح على هذه الاجابة ، وأخيرا نرى مؤامرة دبرت لاغتيال صالح عليه السلام ، ولكنها تبوء بالفشل ·

---

(٨) المنار ح ٨/٤٤٧ ·
(٩) درة التنزيل / ١٥٦ ، وانظر أسرار التكرار / ٧٥ ·

● أما الاجابة والرد فيظهر ان فى قـوله سبحانه : « **قالوا أطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قـوم تفتنون** » ٠

والمعنى : تشاءمنا بك وبمن معـك من المؤمنين ، اذ تتابعت علينا الشدائد والكوارث من ساعة أن ظهر هـذا الدين(١٠) ٠

(فالتطير التشاؤم مأخـوذ عن عادة الاقـوام الجاهلية التى تجرى وراء الخرافات والاوهام ٠٠٠ فقـد كان الواحد منهم اذا هم بأمر لجأ الى طائر فزجره ، أى أشار اليه فطار ، فان مر سانحا عن يمينه الى يساره استبشر ومضى فى الأمر ، وان مر بارحا عن يساره الى يمينه تشاءم وتوقـع الضر ٠ وما تدرى الطير الغيب وما تنبىء حركاتها التلقائية عن شىء من المجهول ٠٠٠)(١١) ٠

فبين لهم صالح أن حظهم من الشر راجـع الى قـدر الله سبحانه ، وقـدر الله مبنى على مقتضى حكمته فقال : « قال طائركم عند الله » ٠ ثم بين السبب الذى من أجله ينزل بهم الشر فقال : « بل أنتم قـوم تفتنون » ، أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء(١٢) ٠

● وأما المؤامرة فتظهر فى قـوله سبحانه : « **وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ٠ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصـادقون** » ٠

والمعنى : كان فى المدنية ـ وهى الحجر ـ تسعة رجال لا يصـدر عنهم الا الفساد ولا يصدر عنهم خـير اطـلاقا ، فهم موصوفون بقـوله سبحانه « ولا يصلحون » ولقـد تأمر هـؤلاء على قتل صالح وأهله وقال بعضهم لبعض بشأن هـذا التآمر : احلفـوا بالله لنباغتن صالحا وأهله ليـلا فنقتله ، ثم لنقولن لولى دمه أن سألنا عنه : ما شهدنا هـلاك أهله أو المكان الذى أهلكـوا فيـه ٠

---

(١٠) انظر البيضاوى ح ١٤٢/٢ ٠

(١١) الظـلال ح ١٥٣/١٩ ٠

(١٢) ان صالحا عليه السلام عندما قال : « قال طائركم عند الله » لم يفصح عن سبب حظهم من الشر ، ولكنه عندما قال : « بل أنتم قوم تفتنون » ذكر السبب وهـو الاختبار ، وقـد أضرب بهـذا عن الأول ٠ انظر الكشاف والبيضاوى ٠

ويقول صاحب البحر : « فى الكلام حذف معطوف يدل عليه ما قبله ، والتقدير : ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه ، ودل عليه قولهم لنبيتنه وأهله) ٠

ويذكر صاحب الفن القصصى كلا ما نستطيع أن نستنبط منه السر الذى أضافت لأجله سورة النمل الحديث عن المؤامرة فيقول بعد أن استعرض آيات قصة صالح وقصة لوط فى سورة النمل :

(وانى لاعتقد أن هاتين القصتين نزلتا فى الوقت الذى كان يأتمر فيه المشركون بالنبي عليه السلام ٠ وهذا هو الواضح من مناسبة قصة صالح ، ومن الحديث عن المدنية وما فيها من تسعة رهط ، وعن التقاسم والتبييت لكل ما حدث فى مكة ، اذ هذه تكاد تكون صورة لما حدث من قريش ويذكره المؤرخون وأصحاب السيرة عند حديثهم عن الهجرة ٠ ثم هذا هو الذى يتضح من حديث قوم لوط ومحاولتهم اخراجه من القرية ؟ ان المقصود من هذه القصص ليس الا بث الثقة والطمأنينة فى نفس النبى عليه السلام وان الله حافظه وناصره ومهلك أعدائه)(١٤) ٠

الحديث عن عقر الناقة وموقف القوم بعده :

● تتحدث سورة الأعراف عن عقر الناقة فتقول : «**فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين** » ٠

● وتتحدث سورة هود عن هذه الجريمة فتقول : « **فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** » ٠

● وتتحدث سورة الشعراء عن ذلك بقولها : « **فعقروها فأصبحوا نادمين** » ٠

● أما سورة القمر فتقول : « **فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر** » ٠

● ومن مجموع هذه الآيات نستطيع أن نقول : تتفق كل الآيات فى أن الناقة قد ذبحت ، وتتفق سورة الأعراف ، وسورة هود ، وسورة الشعراء فى نسبة العقر الى جميع القوم : أما سورة القمر فانها تضيف العقر الى واحد منهم فقط ٠

---

(١٣) البحر المحيط ٠

(١٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم للدكتور / محمد أحمد خلف الله / ٧٠ م الطبعة الأولى ٠

● ويبـدو أن الذى تولى الذبح واحـد فقط كما قالت سورة القمر ، ولكن أسند العقر فى السور الثلاث الى الجميع ، لأنه كان بتواطئهم ورضاهم • وقد أبرزت سورة القمر ذلك عندما قالت : « فنادوا صاحبهم » وقـد روى عن قتادة أن عاقر الناقـة قال : لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين ، فجعلوا يدخلون على المرأة فى خـدرها فيقولون : أترضين ؟ فتقول : نعم وعلى الصبى •••• حتى رضـوا أجمعين ، فعقروها(١٥) •

ويعلق « ابن كثير » على هـذا الأثر بقوله :

(قلت : وهـذا هو الظاهر ، لأن الله تعالى يقول : « فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها »(١٦) ، وقال : « وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بهـا(١٧) » ، وقال : « فعقروا الناقة » • فأسند ذلك الى مجموع القبيلة ، فدل على رضى جميعهم بذلك)(١٨) •

● وتبين سورة الاعراف أنهم بعـد عقرها تمردوا مستكبرين عن امتثال أمر الله ، وكأنها تكشف عن حالتهم وقت ارتكاب الجريمة وأنهم ارتكبوها وهم فى تمرد واستكبار ، وأن ذلك صاحبهم بعـد الجريمة ومن هنا قالوا لصالح « يا صالح ائتنا بمـا تعـدنا ان كنت من المرسلين » •

اذن فسورة الاعراف تضيف وصف حالهم ساعة ارتكاب الجريمة ، وبعدها ، وتضيف أنهم طلبوا من صالح أن ينزل بهم العـذاب الذى توعـدهم به ، وكان وقت هـذا الطلب بعـد عقر الناقـة •

● وتبين سورة هـود أنهم بعـد عقرها أمهلهم صالح ثلاثة أيام يحل عليهم بعـدها عذاب الانتقام ، وهـذا البيان يعتبر اضافة جـديدة أضافتها سورة هـود أثناء حـديثها عن ذبح الناقـة • وذلك قـوله سبحانه فيهـا «فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعـد غير مكذوب » •

● وتبين سورة الشعراء حالهم بعـد عقر الناقـة أيضا ، وأنهم ندموا على فعلتهم فتقول : « فعقروها فأصبحوا نادمين » •
وهـذه اضافة أضافتها سورة الشعراء •

---

(١٥) انظر المنار ح ٨/٤٤٩ •
(١٦) آية ١٤ من سورة الشمس •
(١٧) آية ٥٩ من سورة الاسراء •
(١٨) تفسير ابن كيثر المجلـد الثالث / ٤٣٧ طبع الشعب •

وقـد يقول قائل : أليس هناك تناقض بين هـذه الآية وبين آية الأعراف التى تقـول : « فعقروا الناقـة وعتوا عن أمر ربهم » فهـذه الآية تفيد أنهم لم يندموا ، بل كانوا فى تمرد واستكبار ، وآية الشعراء تفيد عكس ذلك وأنهم أصبحوا فى ندم وحسرة ؟

ويجاب بأن هـذا الندم لم يكن بعـد ذبح الناقـة مباشرة ، وانمـا كان عند معاينة العـذاب ، ففى هـذه اللحظة ندموا ندم توبة فلم ينفعهم ذلك الندم كما قال الله سبحانه : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحـدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون من قريب أولئك أعتدنا لهم عـذابا أليمـا » ٠

الحـديث عن النهـاية :

● فى سورة الأعراف يقول الله سبحانه : « **فأخـذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم(١٩) جاثمين** » ٠

والمعنى أن العـذاب عندما نزل بهم قضى عليهم فصاروا موتى بلا حركة ولا حيـاة ٠٠

● وفى سورة هـود يقول سبحانه : « فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هـو القـوى العزيز ٠ وأخـذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ٠ كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعـد الثمود » ٠

المعنى :

« فلمـا جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هـو القـوى العزيز » ٠

لمـا جاء العـذاب نجى الله صالحا ومن آمن معه برحمته ، (وكانت النتيجة من خزى يومئذ ، أى من ذله ومهانته وفضيحته ، ولا خزى أعظم من خزى من كان هـلاكه بغضب الله وانتقامه)(٢٠) ٠

---

(١٩) الدار تطلق على المسكن ، وعلى البلـد ٠
(٢٠) الكشاف ح ٢/٣١٩ ٠

وتذيل الآية بما يناسب سياقها فيقول الله : « ان ربك هو القوى العزيز » ثم يفصل الله هذا الخزى فيقول : «وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » ٠

« كأن لم يغنوا فيها » ٠٠

(كأنهم فى سرعة زوالهم وعدم بقاء أحد منهم فى ديارهم لم يقيموا فيها البته)(٢١) ٠٠

« ألا ان ثمود كفروا ربهم » ٠

اظهار للسبب الذى من أجله استحقوا هذا العذاب ٠

« ألا بعدا لثمود » ٠٠

تقدم الحديث عن مثله ٠

● وفى سورة الشعراء يقول عز وجل : « **فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٠ وان ربك لهو العزيز الرحيم** » ٠

المعنى :

« **فأخذهم العذاب** » ٠٠

بعد عقر الناقة لم يلبثوا اذن نزل بهم العذاب ٠

« **ان فى ذلك لآية** » ٠

ان فيما ذكر من قصة صالح لعبرة لمن أراد أن يعتبر ٠

« **وما كان أكثرهم مؤمنين** » ٠

(فى نفى الايمان عن أكثرهم ايماء بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب)(٢٢) ٠

---

(٢١) المنار ح ١٢/١٠٥ ٠
(٢٢) البيضاوى ح ٢/١٣١ ٠

« وان ربك لهـو العزيز الرحيم » ٠

(فان ما حكم به لرسله وأتباعهم ولاعدائهم صادر عن عز ورحمة ٠ فوضع الرحمة فى محلها ،وانتقم من أعـدائه بعزته ، ونجى رسله وأتباعهم برحمتـــه)(٢٣) ٠

● وفى سورة النمل يقول سبحانه : « **ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ٠ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ٠ فتلك بيوتهم خاوية بمـا ظلموا ان فى ذلك لآية لقـوم يعلمون ٠ وانجينا الذين آمنوا وكانوا ينقـون** » ٠

ومن هـذه الآيات نفهم أن الذين تآمروا على صالح عندما حاولوا تنفيذ مؤامرتهم نزل بهم عـذاب الله من حيث لا يشعرون ، وذلك مكر الله ٠ ويبدو أن عـذاب هـؤلاء المتآمرين كان فى وقت واحـد مع عـذاب القوم ٠

يقول صاحب الكشاف ٠٠٠ (فلم يدر قـومهم أين هم ، ولم يدروا ما فعل بقومهم ، وعـذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه) ونفهم من الآيات درجـة العـذاب وقـوته وأنه استأصلهم فلم يبق منهم أحـدا ، ونفهم السبب الذى من أجله وقـع بهم ٠

وفى سورة القمر يقول سبحانه : « **فكيف كان عـذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحـدة فكانوا كهشيم المحتظر** » ٠

المعنى :

« فكيف كان عـذابى ونذر » ٠

تعظيم وتهـويل لمـا حل بهم ٠٠

ثم يفصل الله ذلك العـذب ويفصل نتيجة الانذار فيقول : انا أرسلنـا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ، والهشيم ما يتهشم ويتفتت ، والمحتظر : الذى يعمل الحظيرة ، فالمعنى : أصبحوا كالهشيم الذى يتساقط من المحتظر أثناء عمله الحظيرة ٠

---

(٢٣) شـفاء الغليل فى مسائل القضاء والقـدر والحكمة والتعليل لابن القيم / ٢٠٠ ٠

ومن مجموع الآيات نفهم أن الله سبحانه نجى صالحا ومن آمن معه ، وأهلك من تكبر عن قبول الحق وأصر على الكفر والجحود ٠

وقد أظهرت بعض السور ـ وهى تتحدث عن النهاية ـ نجاة صالح والمؤمنين وسكتت بعضها عن ذلك ٠

وقد اختلف التعبير فى الحديث عن النهاية عامة وحمل هذا الاختلاف بعض الاضافات ٠٠ وتستطيع أن تلمح ذلك مما تقدم من المعانى التى عرضناها ٠

كذلك اختلف التعبير عن نوع العذاب أثناء الحديث عن النهاية ، فسورة الأعراف تذكر أنه الرجفة ، وسورة هود وسورة القمر تذكر كل منهما أنه الصيحة ، أما سورة الشعراء ، وسورة النمل فلم تصرح أى واحدة منهما بنوع العذاب ، فسورة الشعراء تذكر أنه عذاب فقط ، مطلق فتقول : « فأخذهم العذاب » ، وسورة النمل تذكر النتيجة وهى : التدمير ، وتستدل على هذا التدمير بخواء البيوت منهم فتقول : « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين ٠ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » ٠

ويبدو أن عذاب القوم كان بالصاعقة كما جاء فى قوله تعالى من سورة « فصلت » « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » ، وكما قال فى سورة «الذاريات» « وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ٠ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » ٠

والصاعقة تصحبها أصوات قوية عاتية ، ويصحبها زلزال ترجف به الأرض وتضطرب ، ٠٠ ومن هنا عبر القرآن مرة بالصيحة ، ومرة بالرجفة ، ومرة ثالثة بالصاعقة ٠

والى هنا تنتهى القصة فى كل السور التى عرضتها بتفصيل ، ويبقى فى سورة الأعراف حركة وكلمة صدرتا من صالح عليه السلام بعد نزول العذاب بالقوم ، وتظهران فى قوله سبحانه : « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » ، وتعتبر هذه الحركة والكلمة من الاضافات التى انفردت بها سورة الأعراف ٠

وقد يتساءل متسائل : كيف يصح خطاب الموتى ؟

ويجاب بأن مثل هذا يقال فى أحوال الحزن على جهة التحسر والتفجع ، فمن مات له صديق من جراء شرب الخمر ، أو تعاطى المخدرات مثلا ، وكان

ينصحه ليقلع عن ضلالة وانحرافه فلم يستمع اليه ، قد يقول له ـ بعد أن يقف عليه وهو ميت ـ : كم نصحتك ؟ ، وكم حذرتك عاقبة ذلك ؟ ، وهذا **معهود فى كلام العرب** ٠

ومثل هذا صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر(٢٤) ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى بعض القتلى من المشركين بعد أن طرحوا فى القليب ، وقال فى ندائه : « يا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ـ أو فيها ـ ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم(٢٥) ٠

القصة فى مواضع الايجاز :

لقد ذكرت القصة بايجاز واختصار فى سورة الحجر ، وسورة فصلت ، وسورة الذاريات ، وسورة النجم ، وسورة الحاقة ، وسورة الشمس ٠

وآيات القصة فى تلك السور اشارات سريعة خاطفة أبرزت نهاية القوم ومصارعهم ٠

ويبدو أن الغرض من القصة فى تلك السور هو : اثارة بواعث الخوف من عذاب الله فى نفوس المشركين حتى يقلعوا عن ضلالهم ، ويؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان العرض سريعا موجزا يبرز النهاية الأليمة التى حلت بالمكذبين ٠

يقول صاحب « الفن القصصى » :

لنقرأ سويا هذه القصة ـ قال تعالى : « **كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ٠ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ٠ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابى ونذر** »(٢٦) ٠

---

(٢٤) انظر تفسير المنار ح ٨/٤٥١ ، وتفسير البحر المحيط ح ٥/٣٣٢ ، وتفسير الكشاف ح ٢/٩٨ ٠

(٢٥) الحديث أخرجه البخارى عن أبى طلحة الأنصارى ٠

(٢٦) القمر ١٨ ـ ٢١ ٠

ولنفكر فسنرى أن القرآن قد تخلى عن كثير من التفصيلات فلم يذكر عن عاد شيئا قبل التكذيب ، وحتى عملية الارسال نفسها قد تجاوز عنها · فلم يذكر عن هود شيئا وهو الرسول الذى كذبه القوم ، كما لم يذكر هنا صفة عاد ولم يتحدث عن بيوتها ومساكنها ، ولم يذكر لنا شيئا مما دار بين هود وقومه من جدل أو حوار ، ترك كل هذا وأسرع الى وصف العذاب ، وهنا صوره صورة أدبية رائعة بالفاظ جزلة تهز العاطفة وتستثير الانفعال وتأخذ مكانها من الأفئدة والألباب ، فهناك الريح الصرصر ، وهناك النحس المستمر ، وهناك قوة الريح التى تنزع الناس وكأنهم أعجاز نخل منقعر ·

فعل القرآن كل هذا لسبب بسيط هو أنه يريد فى ذلك العهد أن يبث فى نفوس المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الخوف من العذاب ، ويريد أن يريهم من الصور ما يجعل الخوف قويا عنيفا ، ومن هنا اختار هذه الصورة واكتفى بها حتى لا يشغل الذهن عنها بغيرها ، وحرص القرآن على أن يكون العذاب والخوف منه هو النتيجة التى يجب أن تقر فى النفس وفى الفؤاد ، ومن هنا بدأ القصة بذلك الاستفهام الذى يصوب الى القلب السمام ، « **فكيف كان عذابى ونذر** » ؟ ، وختمها أيضا بنفس الاستفهام ، وكأنه يريد أن يصيب من الناس المقاتل ·

وحرص القرآن فى هذه السورة ، وبعد عرضه لكل قصة من قصصها ، أن يلفت أهل مكة الى موقفهم من النبى والقرآن ، والى أن هذا الموقف فيه ما فيه « لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ·

فعل القرآن كل هذا ، لأن قصص هذه السورة لم تنزل الا للانذار وللتخويف من العذاب ··

ولقد فطن ابن الأثير الى ذلك عندما قال فى تعليقه على قوله سبحانه : « **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا · فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا** »(٢٧) ·

ألا ترى كيف حذف جواب الأمر فى هذه الآية ، فان تقديره : فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم فكذبوهما ، فدمرناهم تدميرا ، فذكر حاشيتى القصة أولها وآخرها ، لأنهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم(٢٨) ·

---

(٢٧) آية ٣٥ ، ٣٦ من سورة الفرقان ·

(٢٨) الفن القصصى فى القرآن الكريم / ١٣٨ وما بعدها ، وانظر المثل السائر لابن الأثير ·

قصة لوط
عليه السلام

من آيات القصة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

من سورة الأعراف

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن
قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ
لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾
قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾
قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ
مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

صدق الله العظيم

من سورة هود

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ
هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾
قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن
سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ
مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

صدق الله العظيم
من سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

صدق الله العظيم

من سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

صدق الله العظيم

من سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن
لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم
مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

صدق الله العظيم

من سورة الشعراء

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ
إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟
ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ
وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا
مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

صدق الله العظيم

من سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

صدق الله العظيم
من سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ
أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ
عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ
مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

صدق الله العظيم
من سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

صدق الله العظيم
من سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ
رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

صدق الله العظيم

من سورة القمر

بين يدى القصـــة :

لقـد ذكرت قصـــة لوط بتفصيل فى ســـورة الأعراف ، وفى ســـورة الشعراء ، وفى سورة النمل ، وفى سورة العنكبوت · وذكرت بايجـاز فى سورة الأنبياء ، وفى سورة الفرقان ، وفى سورة الصافات ، وفى سورة الذاريات ، وفى سورة النجم ، وفى سورة القمر ·

ومنهجنا هنا هـو نفس المنهج الذى سرنا عليه فى قصـــة صالح ، ولكن الجـديد : أن هناك مقطعا من القصـــة تكرر فى سورتى هـود والحجر ، وسنعقد مقارنة بين هـذا المقطع أو هـذه الحلقة فى السورتين ، حتى نقف على ما حمله كل عرض من اضافات · وذلك بعـد أن ننتهى من عرض القصـــة فى السور التى ذكرتها بتفصيل ·

النـــداء الأول :

● تتحـدث سورة الأعراف عن هـذا النـداء فتقول : « **ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحـد من العالمين • انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قـوم مسرفون** » •

المعنى :

« **أتأتون الفاحشـة** » ••

بدأ لوط نداءه بهـذا الاستفهام الانكارى ، والاستفهام الانكارى يحمـل فى طياته توبيخا وتقريعا ـ كما يقول العلماء ـ •

«**ما سبقكم بها من أحـد من العالمين** » ••

أنتم أول من ابتدع هـذه الفاحشة ، والعـالمون جميعا يشمئزون منها ويبتعـدون عنها ، لأنها لا توافق الطباع السليمة ، أو الفطر المستقيمة •

وهـذه الجملة استئناف يؤكد الانكار عليهم ، وعلى هـذا فلوط عليه السلام قـد أنكر عليهم اتيـان هـذه الفاحشة ، ثم أكد هـذا الانكار ببيان أنهم أول من عملهـا •

و « من » فى قـوله « من أحـد » تفيد تأكيد النفى وأنه عام يستغرق جميع البشر •

« **انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** » ••

كرر لوط الانكار عليهم ، وصرح بالفاحشة التى يرتكبونها بعد الابهام •

وهـذه الجملة استئناف بيـانى ، لأنها فسرت وأوضحت نوع الفاحشـة التى يرتكبونها والتى جاءت غامضة فى قـوله : « أتأتون الفاحشة » ، صحيح هى معروفة للمخاطبين ، ولكن هناك فرق بين أن يذكرها مجملة أو مبهمة ، وبين أن يذكرها واضحة صريحة •

والاتيان المراد به هنا : الاستمتاع والجماع ، وقـوله « شهوة » مفعول له ، يعنى لا حامل لكم على ذلك الا مجرد الشهوة القـذرة •

« **بل أنتم قـوم مسرفون** » ••

هـذا اضراب انتقـالى من شيىء الى شيىء ، وليس ابطـالا والغـاءا لمـا سبق من الانكار عليهم ، ومعناه : أنتم قـوم أسرفتم فى قضاء الشهوة من ناحية اختيار النوع الذى يؤتى(١) ٠

● وتقـول سورة الشعراء فى هـذا النداء : « **اذ قال لهم أخـوهم لوط الا تتقـون ٠ انى لكم رسول آمين ٠ فاتقـوا الله وأطيعون ٠ وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ٠ أتأتون الذكران من العالمين ٠ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قـوم عادون** » ٠

المعنى :

« **ألا تتقـون** » ٠٠

الا تخافـون الله وتخشون عقابه ان لم تؤمنوا ٠

« **انى لكم رسول آمين** » ٠٠

لا أكذب ولا أخـدع ، ولا أزيد ولا أنقص شيئا ممـا كلفت بنقله وتبليغه ٠

« **فاتقـوا الله وأطيعوه** » ٠٠

حـدد لوط فى هـذا الأمر المتقى منه وهـو الله سبحانه ، وقـد أفرد لوط فى كلامه هـذا الأمر بطاعته مـع أنه داخـل فى الأمر بتقـوى الله ، تأكيدا لهذا التكليف الذى كلفهم به ٠

ويبـدو أن قـوله تعالى « فاتقـوا الله وأطيعون » مترتب على قـوله سبحانه « انى لكم رسول آمين » ، فالفـاء لترتيب ما بعـدها على ما قبلها – يعنى اذا كنت رسـولا من عند الله لا أكذب ولا أخـدع ، ولا أزيد ولا أنقص شيئا ممـا كلفت به ، فيجب عليكم أن تتقـوا الله الذى أرسلنى ، وأن تطيعونى فيما أمركم به وأنهاكم عنه – ٠

« **وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين** » ٠٠

بين لوط أنه لا يبتغى أجرا على دعوته فأجره على الله وحـده ، ولعـله بهـذا يزيل خاطرا وقـع فى نفوسهم ، أو تصريحا وجـه اليه ٠ « **أتأتون الذكران**

---

(١) انظر فيما تقـدم : التفسير الكبير ، والبحر المحيط ، والظـلال ، وتفسير سورة الأعراف ٠

من العالمين ٠ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم » أنجامعـون الذكران ، وتتركون أزواجكم اللاتى خلقهن الله لذلك ، وفى هـذا دليل على أنهم كانوا لا يقربون نساءهم فى أغلب الأحيان ، والآية الأولى استفهام انكارى ، والآية الثانية تأكيد لهـذا الانكار ٠

« بل أنتم قـوم عادون » ٠٠

أنتم قـوم تجاوزتم الحـد فى الظلم حيث أخترتم الذكور للاتيان ، وهـذا اضراب انتقـالى أيضا ٠

● وتتحـدث سورة النمل عن هـذا النداء فتقول : « **ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قـوم تجهلون** » ٠

المعنى :

« أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون » ٠٠

أتأتون الفاحشة وأنتم على علم بقبحها ، وارتكاب الفاحشة مـع العلم بالقبح أعظم ذنبا من ارتكابها على جهل ٠

« أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء » ٠٠

تكرير للانكار وتصريح بالفاحشة بعـد الابهام ٠

« بل أنتم قـوم تجهلون » ٠٠

الجهل هنا بمعنى السفه والطيش ، وعلى هـذا فكأنه يقول لهم : أنتم قـوم سفهاء طائشون ، والجملة اضراب انتقالى ٠

● وتأتى سورة العنكبوت فنرى نداءها على هذه الصورة : « **ولوطا اذ قال لقـومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بهـا من أحـد من العالمين ٠ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر** » ٠

المعنى :

انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحـد من العالمين ٠ ائنكم لتأتون الرجال ٠٠ تقـدم الحـديث عن مثله أكثر من مرة ٠

« **وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم(٢) المنكر** » ..

هـذا الخطاب الصـادر من لوط عليه السلام يبين لنـا أن القـوم كانوا لا يكتفون بارتكاب هـذه الفاحشة مـع بعض فقط ، وانمـا كانوا يغتصبون المـارة من الغرباء ، وكانوا أيضا يباشرون فى مجالسهم علانية . يرى بعضهم بعضا عليه ، فما أقبح هـذا التبجح ، وما أفظع هـذا الاستهتار .

وقفـة مـع النـداء :

يتفق النـداء فى السور كلها فى أن لوطا أنكر على قـومه اتيان الفاحشة المعروفة ، وأن كل انكار صاحبه ما يؤكده ، فانكار لوط فى سورة الأعراف : « **أتاتون الفاحشة** » جاء مؤكدا بقوله : « **ما سبقكم بها من أحـد من العالمين** » ، وانكاره فى سورة الشعراء : « **أتأتون الذكران من العالمين** » جاء مؤكدا بقـوله : « **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم** » ، وانكاره فى سورة النمل « **أتأتون الفاحشة** » جاء مؤكدا بقوله : « **وأنتم تبصرون** » ، وانكاره فى سورة العنكبوت : « **انكم لتأتون الفاحشـة** » جاء مؤكدا بقوله : « **ما سبقكم بهـا من أحـد من العـالمين** » ، ..

وقـد تكرر الانكار فى كل السور ما عـدا سورة الشعراء فانها خلت من هـذا التكرار ، ويبـدو أن انكار لوط على قـومه عـدم التقـوى فى قـوله « ألا تتقـون » قام مقام هـذا التكرار ، ومن هنا اختلف تعبير لوط فى سـورة الشعراء عن بقية السور من ناحية الابهام والتصريح ، فقد ذكر لوط فى كل السور الفاحشة مبهمة فى الانكار الأول ، ثم حـدد فى الانكار الثانى نوع الفاحشة ، أما سورة الشعراء ، فقد جاء حـديثه عن الفاحشة صريحا محـددا بادىء ذى بدء ، لعـدم وجـود الانكار الثانى .

وقـد حاول لوط بهـذا النـداء الذى يحمل الانكار أن يصرف القـوم عن هـذا الخلق المذموم ، وهـذه أول قصة يعالج فيها رسول قضية خلقية .

وللقصص القرآنى طريقة خاصة فى تصـوير الأشياء الخلقية ، .

● فهو مرة يعمد الى النهى الصريح وذلك فى حالات منها : أن يكون المنهى عنه من الأمور العادية التى تركزت فى البيئة فأصبحت من العادات الاجتماعية

---

(٢) النـادى : اسم جنس يشمل مجالسهم التى يجتمعون فيها ـ وما أكثرها ـ ، ولا يسمى ناديا الا اذا كان فيه أهله ـ انظر البحر المحيط .

المرذولة ، وذلك كتطفيف الكيل ، فقد نهى القرآن عن هـذه العادة القبيحة فى قصة من قصص شعيب ٠

ومنها تلك الأمور التى يقـوم بها الناس ترضية لعاطفة أو استجابة لرغبة ، وذلك كقعودهم بكل صراط يصـــدون عن سبيل الله من آمن به وتلك تكررت فى كثير من القصص ، ووردت أيضا فى قصة شعيب ٠

ويمثل النوعين من النهى قصة شعيب فى الأعراف ٠ قال تعـالى : « **والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قـوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره قـد جاءتكم بينة من ربكم فأوفـوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعـد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ، ولا تقعـدوا بكل صراط توعـدون وتصـدون عن سبيل الله من آمن به وتبغـونها عـوجاوا ذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** » ٠

● وهـو مرة يعمد الى التعجب أو الى الاستفهام الانكارى ، وذلك أيضا قـد يكون فى العادات القبيحة المرذولة التى استقرت فى البيئة وأصبحت خلقـا عامة وذلك كاتيان الذكور من العالمين فى كل قصة ورد فيها اسم لوط ٠٠

ثم هناك الطريقة العرضية التى يعرض فيها القرآن أخلاق بعض الجماعات أو أخلاق بيئة من البيئات ، ٠٠٠ وأكثر ما يكون هـذا اللون فى قصص موسى عليه السلام ، اذ فى ذلك القصص نجـد تصويرا لأخلاق اليهود ، كما نجـد بعض لفتات لأخـلاق المصريين ٠٠

فمثلا فى سورة البقرة يقول سبحانه فى تصوير أخـلاق اليهود فى نقض العهـد : « ولقـد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ٠ أو كلما عاهـدوا عهـدا نبـذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ٠ ولمـا جاءهم رسول من عند الله مصدق لمـا معهم نبـذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » ٠٠

وفى سورة الأعراف يقول سبحانه فى تصوير أخلاق المصريين فى نقض العهـد : « ولقـد أخـذنا آل فرعـون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ٠ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هـذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انمـا طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ٠ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ٠ فأرسلنا عليهم الطـوفان والجراد والقمـل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قـوما مجرمين ٠ ولمـا وقـع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنـا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز

لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل • فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون • فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى أليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » •

وفى سورة الزخرف وصفهم بالخفة والطيش فى اتباع فرعون وعبادته ، فوق وصفهم بنقض العهد ، فقال : « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون • فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون • ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون • أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين • فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين • فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين »(٣) •

ومن الاختلاف فى التعبير أيضا : مصاحبة حرف التأكيد للانكار فى المرة الأولى والثانية فى سورة العنكبوت دون غيرها من السور التى أتت بالانكار مرتين ، والسور التى أتت بالانكار مرتين هى السور السابقة كلها ما عدا سورة الشعراء ـ وقد تقدم ذلك ـ فهذه السور صاحب التأكيد فيها الانكار الثانى فقط •

وقد كشف صاحب أسرار التكرار سر ذلك فقال : (قوله « **ولوطا اذ قال لقومه أتاتون الفاحشة** » بالاستفهام ، وهو استفهام تقريع وتوبيخ وانكار ، وقال بعده « **انكم لتأتون الرجال** » ، فزاد مع الاستفهام « ان » ، لأن التقريع والتوبيخ والانكار فى الثانى أكثر ، ومثله فى النمل « أتأتون » ، وبعده « أئنكم » وخالف فى العنكبوت فصدر الاستفهام الانكارى بحرف التأكيد فى المرتين(٤) فقال : « **انكم لتأتون الفاحشة** » ، وقال : « **أئنكم لتأتون الرجال** » ، وجمع بين « ان » ، و « أئن » ، وذلك لموافقة آخر القصة ، فان فى الآخر « انا منجوك » ، انا منزلون ») ثم قال فى نهاية كلامه : (فتأمل فيه فانه صعب المستخرج) •

ولعله يقصد كما قال محقق الكتاب أن قصة لوط فى السور المذكورة لم يأت الجزاء فيها مؤكدا ، ففى سورة الأعراف يقول الله : « **فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين** » وفى سورة النمل يقول سبحانه : « **فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين** » ، أما سورة العنكبوت فقد جاء الجزاء فيها مؤكدا ، فقال سبحانه : « **انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين** » ،

---

(٣) الفن القصصى فى القرآن الكريم / ١٢٦ وما بعدها بتصرف •
(٤) ما بين العلامتين زيادة لتوضيح النص •

وقال : « **انا منزلون على أهـــل هـذه القرية رجزا من السماء بمـــا كانوا يفسقون** »(٥) ٠

وفوق هـذا الاختلاف ، فاننا نرى بعض الاضافات فنرى سورة الشعراء قـد أضافت التوبيخ على عـدم التقوى ، وذلك قول لوط لقـومه : « ألا تتقـون » وأضافت تقـديم لوط نفسه لهم بقوله : « انى لكم رسول آمين » ، وأضافت الأمر بالتقوى ، والأمر بطاعته هـو ، وأضافت أنه لا يبتغى أجرا على دعوته ٠٠

وأضافت الدعوة الى الايمان والتوحيد ، ويفهم ذلك من كل ما تقـدم ٠ يقول صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف « ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة » (الفسق الذى قبل هـذا يقتضى أن يكون المعنى : وأرسلنا لوطا ـ ولكن حـذف هنا متعلق الارسال وركنه الأول وهـو توحيد العباده ، للعلم به ممـا قبله ، ومما ذكر فى غير هـذه السورة)(٦) ولعله يقصـد ما جاء فى سورة الشعراء ، فانها وحـدها هى التى أفصحت عن ذلك ٠

وأضافت أن القوم كانت لهم أزواج ، وأنهم كانوا يتركونهن ولايأتونهن فى أغلب الأحيـان ، وذلك قـــوله سبحانه « **وتذرون ما خلق لـكم ربكم من أزواجكم** »(٧) ٠

وقـد يقول قائل : ان سورة الأعراف وسورة النمل قـد أبرزت كل منهما ذلك فقد قالت سورة الأعراف : « **انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** » ، وقالت سورة النمل : « **أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** » ؟

ويجاب بأن آية الأعراف وآية النمل لم تضف واحـدة منهما النساء الى الرجال كما فعلت سورة الشعراء ، وعلى هـذا فالاتيان يحتمل أن تكونا للحث

---

(٥) أسرار التكرار / ٧٦ ، وانظر الهامش لمحققه / عبد القادر عطا ، ويلاحظ أنه جعل كلام المؤلف عاما فى جميع القصص الوارد فى سورة الأعراف ، حيث قال فى التعليق على قول المؤلف : « فانه صعب المستخرج » قال : لأن جميع القصص المذكورة ـ يقصد ما جاء فى سورة الأعراف ـ لم يأت الجزاء فيها مؤكدا ٠ وأغلب الظن ان الكلام خاص بقصة لوط وحـدها ٠

(٦) تفسير المنـار ح ٨ / ٤٥٣ ٠

(٧) انظر البحر ح ٧ / ٣٦١ ، وذكر صاحب روح المعانى أن المراد بهـذه الجملة ـ فى بعض الآراء ـ ذمهم بترك ما خلق لهم وعـدم الالتفات اليه بوجه من الوجوه فضلا عن الاتيان ـ انظر روح المعانى ح ١٩ /١١٥ ٠

على الزواج فهو الطريق الطبيعى لقضاء الشهوة ، ويحتمل أن تكونا لبيان أن القـوم كان يتركون أزواجهم ولا يقربونهن أيضا ، وبهـذا الاحتمال الأخير تتفق الآيتان مع آية الشعراء ، ولكن رغم هـذا الاتفاق ، فان آية الأعراف وآية النمل جاء فيهما لفظ النساء مطلقا بلا قيد ، أما سورة الشعراء ، فقد أضيف فيها لفظ الأزواج الى الرجال ، ومن هنا فان سورة الشعراء قـد أضافت فى تلك الحالة هـذا التقييد الذى ضيق دائرة الاطلاق ٠

● واذا كانت سورة الأعراف وسورة العنكبوت قـد أظهرت كل منهما أن أحـدا من العالمين لم يسبق قـوم لوط الى هـذه الفاحشة ، وذلك قول الله على لسان لوط فى السورتين : « ما سبقكم بها من أحـد من العالمين » ، فان سورة النمل قـد أضافت أن القوم كانوا يرتكبون هـذه الفاحشة وهم على علم بقبحها ، وارتكاب الفاحشة مـع العلم بالقبح أعظم ذنبا من ارتكابها على جهل ، وذلك قـوله سبحانه على لسان لوط « وأنتم تبصرون » ٠

ولعـل السر فى ذلك أن سورة النمل تحكى ما جرى بين لوط وبين قـومه فى أول لقـاء ، وقـد يؤيد هـذا ما ذكره بعض العلماء من أن سورة النمل نزلت قبل سورة الأعراف ، أما كونها نزلت قبل سورة العنكبوت ، فقد نقـل ذلك عن الباحثين فى علوم القرآن وما أكثرهم ، ٠٠

ومن هنا ناسب أن يبكتهم فى أول لقـاء على الفاحشة ، ثم لا يكتفى بهـذا ، بل يعظم جرمهم فيها قبل أن يخبر عن سبقهم اليها ٠

فقال لهم فى سورة النمل : « وأنتم تبصرون » أى تعلمون فحشها وشناعة قبحها ، وهـذه صفة ترجع الى الفعلة نفسها ، وقال فى سورة الأعراف وسورة العنكبوت : « ما سبقكم بها من أحـد من العالمين » ، وهـذا وصف حقه أن يجيىء بعـد توفية الفاحشة حـق وصفها فى نفسها ، فأخر ذكره الى ما بعـد ذلك ، (وقـد خاطبهم لوط عليه السلام بذلك وبأكثر منه فى مقـامات انكاره عليهم ودعائه لهم)(٨) ٠

● واذا كانت سورة الأعراف قـد وصفت القوم بأنهم مسرفون ، ووصفتهم سورة الشعراء بأنهم عادون ، وهما بمعنى واحـد حسب ما سبق ـ ، فان سورة النمل قـد أضافت أنهم ضعفاء العقل والرأى وذلك قـول الله على لسان لوط عليه السلام : « **بل أنتم قـوم مسرفون** » ٠

---

(٨) درة التنزيل / ١٦٤ ، وانظر أيضا / ١٦٣ ٠

ومن مجموع الأوصاف نستطيع أن نقول : ان القـوم أمام اصرارهم على ارتكاب هـذه الفاحشة أصيبوا بفساد الطبع فأشربت قلوبهم حبها وتركوا الطريق الطبيعى لقضاء الشهوة(٩) وكرهوه رغم ارشادهم اليه ، وأصيبوا أيضا بفساد العقل فأصبحوا (لا يعرفون ضرر هـذه الفاحشة فى الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة)(١٠) ٠

● وأضافت سورة العنكبوت : أن القـوم كانوا لا يكتفون بارتكاب هذه الفاحشة مـع بعض فقط ، وانمـا كانوا يغتصبون المـارة من الغرباء ، وأضافت أن القـوم كانوا يباشرون هـذا القـذر فى مجالسهم علانية يرى بعضهم بعضا عليه ، فما أقبح هـذا التبجح وما أفظع هـذا الاستهتار ٠

ولعـل سر هـذه الاضافة هـو التدرج فى الانكار ، فقد علمت أن سورة العنكبوت هى آخر السور ـ التى حكت قصة لوط بتفصيل ـ نزولا ، ولعـل « الخطيب الاسكافى » يقصدها عندما قال : (وقـد خاطبهم لوط عليه السلام بذلك وبأكثر منه فى مقامات انكاره عليهم ودعائه لهم) ٠

اجابة القـوم :

● تتحـدث سورة الأعراف عن هـذه الاجابة فتقول : « **وما كان جـواب قـومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون** » ٠

وهـذه الآية تفصح عن محاورة دارت بين القوم وقال بعضهم لبعض فيها : **أخرجـوا لوطـا ومن آمن معـه من قريتكم(١١) التى تسكنونها ، لأنهم أناس يتنزهون عن فعلنا ولا يقروننا عليه** » وعلى هذا فجملة « **انهم أناس يتطهرون** » تعليل للأمر بالاخراج ٠

ويستفاد من قولهم : « أخرجـوهم من قريتكم » ، أن القـوم كانوا يسيطرون على البلـد ويملكون أمرها ، ويبـدو أن هـؤلاء هم طبقة الرؤسـاء الذين استكبروا عن قبول الحـق والاذعان له ٠

● وتتحـدث سورة الشعراء عن هـذه الاجابة فتقول : « قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين » ٠

---

(٩) هـذا هو معنى كونهم مسرفين ، وكونهم عادين ٠
(١٠) تفسير المنار ح ٨ / ٤٥٥ ٠
(١١) القرية هى : سدوم وتقع بشرق الاردن ٠

لقد هدد القوم لوطا وأوعدوه أنه ان لم يكف عن دعواه النبوه ، أو عن الانكار عليهم فيما يفعلون ليخرجونه من بلدهم ٠

ويستفاد من قولهم « لتكونن من المخرجين » فوق تحكمهم وسيطرتهم انهم أخرجوا أناسا قبل ذلك ، لأنهم خالفوهم فى أمر ما لم يفصح القرآن عنه(١٢) ٠

● وتتحدث سورة النمل عن هذه الاجابة فتقول : « فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ٠

ومعنى هذه الاجابة معنى اجابة سورة الأعراف ، ويبدو أن المحاورة التى دارت بين القوم هنا وفى سورة الأعراف حضرها لوط وفهم منها موقف القوم ٠

● وتأتى سورة العنكبوت فنراها تقول فى الاجابة « فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين » ٠

وهذه الاجابة تفيد أن القوم سألوا لوط أن يأتيهم بعذاب الله ، وانهم لا يصدقونه ٠ لكن فى أى شيىء ؟ لا يظهر النص ذلك ٠٠ ، ٠٠ ومن الممكن أن نقول : ان لوطا توعدهم بالعذاب ان لم يقلعوا عن هذه الفاحشة بعد التوبيخ والانكار ، فردوا عليه بمقالتهم هذه التى تدل على عدم مبالاتهم ، وعلى أنهم لا يصدقونه فى توعده ، ولقد طوى القرآن ذلك وجاء بما يدل عليه (١٣) ٠

من هذا العرض نستطيع ن نقول :

ان سورة الأعراف وسورة الشعراء وسورة النمل تتفق اجاباتها فى المضمون وتفيد كلها أن القوم كانوا يسيطرون على البلد ويملكون أمرها ، ولكن سورة الشعراء تضيف فوق هذا ن القوم أخرجوا مجموعة من الناس، لأنهم خالفوهم فى أمر ما لم يفصح القرآن عنه ٠ ولانكاد نرى اختلافا بين اجابة سورة الأعراف وسورة النمل ٠ سوى أن سورة النمل قد بينت أن الضمير فى قوله : « أخرجوهم » ، يعود الى لوط عليه السلام ومن آمن

---

(١٢) انظر البحر المحيط ح ٣٦/٧ ٠
(١٣) انظر البحر المحيط فى تفسير الآية ٠

معـه(١٤) ٠ ، والنقرأ الآيتين مرة ثانية ٠ تقـول آية الأعراف : « وما كان جـواب قـومه الا أن قالوا أخرجـوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون » ٠

وتقول آية النمل « فمـا كان جـواب قـومه الا أن قالوا أخرجـوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون » ٠

ويذكر صاحب أسرار التكرار السر فى أن سورة الأعراف هى التى اختصت بالضمير فيقـول : (سـورة النمل نزلت قبـل هـذه السورة ـ يقصـد سـورة الأعراف ـ ، فصرح فى الأولى ولى فى الثانية)(١٥) ٠

ومن الاختلاف فى التعبير أيضا أن سورة الأعراف صـدرت الآية فيهـا بالواو ، أما سـورة النمل وسـورة العنكبوت ، فقـد صـدرت آية كل منهما بالفـاء ٠

وقـد تحـدث صاحب المنار عن سبب الاظهار والاضمار ، وعن سـبب اختـلاف العطف ، فقال :

(فان قيـــل ٠ انه لم يسبق ذكر لمن آمن معـه فيعـــود اليهم ضمير « أخرجـوهم » ٠

قلنـا : ان هـذا ممـا يعرف بالقرينـة ، وقـد صرح به فى آية النمل ففيها : « أخرجـو آل لوط » بدل أخرجوهم والباقى سـواء ، الا العطف فى أولهـا بالفاء كآية العنكبوت التى اختلف فيها الجواب وهى : « فما كان جـواب قـومه الا أن قالوا أئتنا بعـذاب الله ان كنت من الصادقين) والقرآن يفسر بعضه بعضـا ، ومتى كان الكلام مفهوما كان صحيحا فصيحا »(١٦) ٠

ثم ذكر السر فى اختلاف العطف فقال :

(ما وجـه بدء جملة الجـواب بالواو تارة بالفـاء أخرى ، وما وجـه اختصاص كل منهما بموضعه) ؟

---

(١٤) يقول صاحب البحر نقلا عن ابن عطيه « الضمير عائد على آل لوط وأهله وان كان لم يجر لهم ذكر فان المعنى يقتضيهم » ٠

(١٥) أسرار التكرار / ٧٧ ، وانظر البحر المحيط ح ٣٣٤/٤ ، وما ذكره « الكرمانى » و « أبو حيان » يخالف ما قاله علماء علوم القرآن ٠ انظر الاتقان ح ١١/١ ٠

(١٦) المنار ح ٤٥٦/٨ ٠

قلنـا أن عطف الجملة على ما قبلها بكل من « الواو » و « الفاء » جائز ، الا أن فى « الفاء » زيادة معنى ، لانها تفيد ربط ما بعـدها بمـا قبلها بمـا يقتضى وجـوب تلوه له ، فهو جماع معانيها العـامة من التعقيب والسببية وجزاء الشرط ، والاصـل العام فى هـذا الارتباط أن يكون ما بعـد الفاء أثر الفعل وقـع قبله ٠ وكل من آيتى النمل والعنكبوت جاء بعـد اسناد فعل الى القوم ، وهـو قـوله فى الأولى : « بل أنتم قـوم تجهلون » وفى الثانية : « أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر » ، فلذلك عطف الجـواب على ما بعـدهما بالفاء ٠ وأما آية الأعراف فقـد جاءت بعـد جملة أسمية وهى قـوله : « بل أنتم قـوم مسرفون » واسناد صفة الاسراف اليهم فيها مقصود بالذات دون ما قبله من فعـل الفاحشة الذى كان بتكراره علة لهـذه الصفة ، وكان الاصرار عليه معلولا لها(١٧) ٠

ونرى سـورة العنكبوت تضيف أن القـوم قـد طلبوا من لوط أن ينزل بهم عـذاب الله ، وتضيف استنتاجا أن لوطا قـد توعـدهم بالعـذاب ٠ وهـذا قول الله : « فمـا كان جـواب قـومه الا أن قالوا ائتنا بعـذاب الله ان كنت من الصـادقين » ٠

وقـد بين صاحب المنار سر هـذه الاضافة أثناء اجابته على سـؤال قـد يرد وتقـديره : هـل هناك تعارض بين الاجابة فى سورة العنكبوت ، وبين الاجابة فى السور الثلاث(١٨) ، فقال : (قلنـا : انه لا تعارض ولا تنافى بين الجـوابين ، لحملهما على الوقـوع فى وقتين ٠ ولا شك أنه كان ينهاهم كثيرا ، فكان يسمع فى كل وقت كلاما ممن حضر منهم ، وقـد قلنـا : ان قصص القرآن لم يقصـد بهـا سرد حـوادث التاريخ بل العبرة والموعظة ، فيذكر فى كل سورة من القصـة الواحـدة من المعانى والمواعظ مالا يذكر فى الأخرى ، ومجموعها هـو كل ما أراد الله تعالى أن يعظ به هـذه الأمة ٠ فمن المعهود أن الرسل عليهم السلام ـ وكذا غيرهم من الوعاظ الذين ينهون الضالين والمجرمين عن المنكر ـ يكررون لهم الوعظ بمعـان متقاربة ، ويسمعون منهم أجـوبة متشابهة ، وقـد يقـول بعضهم مالا يقـول غيره فيعجبهم ويقرونه عليه فيسند اليهم كلهم ، كما يسند اليهم فعـل الواحـد منهم اذا رضـوه وأقروه عليه ولو بعـد فعـله ، كما تقـدم آنفـا فى اسناد عقر الناقـة الى قـوم صالح وانما عقرها واحـد منهم ، وقـد حكى الله تعالى من قـول رسوله لوط عليه السلام لقـومه فى سـورة

---

(١٧) تفسير المنار ح ٨/٤٥٧ ، وانظر أسرار التكرار / ٧٧ ، ودرة التنزيل / ١٦٢ ٠

(١٨) الاجابة فى السور الثلاث واحـدة ٠

العنكبوت ما لم يحكه فى سورتى الأعراف والنمل ، فزاد على اتيانهم الرجال قطع السبيل ، واتيانهم المنكر فى النادى الحافل ، والمجلس الحاشد ، فكأنهم ضاقوا به حينئذ ذرعا واستعجلوه العذاب الذى أنذرهم اذا أصروا على عصيانه ، والا ظهر أن هذا كان بعد أمرهم باخراجه ، وأن التوعد بالاخراج كان قبل الأمر به والله أعلم)(١٩) ٠

وتنتهى المحاورة فى سورتى الأعراف والنمل ولكنها لا تنتهى فى سورتى الشعراء والعنكبوت ٠٠

ففى سورة الشعراء يرد لوط على تهديد القوم له بالاخراج بقوله : « قال انى لعملكم من القالين »(٢٠) ، ثم يقول : « رب نجنى وأهلى مما يعملون » ٠

والآية الأولى تفيد ن لوطا لم يبال بتهديدهم ، فأعلن اشمئزازه وكرهه لجريمتهم ، ويقول المفسرون ٠ ان هذا القول أبلغ من أن يقال : « انى لعملكم قال » ، وذلك لأن لفظة قال لا تفيد أكثر من تلبسه بالفعل ، أما قوله : « من القالين » فانها تفيد فوق التلبس بالفعل أن هناك أناسا غيره يكرهون هذا الفعل ٠ وهم الذين استقامت فطرتهم(٢١) ٠

والآية الثانية بها توجه لوط الى الله سبحانه أن ينجيه وأهله مما يعملون ، وقد يفهم منها أن هذا دعاء أن يعصمه الله وأهله من هذا الانحراف والشذوذ ، ولكن يعارضه أن الله يقول بعد ذلك : « فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ٠ ثم دمرنا الآخرين » ، فالمراد بالتنجية فى قوله : « فنجيناه وأهله أجمعين » التنجية من العذاب الذى نزل بالقوم ، فلو كان المراد بدعاء لوط العصمة من الانحراف والشذوذ ، تكون الاجابة مخالفة للدعاء ، ولهذا نقول : ان المراد بدعاء لوط هو طلب النجاة من عقوبة ما يعملون ، فهو قد أحس أن الله سيعاقبهم على فعلهم ، فطلب النجاه له ولأهله من هذه العقوبة ، وبهذا يتفق دعاء لوط مع اجابة الله سبحانه وتعالى(٢٢) ٠

---

(١٩) تفسير المنار ح ٨/٤٥٦ ، وانظر درة التنزيل / ١٦٤ ٠

(٢٠) قوله « لعملكم » متعلق بمحذوف دل عليه « القالين » والتقدير : انى من القالين لعملكم ، وقوله « القالين » اسم فاعل ماضية « قلى » ومضارعة يقلى ، ومصدره « قلى » ٠٠ انظر البحر المحيط ٠

(٢١) انظر البحر ح ٧/٣٦ ٠

(٢٢) لصاحب البحر رأى يخالف هذا فارجع اليه ٠

وعلى هـذا فان سـورة الشعراء قـد أضافت هـذا الرد الجـديد ، وهـذا الدعاء الذى توجـه به لوط الى الله ٠

● وفى سـورة العنكبوت أجاب هـود القـوم عندما طلبوا منه نزول العـذاب بقـوله : « قال رب انصرنى على القوم المفسدين » ، وهـذا الدعاء اضافة جـديدة أضافتها سـورة العنكبوت ٠

والآية يفهم منها أن لوطا يئس من ايمانهم فطلب أن ينصره الله عليهم ، ومراده بالنصر انزال العـذاب بهم ، فكأنه قال : رب انصرنى بانزال العـذاب على القـوم المفسدين ٠

ويلاحظ أن الأنبياء لا يدعـون بانزال العـذاب ، أو بالهـلاك ، الا اذا علموا أنه لا خير فى وجود الكفرة،وقد قال نوح قبل ذلك : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ٠ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » ، فقـد فهم نوح أنه لا خير فى وجـود هـؤلاء الكفرة ، بل فهم أن وجـودهم فيـه خطـورة على الناس ، ومن هنا دعا بهلاكهم(٢٣) ٠

ويبدو أن دعاء لوط على القـوم صـدر أمامهم ، ومن هنا فانه يعتبر اجابة على طلب نزول العـذاب ٠

الحـديث عن النهاية فى سورة الأعراف ، والشعراء ، والنمل :

● تتحـدث سـورة الأعراف عن النهاية فتقول : « فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ٠ وأمطرنا عليهم مطرا فانظـر كيف كان عاقبـة المجرمين » ٠

● وتتحـدث سورة الشعراء عن هـذه النهاية فتقول : « فنجيناه وأهـله أجمعين ٠ الا عجـوزا فى الغابرين ٠ ثم دمرنا الآخرين ٠ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنـذرين » ٠

● وتتحـدث سورة النمل عن هـذه النهاية فتقول : « فأنجيناه وأهله الا امرأته قـدرناها من الغابرين ٠ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنـذرين » ٠

---

(٢٣) انظر الفخر الرازى ٠

ومن استعراض الآيات السابقة نستطيع أن نقـول : ان هـذه الآيات تحـدثت عن مصير المؤمنين أولا ، ثم تحـدثت عن مصير الكافرين ثانيا ٠

والحـديث عن مصير المؤمنين بينت فيه الآيات كلها أن الله سبحانه نجى لوطا وأهله الا امرأته ، وعلى هـذا فالآيات كلها تتفق فى ذلك ولا نرى اختلافا حـول هـذه النتيجة ٠

ونتساءل :ماالمراد بلفظ الأهـل الذى تكرر فى السور الثلاث أثنـاء الحديث عن مصير المؤمنين ؟

ويجـاب بأن الأهـل يصح أن يطلق على كل من آمن به سـواء أكانوا أهـل بيته حقيقة أم لا ؟ ولكن لأن لوطا لم يؤمن به أحـد من خارج بيته ودليل ذلك قـوله تعالى فى سورة الذاريات : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ٠ فما وجـدنا فيها غير بيت من المسلمين » ، نقـول : ان الأهـل المراد به أهـل بيته الحقيقين ، ومن هنا استثنى الله منهم امرأته ٠

● ومـع هـذا الاتفاق فاننا نرى التعبير عن بقـاء امرأة لوط فى العـذاب يختلف من سـورة الى سـورة ٠

ففى سورة الأعراف يقول الله : (٠٠٠٠ الا امرأته كانت من الغابرين) ، وفى سـورة الشعراء يقـول سبحانه : « الا عجوزا فى الغابرين » ، وفى سـورة النمل يقـول عز وجـل : « الا امرأته قـدرناها من الغابرين » ٠

● ويبـدو أن الاختلاف يظهر فى أن آية الأعراف عبرت عن عذابها بالماضى حيث قالت : « الا امرأته كانت من الغابرين » ، يعنى انها عـذبت فعلا ٠

أما سـورة الشعراء والنمل فقـد عبرتا عن عـذابها بالمستقبل ، يعنى أنها ستعذب ولـما تعـذب بعـد ، وذلك لأن آية الشعراء تقـول : « الا عجوزا فى الغابرين » ، والتقـدير : الا عجوزا مقـدرا كونها فى الغابرين(٢٤) ، وآية النمـل

---

(٢٤) يقول الفخر الرازى : ان قيل ان قوله « فى الغابرين » صـفة لعجوز كأنه قيل : الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم ؟ أجيب بأن المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها ٠

تقـول : « الا امرأته قـدرناها من الغابرين » ، والتقـدير : الا امرأته قـدرنا كونها من الغابرين(٢٥) ٠

وعلى هـذا نقـول : ان التعبير بالمستقبل هـو الأصل ، لأن الاهـلاك كان بعـد النجاة ، فجـاء بالأصـل فى بعض السور ، وجاء بالمـاضى فى بعض السور الأخرى ليفيد تحقق الوقـوع ٠

وفـوق هـذا الاختلاف فاننـا نرى أن سورة الشعراء قـد أضافت أن امرأة لوط كانت وقت نزول العـذاب بها كبيرة السن وانها عمت فى الكفر ودامت فيـه الى أن أهلكها الله على هـذه الصورة ٠

● أما الحـديث عن العـذاب فقـد تنـاول مصير الكافرين والعـذاب الذى لحقهم ، وتتفق الآيات فى أن العقاب الذى أهلكهم الله به انمـا كان مطـرا أرسله الله عليهم ٠ وقـد جاء مـع كل نص ما يفيـد أن المطر ليس مطر رحمـة وانمـا هـو مطر عـذاب ، وقـد اختلف التعبير عن هـذه الدلالات فى بعض السور ، ففى سـورة الأعراف يقـول سبحانه : « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين، وفى سـورة الشعراء يقـول سبحانه : « ثم دمرنا الآخرين » ، ثم يقـول : « فساء مطر المنذرين » ، وفى سـورة النمل يقول عز وجـل : « فساء مطـر المنـذرين » ٠

وقـد يتساءل متسائل : كيف يقـول الله فى سـورة الشعراء : « ثم دمرنا الآخرين » ثم يقـول بعـد ذلك : « وأمطرنا عليهم مطرا » ، والترتيب يقتضى العكس كما هـو ظاهر ؟

ويجاب بأن القصص القرآنى لا يعنى بترتيب الأحـداث كما وقعت فذلك شـأن التاريخ ، وانمـا يعنى بغير ذلك ، يقـول صاحب المنار بعـد أن انتهى من تفسير قوله تعالى : « واذ استسقى موسى لقـومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر .... الآية »(٢٦) ٠

---

(٢٥) يقول صاحب روح المعانى : هذا التقدير يحتاج اليه ، لأن تقدير الله يتعلق بالفعل لا بالذات ـ يعنى لا يقال قدر الله فلانا وانما يقال قدر الله موت فلان أو نجاته ٠ ولفظ الغابرين معناه : الباقين فى العذاب ، يقال غبر الشيىء يغبر غبورا أى بقى ، وقد يستعمل فيما مضى ـ أيضا ـ فيكون من الأضداد ٠

(٢٦) آية ٦٠ من سورة البقرة ٠

ان كثيرا من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب فى القصص ، ويقولون هنا : ان الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التية وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكر هنا بعد تلك الوقائع(٢٧) والجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلناه مرارا فى قصص الأنبياء والأمم الواردة فى القرآن ، وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها ، وانما المراد بهذا الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها ، وبيان النقم بعللها لتتقى من جهتها ، ومتى كان هذا هو الغرض من السياق ، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع فى الذكر على الوجه الذى يكون أبلغ فى التذكير وأدعى الى التأثير) ثم يقول :

(ان الباحثين فى التاريخ لهذا العهد قد رجعوا الى هذا الأسلوب فى التقديم والتأخير وقالوا : ستأتى أيام يستحيل فيها ترتيب الحوادث والقصص بحسب تواريخها لطول الزمن وكثرة النقل مع حاجة الناس الى معرفة سير الماضين ، وما كان لها من النتائج والآثار فى حال الحاضرين ، وقالوا : ان الطريق الى ذلك هو أن ننظر فى كل حادثة من حوادث الكون كالثورات والحروب وغيرها ونبين أسبابها ونتائجها من غير تفصيل ولا تجديد لجزئيات الوقائع بالتاريخ ، فان ترتيب الوقائع هو من الزينة فى وضع التاليف فلا يتوقف عليه الاعتبار ، بل ربما يصد عنه بما يكلف الذهن من ملاحظته وحفظه ٠

فهذا ضرب من ضروب الإصلاح العلمى جاء به القرآن وأيده سير الاجتماع فى الانسان(٢٨) ٠

وبعد أن استعرض بعض الآيات من قصة البقرة قال : (قال الأستاذ الامام جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذى لم يسبق اليه ولم يلحق فيه ، فهو فى هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ، ولا طريقة الكتاب فى تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى فى القصة الواحدة ، وانما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ، ويحرك الفكر الى النظر تحريكا ، ويهز النفس للاعتبار هزا ٠ وقد راعى فى قصص بنى اسرائيل أنواع المنن التى منحهم الله تعالى اياها ، وضروب الكفران والفسوق التى قابلوها بها ، وما كان فى أثر كل ذلك من تأديبهم بالعقوبات وابتلائهم بالحسنات والسيئات

---

(٢٧) ذهب الكثير من العلماء الى أن الاستسقاء وضرب الحجر كان فى التيه لا قبلة ، ولا يهمنا مناقشة ذلك ٠

(٢٨) تفسير المنار ح ١/ ٢٧١ ٠

وكيف كانوا يحدثون فى أثر كل عقوبة توبة ، ويحدث لهم فى أثر كل توبة نعمة ، ثم يعودون الى بطرهم ، وينقلبون الى كفرهم)[٢٩] ٠

حلقة مكررة :

اذا كانت القصة قد انتهت فى سورة الأعراف والشعراء والنمل ، فانها لم تنته فى سورة العنكبوت ، فبعد أن دعا لوط على القوم بقوله : « قال رب انصرنى على القوم المفسدين » نرى السورة تقول : « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين ٠ قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ٠

ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعا[٣٠] وقالوا لا تخف ولا تحزن[٣١] انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين[٣٢] ٠ انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ٠ ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » ٠

ونترك الحديث عن مجيىء الملائكة الى ابراهيم ، وعن حديثها معه فى هذه السورة وفى غيرها ، فهو لا يعنينا كثيرا ، واذا نظرنا بعد ذلك الى ما تبقى من القصة فى السورة نرى أنه يبين لنا أن الرسل جاءوا الى لوط عليه السلام فى صورة بشرية ، فاصابه الغم والحزن بسبب مجيئهم ، وذلك لأنه خاف أن يتعرض لهم القوم بسوء كما هى عادتهم مع الغرباء ، وأحس لوط أنه عاجز عن احتمال ضيافتهم فاعتراه انقباض شديد وتضجر ظاهر ، ولما رأى الرسل أمارات الضيق والحزن بادية عليه طمأنوه ، ثم أعبروه بالمصير الذى ينتظر القوم ٠

ونستطيع أن نقول : ان مقطع مجىء الملائكة الى لوط وبعض حديثها معه يعتبر اضافة جديدة انفردت بها سورة العنكبوت عن سورة الأعراف ،

---

(٢٩) تفسير المنار ح ١/٢٨٧ ٠

(٣٠) المعنى : ضاق صدره أى انقبض ، فالذرع كناية عن الصدر وضيقة كناية عن شدة الانقباض ، انظر روح المعانى ح ١٢/١٠٥ ٠

(٣١) فرق المفسرون بين الخوف والحزن ، بأن الخوف للمتوقع ، والحزن للواقع ٠ انظر روح المعانى ، والبحر المحيط ٠

(٣٢) يبدو أن الملائكة باشرت عذاب القوم باذن الله ، ومن هنا نسبوا ذلك الى أنفسهم ٠

وسـورة الشعراء ، وسـورة النمل ، كما أن الحـديث عن العـذاب فى هـذا المقطع جاء بأسلوب جـديد سنتحدث عنه فيما بعـد ٠

ولكن مـع هـذا فاننا نرى هـذه الاضافة التى انفردت بهـا سـورة العنكبوت عن السور السابقة لا تعتبر اضافة بالنسبة لسور أخرى ، فقـد ذكرت هـذه الحلقة وحـدها من قصة لوط فى سـورتى هـود ، والحجر وبتفصيل أكثر ، ومن هنا فاننا تترك هـذه الحلقة أو هـذا المقطع فى سـورة العنكبوت ، حيث أنه ذكر بايجاز أكملت به السورة بقية القصة ٠

ونمضى الى سـورة هـود ، وسـورة الحجر فنعقـد مقارنة بينهما ، لنرى ما هى الاضافات التى حملتها كل سـورة ٠

الحلقـة فى سـورة هـود :

يقـول سبحانه : « ولمـا جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعـا وقال هـذا يوم عصيب ٠ وجاءه قـومه يهرعـون اليه ومن قبـل كانوا يعملون السيئات قال يا قـوم هـؤلاء بناتى هن أطهر لكم فأتقـوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجـل رشيد ٠ قالوا لقـد علمت ما لنـا فى بناتك من حـق وانك لتعلم ما نريد ٠ قال لو أن لى بكم قـوة أو أوى الى ركن شـديد ٠ قالوا يا لوط انا رسـل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليـل ولا يلتفت منكم أحـد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعـدهم الصبح أليس الصبح بقريب ٠ ولمـا جاء أمرنا جعلنـا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ٠ مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد » ٠

المعنى :

« ولمـا جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هـذا يوم عصيب » ٠

هـذه الآية تبين مدى ما أصاب لوطا عليـه السلام من الحزن عندما جاءته الملائكة فى صورة بشرية ، وتبين أن لوطا كشف عمـا اعتراه بقـوله : « هـذا يوم عصيب » ، أى ، شـديد الأذى ٠

« وجاءه قـومه يهرعـون اليه » ٠

لمـا علم القـوم بوجـود أضياف عنده ، جاءوا مسرعين كان سائقا يسوقهم « ومن قبـل كانوا يعملون السيئات »(٣٣) ٠

---

(٣٣) قال صاحب البحر : انما جمعت باعتبار فاعليها ، أو باعتبار تكررها ٠

يفهم من هـذه الجملة أن هـؤلاء القـوم قبل أن يأتوا لوطـا كانوا على تلك السيئة فى أنديتهم ، فحمى الشذوذ الجنسى قـد اصابتهم فارتكسوا فيها لا يتركونها الا ليباشرونها ٠

« قال يا قـوم هـؤلاء بناتى هن أطهرلكم » ٠

رأى لوط فى القـوم السعار الجنسى المنحرف (فحاول أن يوقظ فيهم الفطرة السليمة ويوجههم الى الجنس الآخـر الذى خلقـه الله للرجـال)(٣٤) حتى ينصرفـوا ٠

(والظاهر أنه يأمرهم فى هـذه الحال الذى هاجت فيه شهوتهم واشـتد شبقهم ، أن يأتوا نساءهم كما ورد فى الارشاد النبوى لمن رأى امرأة أعجبته أن يأتى امرأته فى تلك الحالة التى هاجته فيها رؤيتها)(٣٥) ٠

ومعنى « أطهرلكم » : أنظف من هـذا القـذر ، وأفعـل التفضيل على غير بابه(٣٦) ٠

« فاتقـوا الله ولا تخزون فى ضيفى » ٠

حاول لوط فى هـذه المرة أن يثير فيهم جانب الخـوف من الله ، وجانب النخـوة حتى ينصرفـوا أيضا ، فأمرهم بتقـوى الله ، ونهاهم عن اخزائه فى ضـيفه ، فان اخزاء الضيف اخزاء للمضيف ٠

« أليس منكم رجـل رشـيد » ٠

(ذو رشـد يعقل هـذا فيرشـدكم اليه)(٣٧) ٠

« قالوا لقـد علمت مالنا فى بناتك من حـق » ٠

أجاب القـوم فى تبجح فأعلنوا أنه ليست لهم حاجـة الى أزواجهم اللائى ينسبهن اليه ويسميهن بناته ٠

« وانك لتعـلم ما نريد » ٠

اشارة خبيثة الى العمـل الخبيث ٠

---

(٣٤) الظلال ح ٤/٦٠٤ ٠
(٣٥) المنار ح ١٢/١٣٤ ٠
(٣٦) المرادية : المبالغة فى الطهر ٠
(٣٧) المنار ح ١٢/١٣٥ ٠

« قال لو أن لى بكم قـوة أو آوى الى ركن شـديد » ٠

أحس لوط اصرار القـوم ، وأحس مـع هـذا الاصرار بضعفه فاتجـه الى الأضياف يقـول لهم : « لو أن لى بكم قـوة » ، يعنى لو أنكم تكونون قـوة أتقـوى بهـا على القتال لقاتلتهم ، « أو آوى الى ركن شـديد » ، أو لو كان لى ملجـأ قـوى من أصحاب العصبيات أحتمى به من هـذا التهـديد ٠

ولقـد صـدرت هـذه الكلمة الأخيرة من لوط فى وقت الضيق والشدة وفى سـاعة احساسه بالضعف والعجز ، فعبرت عن هـذا التمنى ، وغاب عن لوط أنه يأوى الى ركن الله الذى لا يتخلى عن أوليائه(٣٨) ، وقـد كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : « **رحم الله تعالى أخى لوطا كان يأوى الى ركن شـديد** » ٠

« قالوا يا لوط انا رسـل ربك لن يصلوا اليك » ٠

لمـا رأى الأضياف ما أصاب لوطا من الكرب والشدة كشفوا له عن حقيقة أمرهم فقالوا له : انا رسل ربك لن يصلوا اليك ، أى لن يصيبوك بسوء ، ومن باب أولى لن يصلوا الينا ٠

ثم ألقـوا اليه تعليماتهم فقالوا : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحـد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم » ٠

ثم بينوا وقت نزول العـذاب فقالوا : « **ان موعـدهم الصبح أليس الصبح بقـريب** » ٠

ويكشف القرآن عن الخاتمة فيقول : « **فلمـا جاء أمرنا جعلنـا عاليهـا سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ٠ مسومة عند ربك وما هى من الظـالمين ببعيد** »(٣٩) ٠

---

(٣٨) ذهب صاحب البحر الى أن » أو « بمعنى « بل » ، وعلى هذا يكون لوط عليه السلام قد أضرب عن الجملة السابقة وقال : بل أوى الى ركن شديد ، ويقصد جناب الله عز وجل ، ولكن ما جاء فى الأحاديث الصحيحة يأبى ذلك ٠ انظر البحر ، وروح المعانى ٠ والحديث متفق عليه ٠

(٣٩) سنقف على معنى هذه الآية والآية التى قبلها بتفصيل أكثر فيما بعد ٠

الحلقة فى سورة الحجر :

يقول سبحانه : « فلما جاء آل لوط المرسلون • قال انكم قوم منكرون• قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • وأتيناك بالحق وانا لصادقون • فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون • وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • وجاء أهل المدينة يستبشرون • قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون • وأتقوا الله ولا تخزون • قالوا أو لم ننهك عن العالمين • قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين • لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون • فأخذتهم الصيحة مشرقين • فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل • ان فى ذلك لآيات للمتوسمين • وانها لبسبيل مقيم • ان فى ذلك لآية للمؤمنين » •

المعنى :

« فلما جاء آل لوط المرسلون • قال انكم قوم منكرون » •

جاء الملائكة فى صورة أضياف الى لوط ، فلما رآهم قال لهم على الفور : « انكم قوم منكرون » (لستم معروفين)(٤٠) ، ولعل لوطا قصد من وراء ذلك أن يفهمهم عادة القوم مع الغرباء الذين لا يعرفونهم •

« قالوا بل(٤١) جئناك بما كانوا فيه يمترون » •

كشفوا له عن حقيقة أمرهم بهذا القول ، ومعناه : جئناك بالعذاب الذى كنت تتوعدهم به ويشكون فى وقوعه •

« وأتيناك بالحق وانا الصادقون » •

أتيناك بالخبر الحق ، وانا لصادقون فى كل خبر فنحن صادقون فى هذا(٤٢) • ثم ألقوا اليه تعليماتهم فقالوا : « **فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع دبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون** » •

---

(٤٠) تفسير القرطبى ح ١٠/٣٨ •

(٤١) « بل » اضراب عن قول محذوف أى ما جئناك بشيىء تخافه بل جئناك بالعذاب **الذى كانوا يشكون** فى وقوعه • انظر البحر المحيط •

(٤٢) انظر روح المعانى ح ١٤/٦٨ ، وأعلم أنه يجوز وصف الخبر بالحق وان كان **الأكثر وصفه بالصدق** •

« وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هـؤلاء مقطوع مصبحين » ٠

قضينا اليه ذلك الأمر الخطير ، ثم فسره بقـوله : **« أن دابر هـؤلاء مقطوع مصـبحين » ٠**

وجاء أهـل المدينة يستبشرون ٠

جاءوا فرحين مسرورين ، وهـذه الجملة تبين موقف القـوم عندما علموا بوجـود أضياف عند لوط ٠

« قال ان هـؤلاء ضيفى فلا تفضحون ٠ وأتقـوا الله ولا تخزون » ٠

حاول لوط أن يصرفهم فخـوفهم من الله ، ونهاهم عن اخزائه فى ضيفه ، وكرر ذلك النهى ، وعبر عنه تارة بالاخزاء وتارة بالفضيحة ، وكلاهما بمعنى واحـــد ٠

« قالوا أو لم ننهك عن العـالمين » ٠

يبـدو أن لوطا عليه السلام كان يحاول أن يمنعهم من التعرض للغرباء ، فكانوا ينهونه عن ذلك ٠

« قال هـؤلاء بنـاتى ان كنتم فاعلين » ٠

عرض عليهم بناته ان كانوا يريدون قضاء الشهوة فيما أحـل الله ٠

« لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » ٠

ذهب بعض المفسرين الى أن معنى الآية أن الملائكة أقسمت بحيـاة لوط أن قـومه متحيرون فى الضلالة فلا يستطيعون معها ادراك الحـق أو الاهتـــداء اليه(٤٣) ، ونحن نرجح هـذا ٠

ثم تتحـدث السورة عن النهاية فتقول :

« فأخـذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ٠ وانها لبسبيل مقيم ٠ ان فى ذلك لآية للمؤمنين » ٠

---

(٤٣) انظر روح المعانى ح ٧٢/١٤ ٠

المقـارنة والاضـافات :

(أ) تصـوير موقف القـوم فى السورتين :

تبين سورة هـود أن القـوم عندما علموا بوجـود أضياف عند لوط جاءوا مسرعين تسوقهم الشهوة ويدفعهم السعار الجنسى المنحرف ٠

أما سورة الحجر فانها تبين أنهم جاءوا فرحين مسرورين ٠

ومن **مجموع** النصين نفهم أن القـوم جاءوا مسرعين تسوقهم الشهوة ، وانهم كانوا فرحين مسرورين أثناء قـدومهم ، لتخيلهم قضاء شهوتهم ، ومن كان هـذا حاله لا يثور فيه شعور بالذنب أو احساس بالخطـأ ٠

وتأتى سورة هـود فتضيف وهى تصور موقف القـوم أن هـؤلاء الناس كانوا يرتكبون هـذه الفاحشة دائما فهم لا يتركونها الا ليباشرونها ، وذلك قـول الله : « **ومن قبـل كانوا يعملون السيئات** » ٠

(ب) المحاورة بين لوط وبين قـومه :

تجمهر القـوم على باب لوط ودارت بينهم وبينه محاورة ، وقـد تقـدمت آيات المحاورة فى السورتين ٠

ونرى هـذه المحاورة تتفق فى أن لوطا عليه السلام عرض على القـوم بناته ، وأثار فيهم جانب الخـوف من الله ، وجانب النخـوة ٠

وتضيف سورة هـود هـذا التوبيخ والانكار : « **أليس منكم رجـل رشيد** » ؟ ، وقـد وجهه لوط لقـومه عندما أجمعوا على فعـل الفاحشة ولم يجـد منهم ذا عقـل يمنعهم ٠

وتضيف سـورة الحجر تكرار النهى عن الفضيحة أو عن الاخزاء ، فقـد رود النهى عن الاخزاء فى سورة هـود مرة واحـدة ، ولكنه جاء فى سـورة الحجر مرتين ٠

واذا كانت سـورة هـود قـد أضافت أن لوطا قـد وبخ قـومه ، فان سـورة الحجر قـد أضافت العكس ، فأضافت أن القـوم هم الذين وبخـوا لوطا ، وذلك قـولهم : « **أو لم ننهك عن العـالمين** » ؟ ، فالمعنى ألم نحـذرك من التدخـل اذا قصـدنا أحـدا من الغرباء وأردناه ؟ ويفهم من هـذا أن لوطـا كان يباشر مهمة النصح لقـومه عندما يراهم يتعرضـون للغرباء ، وأن قـومه كانوا ينهونه عن ذلك ٠

وتضيف سورة هود أيضا اعلان القوم عدم حاجتهم الى النساء وأن ميولهم لاتهفوا الا الى الرجال ، وذلك قولهم : « **قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد** » ٠

(ج) تصوير حالة لوط النفسية :

تظهر بداية الحلقة فى سورة هود حالة لوط النفسية عندما جاءه الأضياف فقد بينت أنه قد أصابه حزن وضيق ، وأنه عبر عما أصابه بقوله : « **هذا يوم عصيب** » ٠

ومرة ثانية أظهرت الحلقة حالة لوط النفسية بعد أن تجمهر القوم على بابه ٠ عندما حكت أنه قال لأضيافه : « **لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد** » ، وابراز الحالة النفسية يعتبر اضافة أضافتها سورة هود وانفردت بها ٠ وقد يقول قائل ألا يدل قول الله على لسان لوط لأضيافه : « **قال انكم قوم منكرون** » على تصوير حالته النفسية ، فهذه الجملة قد يفهم منها أن لوطا ضاق صدره عندما رآهم ، لتوقع الأذى بسببهم ؟

ويجاب بأن هذا صحيح ، وفوق ذلك فهناك كثير من الاشارات فى سورة الحجر تدل على تصوير حالة لوط النفسية ، ومنها : قوله للقوم : « **ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون ٠ واتقوا الله ولا تخزون** » ، ويعتبر هذا القول قدرا مشتركا بين سورتى هود والحجر بصرف النظر عن تكرار النهى عن الاخزاء ، فهذا القول يفيد ضيق لوط وحزنه ، ومنها : التوكيدات التى جاءت فى قول الأضياف له : « **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ٠ وأتيناك بالحق وانا لصادقون** » ٠ (فهذه التوكيدات كلها تصور لنا جزع لوط وكربه وهو فى حيرة بين واجبه لضيفهعن حمايتهم فى وجه قومه ، فجاءه التوكيد بعد التوكيد ، لادخال الطمأنينة عليه قبل القاء اليه »(٤٤) ، ولكن رغم هذا فاننا نقول أن سورة هود قد أبرزت تصوير الحالة النفسية بصريح العبارة مرة فى أول الحلقة عندما حكت قوله : « **هذا يوم عصيب** » ، ومرة أخرى عندما حكت قوله لأضيافه : « **لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد** » ، ومرة ثالثة عندما قالت : « **ولما جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعا** » ، وهذه المرة لا تعتبر اضافة ، لانها جاءت فى سورة العنكبوت ، أما سورة الحجر فقد أفادت ذلك بالفحوى والمضمون ٠

---

(٤٤) الظلال ح ٥/٢١٣ ٠

(د) تطمين الملائكة للوط :

فى سـورة هـود طمأنت الملائكة لوطا عليه السلام بقولهم : « **يا لوط انا رسـل ربك لن يصلوا اليك** » ٠

وفى سـورة الحجر طمأنت الملائكة لوطا بقولها : « **بل جئناك بمـا كانوا فيه يمترون ٠ وأتيناك بالحـق وانا لصادقـون** » ٠

ونرى أن التطمين فى سـورة هـود جاء فى صـورة التصريح بنجاته من القـــوم ٠

أما التطمين فى سـورة الحجر فقـد جاء فى صورة انزال العـذاب عليهم ، وعلى هـذا ففى كل ما ليس فى الآخر ٠

(هـ) التعليمات التى صـدرت من الملائكة :

من خـلال حـديث الملائكة مـع لوط نرى أن هناك مجموعة من التعليمات وجهتها الملائكة الى لوط من الحلقتين ، تتحقق نجاته بتنفيذها ٠

● ففى سورة الحجر تقول الملائكة : « **فأسر بأهلك بقطع من الليـل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحـد وامضوا حيث تؤمرون** » ٠

● وفى سـورة هـود تقول الملائكة : « **فأسر بأهلك بقطع من الليـــل ولا يلتفت منكم أحـد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم** » ٠

ومعنى قـوله سبحانه على لسان الملائكة : « **فأسر بأهلك بقطع من الليل** » الذى تكرر فى الحلقتين : سر بأهلك بجزء من الليل قبل أن يطلع الصـباح ، وقـد كثرت أقـوال المفسرين حـول تحـديد هـذا الجزء ، فمن قائل : انه نصفه ، ومن قائل : انه آخره ، ومن قائل انه بعـد مضى صـدر منه ٠

ومعنى قـوله : « **ولا يلتفت منكم أحـد** » الذى تكرر فى الحلقتين أيضا : النهى عن الالتفات الحقيقى ، فان المهاجر قـد يحن وهـو خارج الى الديار فيتلفت وراءه يجـدد الشوق والذكرى ، فنهوا عن ذلك حتى لا يبطئوا(٤٥) ٠

---

(٤٥) انظر روح المعانى ج ١٤/٦٩ ، وهناك آراء أخرى تركناها ، ويلاحظ أن النهى عن الالتفات موجه فى اللفظ لأحد ، وفى المعنى للوط عليه السلام ، والمعنى على هذا : فأسر بأهلك ولا تدع أحدا منهم يلتفت ٠

ونرى بعد هذا الاتفاق أن سورة الحجر قد أضافت بعض التعليمات وانفردت بها عن سورة هود ، فقد جاء فيها قول الملائكة للوط عليه السلام : « واتبع أدبارهم » ، وهذا ما لا يوجد فى سورة هود ، ومعناه : سر فى مؤخرتهم حتى تضمن أن لا يتخلف أحد أو يتلكأ ٠

ونرى ثانية أن سورة الحجر قد أضافت قول الملائكة « وامضوا حيث تؤمرون » ، وهذا ما لا يوجد فى سورة هود ، ولا شك أن الملائكة حددت له المكان الذى ينزل فيه ، فكأنها أضافت تحديد المكان ٠

أما سورة هود فقد أضافت هذا الاستثناء وانفردت به عن سورة الحجر ، وهو قوله سبحانه على لسان الملائكة « الا امرأتك » ٠

وقد ذهب بعض المفسرين الى أن هذا الاستثناء منقطع (لا يقصد به اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ، ولا من المنهيين عن الالتفات ، ولكن استؤنف الاخبار عنها ، فالمعنى لكن امرأتك يجرى لها كذا وكذا ، ويؤيد هذا المعنى أن مثل هذه الآية جاءت فى سورة الحجر وليس فيها استثناء ، قال تعالى : « **فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون** » ، فلم تقع العناية فى ذلك الا بذكر من أنجاهم الله تعالى ، فجاء شرح حال امرأته فى سورة هود تبعا لا مقصودا بالاخراج مما تقدم)[٤٦] ٠

(و) موعد نزول العذاب :

تتحدث حلقة سورة هود عن موعد العذاب فتقول : « **ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** » ؟

وتتحدث حلقة سورة الحجر عن ذلك فتقول : « **وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** » ٠

وتتفق الآيتان فى أن كلا منهما قد حددت وقت نزول العذاب وأنه الصبح ، وقد جاء الأسلوب فى سورة الحجر يفيد تعظيم هذا العذاب فقد قال الله فيها : « وقضينا اليه ذلك الأمر » ، فهذه الجملة يستفاد منها أن الأمر

---

(٤٦) البحر المحيط ح ٥/٢٤٩ ٠

الذى سيوحى الى لوط جد خطير ، ثم فسره بقوله : « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ، فأفاد التفسير أنه فعلا خطير ٠

وفوق هذا الاختلاف فى الأسلوب نرى أن سورة هود تضيف هذا السؤال الذى وجهته الملائكة الى لوط بعد أن حددت له وقت نزول العذاب وهو : « أليس الصبح بقريب » ؟ ٠

ويبدو أنهم لا يريدون اجابة عليه وانما يريدون انعاش نفسه بقرب موعد الهلاك ٠

وذهب بعض المفسرين الى أن السبب فى هذا السؤال هو أن الملائكة بعد أن قالوا له « ان موعدهم الصبح » ، قال أريد أسرع من ذلك ، فقالت الملائكة : « أليس الصبح بقريب » ؟ يعنى أنه قريب فلا تتعجل(٤٧) ٠

وعلى هذا فسورة هود تضيف بهذا السؤال استعجال لوط لنزول العذاب بالقوم ، وأن الملائكة بينت له أن الموعد قريب فلا داعى للتعجل ٠

وعلى الرأى الأول يكون الغرض انعاش نفسه ، ونحن نرجح هذا ، لأنه يناسب ما ذكر فى السورة من تصوير حالته النفسيه ، وفوق هذا فالرأى الثانى يحتاج الى توقيف ٠

ويلاحظ أن سورة الحجر قد بينت أن العذاب نزل بهم فعلا وقت شروق الشمس ، وذلك قول الله سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين » ، أى داخلين فى وقت شروق الشمس ٠

وقد يقول قائل : كيف يقول الله فى سورة هود : « ان موعدهم الصبح » وهذا القول يفيد أن العذاب سينزل بهم فى الصباح ، وكذلك يقول فى سورة الحجر : « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ٠ وهذا القول يفيد أن العذاب سينزل بهم عند دخولهم فى الصباح وقبل أن تشرق الشمس ٠ أليس هناك تناقض بين هذين القولين ٠ وبين قوله : « فأخذتهم الصيحة مشرقين » الذى يفيد أن العذاب نزل بهم وقت الشروق ؟؟

ويجاب بأن ابتداء العذاب كان عند طلوع الصبح وأنه امتد الى شروق الشمس ، فكأن تمام الهلاك كان عند ذلك(٤٨) ٠

ونرى فى حديث الملائكة مع لوط فى سورة الحجر هذه الاضافة الجديدة التى لا توجد فى سورة هود وهى قوله سبحانه على لسان الملائكة ٠

---

(٤٧) البحر المحيط ٥/٢٤٩ ٠
(٤٨) انظر : البحر المحيط ، روح المعانى ، والمنار ، وابن كثير ٠

لعمرك(٤٩) انهم لفى سكرتهم(٥٠) يعمون » ، وهـذه الاضافة عبارة عن قسم وجـوابه ، لكن متى صـدر هـذا القسم ؟

يبـدو أنه صـدر من الملائكة بعـد أن عرض لوط على القـوم بناته ، وبعد أن شـاهدوا رفضهم وعـدم قبولهم لهـذا العرض ، فهم يصـورون بهـذا القسم انحرافهم الذى لا يرجى معـه صلاح ٠

(ز) العـذاب وكيفيته :

● لقـد تحـدثت سورة الأعراف ، وسورة الشعراء ، وسورة النمـل ، وسورة العنكبـوت عـن العـذاب وكيفيتـه ، فالحـديث عـن العـذاب فى الحلقـة الجـديدة فى سورتى هـود والحجر ليس جـديدا مثلها ، ولكن رغم ذلك فقـد جاء الحـديث عن العـذاب وكيفيته فيها فى السورتين تفصيل أكثر من السور السابقة ٠

وقـد تحـدثنا عن العـذاب في سورة الأعراف والشعراء والنمل وقلنـا : ان الآيات تتفق فى أن العقاب الذى أهلكهم الله به انمـا كان مطرا أرسله الله عليهم، وقـد جاء مـع كل نص ما يفيد أن المطر ليس مطر رحمة وانمـا هـو مطر عذاب ، وقـد اختلف التعبير عن هـذه الدلالات فى بعض السور ، ففى سورة الأعراف يقـول سبحانه : « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » ، وفى سورة الشعراء يقـول سبحانه : « ثم دمرنا الآخرين » ، ثم يقـول : « فساء مطر المنذرين » وفى سورة النمل يقـول عز وجـل : « فساء مطر المنذرين » ٠

● وتأتى سورة العنكبوت فتتحـدث عن العـذاب بأسلوب آخر ، فتترك التعبير عنه بالمطر ، وتعبر عنه بالرجز فتقول : « انا منزلون على أهـل هـذه القرية رجزا من السماء بمـا كانوا يفسقون ، ونستطيع أن نفهم من هـذه الآية مدى ما أصاب القـوم من اضطراب وقلق وحيرة عند نزول العـذاب ، فهى تكشف نهـاية القـوم ، وتكشف معها شيئا من الاجـواء الداخلية للقـوم عند نزول

---

(٤٩) العمر بالفتح والضم : مدة الحياة ، الا أنهم التزموا الفتح من القسم وهو مبتدأ ، والخبر محذوف وجوبا تقديره : قسمى أو يمينى ، ويجوز أن يضاف الى الله ، قال الشاعر :

اذا رضيت على بنوقشير لعمر الله أعجبنى رضاها

وذهب البعض الى أنه لا يجوز ، لأنه يوهم أن العمر لا يقال الا فيما له انقطاع ، ولكن ذلك مردود ، لأن العمر قد يطلق على الحياة والبقاء ٠

(٥٠) السكرة كناية عن الضلالة ، والمعنى هم فى ضلالتهم متحيرون لا يستطيعون ادراك الحق ٠

العـذاب ، فقد قال المفسرون : ان الرجز هـو العـذاب الذى يزعج المعـذب ويجعله فى قلق واضطراب ٠

● وونتقـل الى الحلقـة فى سورة هـود وسورة الحجر فنراها فى سورة الحجر تقـول : « فلمـا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ٠ مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد » ٠

ونراها فى سورة الحجر تقول : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ٠ ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ٠ وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين » ٠

ومن آيات الحلقـة فى السورتين نفهم أن الله سبحانه دمر هـذه القرية وقلبها رأسا على عقب ويقول بعض الباحثين : (ويغلب أنها ظاهرة بركانية قلبت المدينة وابتلعتها)(٥١) ٠

ونتساءل : هـل أمطرت السماء حجارة فعلا ؟

يبدو أن ظاهرة البركان يصاحبها أحيانا تناثر حمم وأحجار من باطن الأرض ، واذا كان الله سبحانه قـد بين فى هـذه الحلقـة أنه أسـقط عليهم حجارة من السماء ، فهـذا البيان يكشف لنـا أن هـذه الحادثة صاحبها فعلا تناثر أحجار من باطن الأرض ، أما كيف نزلت عليهم من السماء ؟ فاننا نقـول : ان الله سبحانه أرسل ريحا فحملت هذه الحجارة ، ثم رفعتها وأسقطتها عليهم(٥٢) ٠

ويبـدو أن هـذه الحجارة كانت ملوثة بطين الأرض ، لأن الله سبحانه يقـول عنها : « حجارة من سجيل » ، والسجيل : (حجر وطين)(٥٣) ، ويبـدو أن الطين كان يغطى هـذه الحجارة ٠٠ فالله سبحانه وتعالى يقول فى سـورة الذاريات : « لنرسـل عليها حجارة من طين » ، ولعـل السبب فى هـذا المطر مـع العـذاب أن لا ينجـو الشذاذ المتفرقون(٥٤) ٠

ومع هـذا الاتفاق فاننا نرى أن حلقـة سـورة هـود انفردت بوصفين للحجارة ، فقـد بينت أنها ليست حجارة متقطعة وانمـا هى حجارة متلاحقـة

---

(٥١) تفسير الظلال ح ٤٠٨/٦ ٠
(٥٢) انظر تفسير المنار ٠
(٥٣) البحر ح ٢٥٠/٥ ٠
(٥٤) المنار ، وانظر فى كيفية العذاب أيضا تفسير الظلال ح ٦٠٦/٤ ، ٦٠٧ ، ح ٢١٥/٥ طبع بيروت ٠

متتابعة كالمطر ، ويكفى فى تصور منظرها فى التلاحق والتتابع أن تقرأ قوى الله : « وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » وان تفهم معنى « منضود » فمعنى « منضود » : متراكب يلحق بعضه بعضا كالأمطار ، أو يكفى فى ذلك أن تتصور المطر وأنت تقرأ هذه الآية ٠

وبينت ثانيا أن هذه الحجارة كأنها معلمة عند الله فهى لا تخطىء أهلها ولا تصيب غيرهم ، وذلك قول الله « مسمومة عند ربك » ٠

(ح) اختلاف العرض والأسلوب :

● لقد اختلف العرض فى الحلقة فى السورتين ، ففى سورة الحجر قدمت الحلقة كشف الملائكة عن نفسها وتطمينها للوط عليه السلام ٠ وتعليماتها التى ألقتها اليه على الحوار الذى جرى بينه وبين أهل المدينة ، والترتيب الطبيعى لهذه الحلقة أن يذكر بعد المحاورة كما جاء فى سورة هود ، وقد تنبه لهذا صاحب الفن القصصى فقال بعد أن استعرض آيات الحلقة فى السورتين : (أنظر فستجد القصة فى سورة هود جرت على هذا الأساس : مجيىء الملائكة ، ثم حال لوط واضطرابه النفسى ، ثم مجيىء القوم ، ثم موقفه منهم وعرضه لبناته(°°) ، حتى لا يخزى فى ضيفه ، ثم ردهم عليه وعزمهم على المضى فيما جاءوا من أجله ، ثم موقف الملائكة واخبارهم لوطا بأنهم رسل ربه ونصحهم له بالسرى واخبارهم له بأن العذاب نازل وأن موعدهم الصبح ٠

وهكذا تجرى القصة وقد رتبت وقائعها على أساس يشعر بأن الزمن هو المحور الذى يربط هذه الوقائع المختارة وتلك الأحداث المنتقاة من حياة لوط عليه السلام ٠ كما تجرى المحاورة بينه وبين قومه على أساس من المنطق النظرى اذ تدور بينه وبين قومه قبل أن يعرف أن ضيفه هم رسل ربه ٠

وستجد القصة فى سورة الحجر تجرى على نسق آخر اذ تعلمه الملائكة أنهم رسل ربه وتنصح له بالسرى وتنبئه بما سيحل بالقرية وأهلها من عذاب قبل أن يجيئه قومه ويكون بينهم وبينه ذلك الحوار ٠

ان المحاورة فى قصة الحجر تدور بينه وبين قومه بعد أن عرف أن ضيفه هم رسل ربه وأنهم لن يصابوا بسوء ٠ ويشعرنا هذا الصنيع بأن تسلسل هذه الأحداث لا يقوم على الترتيب الزمنى ولا على أساس من التسلسل المنطقى الذى كان من الممكن أن يكون ذلك ، لأن العقل يجيز أن لوطا

وقـد عرف أن ضيفه هم رسـل ربه وأنهم من الملائكة لا يخشى شيئا ولا يخاف عليهم من قـومه ،ومن هنا لا يعرض بناته لاذى أو مكروه ، لكن القرآن خالف بين القصتين وجرى على نهجين مختلفين فى البناء والتركيب)(٥٦) ٠

● كذلك اختلف الأسلوب فى الحلقة فى السورتين ، وقـد سبق الحـديث عن هـذا الاختلاف ، وقـد تنبه الى هـذا أيضا صاحب الفن القصصى فقال : (انظر فى هـذه المواد الواردة فى القصتين فتجـد فى الأولى : وجاءه قـومه ، وفى الثانية : وجاء أهـل المدينة ، وتجـد فى الأولى : قال يا قـوم هـؤلاء بناتى هن أطهرلكم ، وقال فى الثانية : قال هـؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين ، فحـذف الحـديث عن الطهر وحـذف المنادى وهـو القـوم ٠ وقال فى الأولى : فأتقـوا الله ولا ترخزون فى ضيفى أليس منكم رجـل رشيد ، وقال فى الثانية : ان هـؤلاء ضيفى فلا تفضحون وأتقـوا الله ولا تخزون ، من غير سؤالهم ذلك السؤال الذى يدل على الضيق بهم والأسى والأسف أن وقفـوا منه هـذا الموقف وهـو قـوله : أليس منكم رجـل رشيد)(٥٧) ٠

وأظهر ما نجـده من اختلاف فى الأسلوب هـذه الألفـاظ التى تدل على العطف والحنـان ، والتى تدل على حرص لوط على هـداية قـومه ، فقـد ظهرت هـذ الألفـاظ فى سورة هـود ، ولم تظهر فى سورة الحجر ، فنرى فى سـورة هـود : « وجاءه قـومه » ، « قال يا قـوم هـؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ٠

فالعبارة الأولى والثانية جاء فيها ما يدل على العطف ، وعلى حرصـه على هـداية قـومه ، حيث أظهرت العبارة الأولى الصلة بينه وبين الكفار وأنهم قـومه ، وأظهرت العبارة الثانية نفس المعنى فى ندائه لهم ، وهـذه الصلة تقتضى أن يكون بارا بهم عطـوفا عليهم حريصا على هـدايتهم ، ونرى فى سورة الحجر يدل قـوله : « وجاءه قـومه » ، « وجاء أهـل المدينة » ، (كان الأمر لا يعنى لوطا ، وكأنه لن يحزن أو يأسف على ما ينزل بهم من عـذاب ، وكان قـوله : هـؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين ، بدل قـوله « هـؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ـ الذى يدل على حرصه على ابعـادهم عن الضـلال وترغيبهم عن ضيفة(٥٨) فكأنه قـد ضاق بهم الى الحـد الذى يجعله غير مهتم بهم من حيث الترغيب والتنفير ، وخلت سورة الحجر من قـوله : « يا قـوم » من أجل هـذا) ٠

---

(٥٥) يبدو أن الباحث جعل البنات بنات صلب للوط ٠
(٥٦) الفن القصص / ١٤٢ ، / ١٤٣ ٠
(٥٧) الفن القصص / ٢٧٥ ويلاحظ أن الباحث أدمج الاضافات واختلاف الأسلوب فى بعضهما وقد تقدم الحديث عن كل واحد على حده ٠
(٥٨) الفن القصص / ٢٧٦ ، / ٢٧٧ بتصرف ٠

ونتساءل ما هـو السر فى اختلاف العرض والأسلوب ؟

ويجـاب بأن سر هـذا الاختلاف قـد يرجع الى اختلاف الغرض من القصة فى السورتين ٠

ويبـدو أن الغرض من القصـة فى سورة هـود هـو ازالة ما قـد يصيب رسـول الله صلى الله عليه وسلم من يأس أو قنوط من جراء السخرية والايذاء والاعراض ، بتصـوير ما أصاب الرسـل قبله وبتصـوير حرصهم فى الوقت نفسه على هـداية الناس ، ولعـل هـذا هـو الغرض من قصص سورة هـود عـامة ٠

ويبـدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الفترة التى نزلت فيها سورة هـود كان يعـانى من الضيق والأحزان الشىء الكثير ، من جراء السخرية والايذاء والاعراض ، ولقـد صورت أول السورة حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم النفسية ومدى ما كان يعانيه فقالت : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليـك وضائق به صـدرك أن يقـولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معـه ملك انمـا أنت نذير والله على كل شىء وكيل » ٠

أما سورة الحجر فيبـدو أن الغرض من القصة فيها اظهار عاقبـة المكذبين ومصيرهم ، حتى يشفى الرسول صلى الله عليه وسلم ما ألم بنفسه من المشركين، وحتى يخفف عنه ضغط الألام والأحزان التى كان يعلنيها أيضا من جراء السخرية والايذاء ببيان أنه سيكفيه هـؤلاء ، ولعـل هـذا هـو الغرض من قصص سورة الحجر عـامة ٠

واذا كان الغرض من قصة لوط فى سورة هـود ما علمت ، فقـد ناسب هـذا الغرض الترتيب الطبيعى للقصـة الذى كشف عن نفسية لوط من جراء ما أصابه من قـومه ، وناسبه أيضا أن يكون الأسلوب رقيقا يعبر عن عاطفـة لوط نحـو قـومه وحرصه على هـدايتهم ، حتى يصبر رسول الله صلى الله عليه ويتأس ٠

واذا كان الغرض من قصة لوط فى سورة الحجر ما علمت ، فقـد ناسب هـذا الغرض ن يكون الأسلوب فيه قسوة وخشونة ، ولم يكن الترتيب مـع هـذا الغرض ذو أهمية فى القصة ، وفـوق هـذا فقـد علمت أن القصص القرآنى لا يلتزم الترتيب ، لأنه لا يعرض للتاريخ(٥٩) ٠

---

(٥٩) انظر الفن القصص / ١٤٢ ، ٢٧٦ ، ويلاحظ أن سورة هود نزلت قبل سورة الحجر ٠

ويقول بعض الباحثين بعد أن عرض مجموعة من الشواهد التى تدل على عدم التزام القصص القرآنى للترتيب : (وهكذا فان القرآن لم يلتزم فى عرضه لأحداث القصة ترتيبها فى الذكر بحسب ترتيبها فى الوقوع ، الا اذا كان الزمن هو المحور الذى يربط الأحداث فى تسلسل وتتابع يفضيان الى نتائج معينة كما جاء فى قصة لوط : أن الملائكة الذين أرسلوا اليه دخلوا على ابراهيم أولا ، ثم عليه ثانيا • فراعى القرآن فى الذكر هذا الترتيب فى جميع السور التى عرضت فيها القصة(٦٠) •

القصة بايجاز :

لقد ذكرت قصة لوط بايجاز فى سورة الأنبياء ، وفى سورة الفرقان ، وفى سورة الصافات ، وفى سورة الذاريات ، وفى سورة النجم ، وفى سورة القمر ، وقد تقدمت آيات القصة فى هذه السور جميعها •

وفوق اختلاف الأسلوب فاننا نستطيع أن نقول انه رغم هذا الايجاز فهناك لضافات حملتها بعض السور •

● ففى سورة الأنبياء نرى حديثا عن شخصية لوط عليه السلام ، فقد تناول هذا الحديث لوطا من ناحية اعطاء الله النبوة والحكمة له ، ومن ناحية صلاحه وتقواه •

وفى سورة الذاريات نرى أن بعض آياتها قد خصص المراد من الأهل فى السور الأخرى وجعله مقصورا على بعض أقربائه للحقيقيين ، فلا يتناول غيرهم من المؤمنين ، لأنه لا يوجد أحد سواهم يعنى أن لوطا لم يؤمن به أحد سوى أهل بيته ما عدا امرأته ــ ، وذلك قول الله سبحانه : « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » •

● ونفهم من بعض آيات سورة القمر كيفية نزول الحجارة على القوم من أعلا ، وقد قلنا فيما مضى : ان الله سبحانه أرسل ريحا حملت هذه الحجارة ثم رفعتها وأسقطتها عليهم • وكان ذلك فهما من مضمون الآيات التى تحدثت عن العذاب ، أما هنا فاننا نفهم ذلك من صريح العبارة ، وذلك قول الله : « انا أرسلنا عليهم حاصبا » ، (فالحاصب الريح تحمل الحجارة)(٦١) •

---

(٦٠) سيلكوجية القصة فى القرآن للدكتور التهامى نفرة / ٩٩ •
(٦١) الظلال ح ٦٥٥/٧ •

وفى الآية الأولى أيضا من سورة القمر اشارة الى أن لوطا نجاه الله وقت السحر ، وهـو : السدس الاخير من الليل ، وذلك قـول الله : « الا آل لوط نجيناهم بسحر » ، وهـذه الاشارة قـد يستفاد منها : أن لوطا خرج من القرية بأهله وقت السحر واذا صح هـذا الفهم فسورة القمر تحـدد معنى القطع فى قـوله سبحانه فى سـورتى هـود والحجر : « فأسر بأهلك بقطع من الليل » ، لكن هـذا الفهم قـد يعارض بفهم آخر وهـو : احتمال أن لوطا خرج بأهله أول الليل وكان تجاوزه للبـلاد وقت السحر(٦٢) ٠

ونفهم من بعض آيات سورة القمر : أن لوطا حـذرهم من عـذاب الله وبطشه كثيرا فتشككوا ، وقـد بينت سورة القمر ذلك صريحا ، وذلك قـولـه سبحانه : « ولقـد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر » ، أما السور الاخرى فقـد فهم ذلك منها ضمنا ـ وقـد أشرنا الى ذلك ـ ونفهم أيضا من بعض آيات سورة القمر أن الله سبحانه طمس على أعينهم عندما أرادوا تنفيذ جريمتهم (فلم يعـودوا يبصرون لوطا ولا من معه)(٦٣) وذلك قـول الله : « ولقـد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم » ٠

وقـد تحـدثنا عن سر الايجـاز فيما مضى ، ونقـول هنا : يبـدو أن التفصيل كان يخضع لعـامل الزمن ويطـول معه ٠ يعنى أن الايجـاز بدأ أولا ، ثم تلاه التفصيل ٠ يقـول بعض الباحثين :

(اذا نظرنا فى قصص القرآن بحسب ترتيب النزول لاحظنا أنه بدأ غالبا باشارات خاطفـة خالية من الحوار ، كما فى سورة الفجر ، وسورة الفرقان ، وذلك لأن الغرض هـو اثارة الوجـدان وايقـاظ الفكر ٠

ثم تدرج نحـو الطـول والتفصيل ٠٠

ومن هنا كان دخـول عنصر الحـوار الذى تدرج بالقصة من الاشـارة الى التفصيل ، ومن العام الى الخاص ٠٠٠

ولم يسلك الحـوار بالقصة القرآنية مسلك التبسط فحسب ، بل رسم فيها معالم الشخصيات الانسانية ، بالتعبير عن خـواطرهم النفسية وآرائهم ومواقفهم ، وما شجر بينهم من صراع ، على طريقة الحكاية عنهم ، ونقـل أقـوالهم نقـلا أمينا لا مبالغة فيه ولا افتعال ، فضاغ معانيها على ما يقتضيه أسلوب اعجازه ، لا على الصيغة التى صـدرت فيها ، ولو كان المنقول عنهم من

---

(٦٢) انظر البحر المحيط ح ٢٤٨/٥ ٠
(٦٣) المنار ح ١٣٦/١٢ ٠

العرب ، حتى يكون الاعجاز البيانى للاقـوال المحكية اعجازا للقرآن ، لا لتلك الأقـــوال ٠

وهـو لا ينقـل كل ما دار بينهم ، وانمـا يختار اللقطات الموحية ، والعناصر الحية التى تحقق الغرض ، وتفى بالحاجة ، وتكون أكثر دلالة ومغزى ٠ فان نوحا عليه السلام بعث فى قـومه يدعـوهم الى الله الف سنة الا خمسين عاما ٠ ولكن القرآن لم ينقـل من محاوراته فى هـذه القرون الطـويلة سـوى عبنات هى خلاصـة دعـوته وجـوهرها ، ممـا يخـدم الدعـوة الاسلامية ، وينسجم مع بيئتها ٠٠٠٠)[٦٤] ٠

(٦٤) سيلكوجية القصة / ٤١٠ وما بعدها ٠

قصة شعيب
عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ
وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ
قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن
كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ
وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن
قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ
فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

صدق الله العظيم

(آية ٨٥ الى ٩٣ من سورة الأعراف)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ
إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟
ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ
مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ
ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ

مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا
ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ
إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى
عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟
إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

صدق الله العظيم

(٨٤ ـ ٩٥ من سورة هود)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

صدق الله العظيم

(٧٨ ، ٧٩ من سورة الحجر)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ
أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا
كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

صدق الله العظيم
(١٧٦ ـ ١٩١ من سورة الشعراء)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

صدق الله العظيم
(٣٦ ، ٣٧ من سورة العنكبوت)

بين يدى القصـــة

ذكرت قصـــة شـعيب بتفصيل فى سورة الأعراف وسورة هـــود ، وسورة الشعراء ـ اذا اعتبرنا أن أصحاب الأيكة هم أهـــل مدين ـ ٠

وذكرت بايجاز فى سورة الحجر ، وسورة العنكبوت ٠

ومنهجنا فى هـــذه القصة هـــو المنهج الذى سرنا عليه فى القصص السابق : نتتبع القصـــة فى مواضعها التفصيلية ، ثم نحاول حصر الاضافات التى جاءت بها القصـــة فى كل عرض ٠

ولا نطيل الحـــديث فى مواضع الايجـــاز وقـــد نظهر لنـــا هنا وهناك بعض الأسرار فنقف عندها ونحاول ابرازها حتى يتضح أن هـــذا التكرار اعجاز لا يستطيعه بشر ٠

النـــداء الأول :

تتحـدث سورة الأعراف عن هـذا النـداء فتقول : « **والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبـدوا الله ما لكم من الله غيره قـد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسـدوا فى الأرض بعـد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ٠ ولا تقعـدوا بكل صراط توعدون وتصـدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليـلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسـدين ٠ وان كان طائفة منكم آمنـوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين** » ٠

المعنى :

« **والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من الله غيره قـد جاءتكم بينه من ربكم فأوفـوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسـدوا فى الأرض بعـد اصلاحها** » ٠

كان أهل مدين قوم شعيب وثنيون يعبـدون الأصنام ، وكانوا بلا شرف ولا مروءة ،اذا اكتالوا على الناس ، أو وزنوا عليهم استوفوا حقهم أو زادوا عليه ، واذا كالوهم ، أو وزنوهم يخسرون الكيل والميزان ، أى ينقصونه ، فيبخسون أشياء الناس وينقصون حقوقهم ، وجاءهم شعيب عليه السـلام فدعاهم الى توحيـد الله ، ثم أمرهم بايفاء الكيل والميزان اذا باعوا ، ونهاهم عن البخس اذا اشتروا ، ثم نهاهم عن الافساد فى الأرض ٠

وكل من النهيين يصح أن يكون عاما(١) ، فيصح أن يشمل النهى الأول الأشياء المـادية والمعنوية ، فيشمل ما يكال وما يوزن ، يعنى لا تنقصـوا الناس حقوقهم فيما يكال وما يوزن ، ويشمل قيمة ما بأيديهم من أشـياء يريدون بيعها ، يعنى لا تنقصوا الناس قيمة ما يريدون بيعه من أشياء ، ويشمل الأقـدار والمكانة ، يعنى لا تنقصوا الناس ما يجب لهم من التوفير والتقـدير ٠

ويصح أن يشمل النهى الثانى كل افساد ، فيصح أن يشمل الافسـاد نقص المكيال والميزان ، ويشمل الافساد بأكل أموال الناس بالباطل بغير ما تقـدم ، ويشمل الافساد بالاعتـداء على الانفس والاعراض ٠٠ ، وغير هـذا ٠

---

(١) فى تلك الحالة يدخـل تحتهما دخـولا أوليا : نقص الكيل والميزان ٠

والاصلاح لابـد أن يكون بفعل فاعل ، وهـو اما الخالق جل وعلا ، واما الأنبياء ، وأما من سار على نهجهم من العلماء العاملين والحكام العـادلين ، وكان شعيبا يقول لهم هنا : لا تفسـدوا فى الأرض بعـد أن أصلح شأنها وشأن من فيها من الأنبياء والمرسلون ٠

ويستفاد من النص من قوله : « **قـد جاءتكم بينة من ربكم** » ان شعيبا كانت له معجزة تدل على صـدقه فى دعواه النبوة وتوجب اتباعهم له فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، ـ فالبينه المعجزة كما يقول المفسرون ـ ولكن النص هنا لم يذكر نوع المعجزة ، ولا نعرف لها تحـديدا من مواضع القصـة فى الصـور الأخـرى ، يقول صاحب المنار : (ولم يذكر هنا ولا فى سور أخرى أية كونية معينة لشعيب عليه السلام) ، ثم يبين أن هـذه المعجزة وان كنـا لم نعـرف ما هى ؟ فانها كانت معجزة حسبة فيقول : **(واذا كانت البينة تشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية ، لأن معناها كل ما يتبين به الحق ، فان المعروف من أحوال الأمم القـديمة أنها لم تكن تذعن الا لخوارق العادات ، ولو لم تكن البينة التى أيد الله تعالى بها شعيبا عليه السلام ملزمة للحجة قاطعة لألسنة الغـدر ومكابرة الحق لمـا ترتب عليها قوله :**

« **فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم** » ، فان عطف هـذا **الأمر** بالفاء لا يصح الا اذا كان مبنيا على ما هـو سبب له ، وهـو البينة على صـدقه ووجوب طاعته) ٠

« ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين »

(ذلكم الذى أمركم به وأنهاكم عنه خير لكم فى الحـال والمـآل فبادروا الى الاستجابة لى ان كنتم مصـدقين قولى ٠

فاسم الاشارة « ذلكم » يعود الى ما ذكر من الأمر بالوفاء فى الكيـل والميزان ، والنهى عن بخس الناس أشياءهم ، وعن الافساد فى الأرض)(٢)

« ولا تقعـدوا بكل صراط توعـدون وتصـدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا » ٠

---

(٢) تفسير المنار بتصرف ح ٨/٤٦٧ وما بعدها ٠

(٣) تفسير سورة الأعراف / ١٣٦ ٠

لا تقعدوا بكل طريق تتهددون كل من يريد أن يأتى شعيبا ليؤمن به ، وتحاولون صرفه عنه باطلاق الشائعات والأراجيف ضده(٤) ، فقد روى أنهم كانوا يخوفون الناس بالقتل اذا آمنوا ، وروى أنهم كانوا يجلسون فى الطريق فيقولون لمن أتى عليهم : ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم ...

وتحاولون أو تريدون أيضا أن تجعلوا سبيل الله المستقيمة ذات عوج بالقاء الشبهات المشككة فيها أو المشبوهة لها ، كقولهم له عليه السلام من سورة هود : « أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء »

ولقد كانت قريش تفعل ذلك مع رسول الله صلى الله عليم وسلم ، فعندما أحسوا ببلاغة القرآن ولم يستطيعوا مقاومة تأثيره ، أخذوا يشنون حربا دعائية ضده ، فوصفوه بأنه سحر ، وبأنه أساطير الأولين ، ثم شنوا حربا دعائية أيضا ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعهدوا أن ينشروا ذلك فى مواسم الحج . ، وكل هذا معروف ، وكان غرضهم أن ينفر الناس من القرآن الكريم ومن الرسول صلى الله عليه وسلم .

« وسبيل الله » مجاز عن دين الله ، والباء فى قوله « بكل صراط » ظرفية أى فى كل صراط ، ولم يذكر الموعد به لتذهب النفس فيه كل مذهب من الشر ، لأن « أوعد » لا تكون الا فى الشر ، واذا ذكر تعدى بالباء ، تقول : أوعدته بالضرب ، ولا تقول : أوعدته الضرب ، والضمير فى قوله : « من آمن به » عائد على « سبيل الله » ، وذكره ، لأن السبيل يذكر ويؤنث(٥)

« واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم »

ان شعيبا يذكرهم بنعم الله التى تستحق الايمان والشكر لا الجحود والنكران ، والمعنى : اذكروا اذ كنتم قليلى العدد فزاد عددكم ونما بفضل الله ، أو اذكروا وقت كونكم فقراء فأغناكم الله سبحانه .

---

(٤) قال صاحب البحر : ان الصد قد يكون حقيقة بمنع الناس عن الذهاب الى شعيب فعلا ، وقد يكون مجازا بوعد من يصدونه بالمنافع اذا ترك الايمان به ، وكذلك قال صاحب التفسير الكبير ، وعلى هذا فمن الممكن أن يقال : ان الصد قد يكون حقيقة ، وقد يكون مجازا بما ذكر ، أو باطلاق الشائعات ضده .

(٥) انظر البحر .

« وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين »

انه يخوفهم عواقب الافساد حيث كان سببا فى هلاك كثير من الأمم السابقة مثل قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط ٠

(ثم نصحهم أن يأخذوا أنفسهم بشىء من العدل وسعة الصدر ، وأن يتركوا أتباعهم أحرارا فى عقيدتهم حتى يحكم الله بين الفريقين فقال : **« وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » والمعنى : ان كان بعضكم قد آمن بما أرسلت به وبعضكم لم يؤمن بل بقى على كفره وأمر عليه ما تنظروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم بحكمه العادل ، فلا حكم أعدل من حكمه ولا حاكم أحسن منه سبحانه وتعالى »** ٠

ويقول صاحب الكشاف فى قوله تعالى : « **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا** » ٠

(هذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله : « **فتربصوا انا معكم متربصون** ») ٠

● وتتحدث سورة هود عن هذا النداء فتقول : « **والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ٠ بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ٠ وما أنا عليكم بحفيظ** » ٠

المعنى :

« والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » ٠

تقدم الحديث عن مثل هذا أكثر من مرة ، ولكن بقى أن نقول : ان المكيال والميزان اما أن يراد بهما الحقيقة ، أى : لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود ، ولا تنقصوا حجم الصنجات التى يوزن بها ، واما أن يراد ما يكال وما يوزن ـ يعنى السلعة نفسها ـ ، فيكون التعبير من باب المجاز ٠

---

(٦) تفسير سورة الأعراف / ١٣٨ ٠
(٧) تفسير الكشاف ح ١٢٨/٢ ٠

« انى أراكم بخير » ٠

فى ثروة واسعة تغنيكم عن ذلك ٠

« وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط » :

لا يترك أحـد ولا يتخلف عنـه ٠

« ويا قوم أوفوا المكيال والميزان » :

أتبع النهى بالأمر ، فأمر هنا بالايفاء ـ أى الاتمام ـ « بالقسط » ٠

بالعـدل من غير زيادة ولا نقصان ، وهـذه الكلمة تفيـد أن يكـون الايفاء على جهة العـدل ، لأن ما جاوز العـدل ـ أى زاد عليه ـ فهو فضل وأمر منـدوب ، لا واجب ، وهـذا الكلام واضـح اذا أريد بالمكيال والميزان : ما يكال وما يوزن ، أما اذا أريد الآلة فى الموصفين ، فان قوله بالقسط معناه ما ذكرنا ، ولكن نقول فوق هـذا : ان الزيادة فى الكيل والوزن وان كانت أمرا منـدوبا اليه حالة البيع فانها فى الآلة محظور كالنقص ٠

« ولا تبخسوا الناس أشياءهم » :

تقـدم الحـديث عن مثله ٠

« ولا تعثوا فى الأرض مفسـدين » :

لا تفسدوا متعهـدين الافساد قاصـدين الى تحقيقه ، والنهى فى الموضعين عام ، وقـد تقـدم الحـديث عن ذلك :

ويلاحظ أن شعيبا عليه السلام فى هـذا النـداء نهى قومه عن نقص المكيال والميزان ، ثم أمرهم بايفائهما واتمامهما ، ونهاهم عن بخس النـاس أشياءهم ، وعن الافساد فى الارض الذى ينـدرج تحتهما النقصان فى المكيال والميزان ، وكان من الممكن أن يكتفى بأمر واحـد أو نهى واحـد ، ولكـن جاء الاسلوب على هـذه الصورة مبالغة فى نصحهم ، فيتركوا ما تعودوه من سوء المعاملة التى تؤدى الى الكسب الخبيث ٠

« بقيـة الله خير لكم » :

ما أبقاه الله لكم بعـد الابقاء من الكسب الحلال خير مما تجمعونه من وراء هـذا البخس ٠

« وما أنا عليكم بحفيظ » ٠

ما أنا بالذى يسجل أعمالكم ويجازيكم عليها ، انما أنا ناصح وقد قمت بواجبى ٠

● وتتحدث سورة الشعراء عن هذا النداء فتقول : **« اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ٠ انى لكم رسول أمين ٠ فاتقوا الله وأطيعون ٠ وما أسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين ٠ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ٠ وزنوا بالقسطاس المستقيم ٠ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ٠ واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين » ٠**

المعنى :

« اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ٠ انى لكم رسول أمين ٠ فاتقوا الله وأطيعون ٠ وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين » ٠

تقدم الحديث عن مثل هذا أكثر من مرة ٠

« أوفوا الكيل » :

أمر بايفاء الكيل ٠

« وزنوا بالقسطاس المستقيم » :

أمر بايفاء الوزن ، لأنه مقابل له ، فالقسطاس : الميزان ، والمستقيم : السوى الذى لا زيادة فيه ولا نقصان ٠

ثم نهاهم عن التطفيف الذى يضيع على الناس حقوقهم ، وعن البخس والافساد عامة ، فقال : « ولا تكونوا من المخسرين » ، وقال : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ٠

وأخيرا قال : « واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين » أى :

خلقكم وخلق الأجيال السابقة كلها ٠

---

(٨) تقدم أن الكيل اما أن يراد به : ما يكال ، أو الآلة التى يكال بها ، ويصح أن يكون المراد هنا كذلك ، أما قوله : « وزنوا بالقسطاس فان معناه : أوفوا الميزان ، والميزان يصح أن يكون المراد به : ما يوزن ، أو الآلة التى يوزن بها ٠

وقفة مع النداء :

لقد حمل كل نداء اضافات لا توجد فى غيره ، ففى سورة الأعراف نرى هذه الاضافات التى تظهر فى قول شعيب : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ، ومن هذه الاضافات نفهم أن هناك رذائل أخرى كان يرتكبها القوم غير البخس والتصفيف وكل ما ذكر فى سورتى هود والشعراء ، ومن هنا نهاهم شعيب عنها بهذا القول • ، وقد تقدم تفسيره •

وهذا القول يتضمن مجموعة من النواهى (أولها : قعودهم على الطرقات التى توصل اليه يخوفون من يجيئه ليرجع عنه قبل أن يراه ويسمع دعوته • ثانيها : صدهم من وصل اليه وآمن به بصرفه عن الثبات على الايمان والاسلام والاستقامة على سبيل الله تعالى الموصلة الى سعادة الدارين (٩) ثالثها : ابتغاؤهم جعل سبيل الله المستقيمة ذات عوج بالطعن والقاء الشبهات المشككة فيها أو المشوهة لها ، كقولهم له عليه السلام الذى حكاه الله تعالى عنهم فى سورة هود : « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن تفعل فى أموالنا ما نشاء »(١٠) •

وتضيف سورة هود فى ندائها قول شعيب لقومه : « انى أراكم بخير » ، وهذه الجملة تبين لنا وضع القوم المادى وأنهم لم يكونوا فقراء ألجأتهم ظروف المعيشة الى هذا الكسب الخبيث ، انهم أغنياء ليسوا فى حاجة ، ولكنه الشره الذى لا يشبع من أصيب به •

وتضيف أيضا قول شعيب « بقية الله خير لكم » ، وهذه الاضافة تفيد أن شعيبا لا يطالبهم بأن يتركوا الكسب أو يتنازلوا عنه ، وانما يطالبهم بأن يقنعوا بالكسب الحلال •

وقد يقول قائل : ان الله سبحانه قال على لسان شعيب فى سورة الأعراف « ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين » ، فأى فرق بين هذا وبين قوله فى سورة هود : « بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين » •

ويجاب بأن اسم الاشارة فى سورة الأعراف يعود الى ما عرف سابقا ، فهو عام ، أما هنا فالكلام خاص بالقناعة فى الكسب • فان قيل : ان قوله

---

(٩) لعله أراد بالصد معناه المجازى •

(١٠) تفسير المنار ح ٨/٤٧٥ •

تعالى : « بقية الله خير لكم » يفهم منه بطريق الفحوى : الحض على العدل فى المعاملة ، وعلى هذا فانه يدخل تحت قوله تعالى « ذلكم خير لكم » ؟

ويجاب بأنه لا مانع من ذلك ، ولكن يبقى أن نقول : ان سورة هود قد أفردت على هذا : الحض على العدل فى المعاملة بالذكر دون سائر أفراد العموم المذكور فى سورة الأعراف ، للاهتمام والعناية به ، وقد يؤيد هذا أن شعيبا فى سورة هود لم يكتف بالأمر بايفاء الكيل والميزان وانما ضم الى ذلك النهى ٠

ونأتى الى سورة الشعراء فنراها تقول قبل النداء « كذب أصحاب الأيكة المرسلين » ، وهذا يجعلنا نتساءل : هل أهل مدين هم أصحاب الأيكة ، أو هؤلاء طائفة وأولئك طائفة أخرى ؟

ان النص هنا يعطى بعض الايحاءات التى تفيد أن هؤلاء غير أولئك ، فقد صرح القرآن بأخوة شعيب فى النسب لأهل مدين عندما تحدث عنهم فى سورة الأعراف ، وسورة هود ، فقال فى سورة الأعراف : « والى مدين أخاهم شعيبا » ، وقال فى سورة هود نفس الجملة ، لكنه وهو يتحدث عن أصحاب الأيكة فى سورة الشعراء لم يذكر هذه الأخوة فقال فى افتتاح القصة « كذب أصحاب الأيكة المرسلين » ٠

وهذه المخالفة لابد لها من سر ، وقد يكون سرها أن أصحاب الأيكة جماعة آخرون لا تربط شعيب بهم صلة النسب ، فهم أبعد نسبا ومكانا من أهل مدين ، ولكن شعيبا أرسل اليهم أيضا ٠ يقول بعض الباحثين : (الأيكة هى : الشجر الكثيف الملتف ، وحول هذه الأشجار كانت هناك طائفة من عباد الله تسكن ، ومساكنهم كانت قريبة من مدين ، ولقد اشترك أهل مدين وأهل الأيكة فى الكفر ، واشتركوا أيضا فى نوعية الرذائل والمعاصى ، فكان شعيب يتنقل بينهم ويدعو الى الله ، والى ترك ما هم عليه من فساد وانحراف)(١١) ٠

وذهب بعض العلماء الى أن أهل مدين هم أصحاب الأيكة ، وأن هذه الأشجار الكثيرة الملتفة كانت تقع فى أرض مدين فنسبوا اليها(١٢) ٠

---

(١١) قصص الأنبياء للمرحوم الشيخ/عبد الوهاب النجار / ١٤٦ ، وانظر الفخر الرازى ح ٢٤/١٦٤ ، ومدين : مكان بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة ، والأيكة والفيضة بمعنى ٠

(١٢) انظر الظلال ح ٦/٢٣٦ ٠

وذهب الحافظ ابن كثير الى هـذا ، وبين أن السبب فى قطع القرآن نسب الأخـوة بين شعيب وأصحاب الأيكة ، أنهم كانوا يعبدون هـذه الأشجار فنسبوا الى هـذه العبادة هنا(١٣) ٠

وعلى كل فاذا افترضنا أن أصحاب الأيكة غير أهـل مدين ، تكون القصـة قـد ذكرت بتفصيل فى سورتى الأعراف وهـود فقط ، واذا افترضنا أن هـؤلاء وأولئك طائفة واحـدة ، تكون القصة قـد ذكرت بتفصيل ثلاث مرات ٠

وعلى هـذا الافتراض الثانى سنحاول أن نتتبع الاضافات فى عرض القصة فى سورة الشعراء ٠

ونراها تضيف فى ندائها الأول : الأمر بالتقـوى وتكرار هـذا الأمر ، ثم بيـان أنه لا يطلب أجـرا على نصحه وهـدايته ، ويظهر ذلك من قـوله : « **ألا تتقـون ٠٠٠٠ فاتقـوا الله وأطيعون ٠ وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العـالمين ٠٠٠٠ وأتقـوا الذى خلقكم والجبلة الأولين** » ٠

اجابة القـــوم :

● تتحـدث سورة الأعراف عن هـذه الاجابة فتقول : « **قال المـــلأ الذين استكبروا من قـومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن من ملتنـا** » ٠

والمعنى : قال الاشراف الذين استكبروا من قومه نقسم لنخرجنك يا شعيب أنت والذين آمنوا معك من قريتنا ، أو لترجعن الى ديننا ، أى نقسم ليكونن أحد الأمرين فاختاروا لأنفسكم ٠

وقـولهم : « أو لتعودن فى ملتنا » يقتضى أن شعيبا كان على ملة قـومه قبل الرسالة كما كان المؤمنون به أيضا على هـذه الملة ، وهـذا مسلم به بالنسبة لمن آمن بشعيب ، ولكنه ليس مسلما بالنسبة لشعيب نفسه ٠ فالأنبياء معصومون من الكبائر فكيف بالشرك ؟

ويجاب بأن قـول المستكبرين : « أو لتعودن فى ملتنا » خطاب جاء على طريق التغليب ، يعنى أدرج القـوم شعيبا مـع الذين آمنوا به فى الخطاب تغليبا

---

(١٣) النفس تطمئن الى الرأى الأول ٠
(١٤) انظر تفسير المنار ح ٣/٩ ، والبحر ح ٣٤٢/٤ ، وتفسير سـورة الأعراف ٠

للجماعة على الواحـد(١٤) ٠ (وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جـوابه فقال : ان عدنا فى ملتكم بعـد اذ نجانا الله منها وهـو يريد عـودة قـومه ، الا أنه نظم نفسه فى جملتهم وان كان برئيا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب)(١٥) ٠

● وتتحـدث سورة هـود عن هـذه الاجابة فتقول : « قالوا يا شـعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنـا ما نشاء انك **لأنت الحليم الرشيد** » ٠

وفى هـذه الاجابة نلمح السخرية والاستهزاء ، انهم يتهكمون به وبصلاته ثم يقولون له « انك لأنت الحليم الرشيد » ويقصدون عكس ما يقولون ، فمـا أقبحهم وما أقبح اجابتهم ٠

ونتساءل : لمـاذا أسند القـوم الأمر الى الصلاة دون غيرها من العبادات ؟ ويجيب المفسرون عن هـذا بأن شعيبا كان كثير الصلاة مشهورا بذلك بينهم ٠

وفى قوله : « تأمرك أن نترك » مضاف محذوف تقـديره : تأمرك بتكليفنا أن نترك لأن الانسان لا يؤمر بفعل غيره ٠

و « أو » فى قـوله « أو أن نفعل » بمعنى الواو ، وهـو معطوف على قوله : « ما يعبد » والتقـدير : تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ونفعل فى أموالنـا ما نشاء من التطفيف وغيره ٠

● وتتحـدث سورة الشعراء عن هـذه الاجابة فتقول : « **قالوا انمـا أنت من المسحرين ـ وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين ٠ فأسقط علينـا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين** » ٠

المعنى :

« قالوا انمـا أنت من المسحرين »

أنت مسحور تهـذى بمـا لا تعـرف

« وما أنت الا بشر مثلنا »

أنت بشر تشترك معنا فى البشرية فلا فضـل لك علينا ٠

---

(١٥) تفسير الكشاف ح ١٢٩/٢ ٠

وغرضهم من كل جملة من الجملتين : انكار رسالته ، فهو اذا كان مسحرا فلا يمكن أن يكون رسـولا ، واذا كان بشرا فلا يمكن أن يكون رسـولا أيضا ، فكل من التسحير والبشرية ينافى الرسالة ٠

« وان نظنك لمن الكاذبين »

ما نظنك الا كاذبا فى دعـواك ، ويبـدو أن الظن يراد به هنـا ما يقرب من الاعتقاد أو اليقين ٠

« فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين »

طالبوه أن يحطم السماء ويسقطها عليهم قطعا ان كان صادقا فى دعواه ، ويبـدو أن شعيبا هـددهم بنزول العـذاب ان لم يؤمنوا ، ولكن القرآن طـوى ذلك ولم يصرح به ٠

وقفـة مـع الاجابة :

ان كل اجابة من الاجابات الثلاث السابقة تضيف جـديدا وتحمل ما لا تحمـل غيرها ٠

فسورة الأعراف يظهر فى اجابة القـوم فيها : التهـديد بأحـد أمرين : الاخراج أو العـود فى دينهم وملتهم ٠

وسورة هـود يظهر فى اجابة القـوم فيها : سخرية القـوم واستهزاؤهم ، ولكننا لا نرى تطاولا عليه أو سبا له ٠

وسورة الشعراء يظهر فى اجابة القـوم فيها : هـذا التطاول والسباب : « انمـا أنت من المسحرين » ، أى أنت مسحور تهـذى بما لا تعرف ٠

وقـد يقـول قائل : لقـد حملت بعض اجابات القـوم فى سورة هـود هـذا التطاول ، حيث قال القـوم فيها لشعيب « ما نفقه كثيرا ممـا تقول » ، وقـد يكون معنى هـذه الجملة : لا نفهم كثيرا ممـا تقول ، لأنه هـذيان وتخليط(١٦) ، فأى اضافة أضافتها اجابة سورة الشعراء ؟

ويجاب بأن هـذا صحيح ، ولكن طـوت سورة هـود السبب الذى من أجله يهـذى ويخلط ، أما سورة الشعراء ، فقـد صرحت بالسبب ، انه التسحير الذى جعله يهـذى وجعـل كلامه غير مفهوم ٠

---

(١٦) جاء فى البحر المحيط : انهم كانوا يفهمون كلامه ، ولكنهم قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ٠

وعلى هـذا فسورة الشعراء قـد أضافت ذكر السبب فـوق التطاول ٠ وتضيف اجابة سورة الشعراء أيضا ٠ تطـاولا آخر وهـو اتهامهم له بالكذب ، تكذيبهم له الذى يفيد تكرار هـذا الاتهـام ، وذلك قـولهم « وان نظنك لمن الكاذبين » ، وقـولهم بعـد أن طلبوا نزول العـذاب « ان كنت من الصادقين » ٠

وتضيف أنهم طلبوا منه نزول العـذاب ، ويفيد هـذا أن شعيبا قـد توعـدهم بالعـذاب قبل ذلك المطلب ، ولكن النص لم يصرح به ٠ ومن هنـا فاننا نقـول ان سورة الشعراء قـد أضافت استنتاجا أن شعيبا قـد توعـدهم بالعـذاب ان لم يؤمنوا ٠

وعلى هـذا ففى كل اجابة ما ليس فى الأخرى ٠

رد شـعيب :

تتحـدث سورة الأعراف عن هـذا الرد فتقول : « **قال أو لو كنا كارهين ٠ قـد افترينا على الله كذبا ان عـدنا فى ملتكم بعـد اذ نجانا الله منها وما يكون لنـا أن نعـود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسـع ربنا كل شيىء علمـا على الله توكلنـا ربنا افتح بيننا وبين قـومنا بالحـق وأنت خير الفـاتحين** » ٠

المعنى :

« قال أو لو كنـا كارهين »

أيقـع منكم أحـد هـذين الأمرين على كل حال حتى فى حال كراهيتنا لذلك ، والاستفهام انكارى ٠ أنكر عليهم شعيب أن يقسموا على اخراجهم أو اعـادتهم فى ملتهم ٠

« قـد افترينا على الله كذبا وان عـدنا فى ملتكم بعـد اذ نجانا الله منها »

هـذا تصريح بأنهم لن يعـودوا الى ملتهم ، وانما صرحوا بهـذا ولم يصرحـوا بالأمر الثانى وهـو الخروج ، فلم يقـولوا : لن نخرج ولن نعـود فى ملتكم ، لأن أمر الدين هـو الأعظم والأهم(١٧) ٠

ويقـول المفسرون : وفى هـذا الكلام معنى التعجب كأنه قيل : ما أكذبنا على الله ان عـدنا فى الكفر بعـد الاسلام ، وذلك لأن الذى يتبع ملتكم ابتداء بعد مفتريا على الله حيث يقول عليه ما لا يعلم ، فكيف بمن كفر على علم(١٨) ؟

---

(١٧) البحر ح ٤/٣٤٣ ٠

« وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيىء علما »

ما يصح وما ينبغى لنـا أن نعود الى ملتكم الا اذا شاء الله سبحانه ذلك ، وهـذا الاستثناء يظهر أدب الأنبياء فى تفويض الأمور المغيبة الى الله • فشعيب مع ثقته بأنه لن يعـود الى ملة قـومه لم يجزم بمشيئته ، وانـما فوض أمر المستقبل لله ، فقـد يحـدث فيه ما لا يعلمه وسبحان من أحاط علمه بكل شيىء ، ثم ان هـذا الاستثناء لا يفيد أن الله سبحانه يشاء عـودهم الى الكفر ، وانمـا يفيد أن عـدم عـودهم الى الكفر ليس واجبا على الله ،ولكنه على طريق الفضل والكـرم(١٩) •

« على الله توكلنـا »

يعلن شعيب أنه يكل أمره الى الله فهو وحـده الذى يدفع عنـه وعن أتباعه ما توعـدوهم به ، وهـو وحـده الذى يحميه ويحميهم من الضلال(٢٠) •

« ربنـا افتح بيننا وبين قـومنا بالحـق »

يدعـو شعيب ربه أن يحكم بينه وبين قـومه بالحـق ، وفى هـذا الدعاء ما يدل على أنه أنهى مجادلتهم وأعرض عنهم بعد أن تبين أنهم مكابرون معاندون لا يريدون الوصول الى الحـق ، فهو دعاء بنزول العـذاب عليهم •

« وأنت خير الفـاتحين »

حيث أحاط علمك بأسباب التخاصم وتنزهت عن الظلم والهوى فى الحكم •

ويقول المفسرون : (الفتح أصله ازالة الأغلاق عن الشيىء واستعمل فى الحكم ، لمـا فيه من ازالة الاشكال فى الأمر ، ومنه قيل للحاكم : فاتح وفتاح ، لفتحة أغلاق الحـق)(٢١) •

● وتتحـدث سورة هـود عن هـذه الاجابة فتقول : **« قال يا قـوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما اريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت**

---

(١٨) ، (١٩) انظر تفسير سورة الأعراف ، وتفسير المنار ، وتفسير البحر ، وتفسير القرطبى •

(٢٠) هذا يفيد أن الله سبحانه لا يريد عودهم الى الكفر •

(٢١) تفسير سورة الأعراف / ١٤٥ •

واليه أنيب · ويا قـوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قـوم نوح أو قـوم هـود أو قـوم صالح وما قـوم لوط منكم ببعيد · واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود » ·

المعنى :

« قال يا قـوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى »

تقـدم الحـديث عن مثله(٢٢) ·

« ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما أستطعت »(٢٣) ·

ان شعيبا يبين لهم أنه حين يدعـوهم الى الأمانة فى المعاملة سيتأثر مثلهم بنتائجها ، لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات ، فهو لا يبغى كسبا شخصيا من وراء دعـوته لهم ، فلن ينهاهم عن شيىء ثم يفعله هـو لتخلو له السوق ، انمـا هى دعـوة الاصلاح العـامة له ولهم وللناس ، وليس فيما يدعـوهم اليه من خسارة عليهم كما يتوهمون ·

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

يبين شعيب أنه وان أراد الاصلاح قـدر استطاعته فان نجاح هـذا الاصلاح متوقف على توفيق الله ، وأنه سبحانه الملجـأ والملاذ له ·

« ويا قـوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قـوم نوح أو قـوم هـود أو قـوم صالح »

---

(٢٢) ذهب البعض الى أن المراد بالبينة هنا وفى مثله معناها : البصيرة والعلم بأمور الدين ·

(٢٣) يقول صاحب البحر : ان قوله « أرايتم » تضمنت معنى أخبرونى ، ولذلك فهى تحتاج الى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية ، وتقدير الكلام عنده : أخبرونى ان كنت نبيا ورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالمين ، أيصح أن أخالف أمره ، أو أوافقكم فى كل ما تأتون وما تذرون ·

وقوله « أن أخالفكم » فى موضع المعقول به لأريد ، وما فى قوله « ما أستطعت » مصدرية ظرفية ، أى مدة استطاعتى ذلك وقدرتى عليه ·

(لا يجملنكم الخلاف معى والعناد فى مواجهتى على أن تلجـوا فى التكذيب والمخالفة ، خشية أن يصيبكم ما أصاب هـؤلاء)[٢٤] ٠

« وما قـوم لوط منكم ببعيـد »

ان لم تتعظوا بأولئك لبعـد مكانهم ، أو لتقادم العهـد عليهم ٠ فاعتبروا بهـؤلاء فانهم بمرأى ومسمع منكم ٠

(ثم يفتح لهم ـ وهم فى مواجهة العـذاب والهلاك ـ باب المغفرة والتوبة ، ويطمعهم فى رحمة الله والقرب منه بأرق الألفـاظ واحناها)[٢٥] فيقـــول : **« واستغفروا ربكم ثم توبوا اليـه ان ربى رحيم ودود »** ، أى كثير الود والحب لمن تاب ورجـع اليه ٠

● وتتحـدث سورة الشعراء عن هـذه الاجابة فتقول : **« قال ربى أعلم بمـا تعمـلون »** ٠

وشعيب بهـذا الرد ـ الذى يجيب به على طلب نزول العـذاب من القـوم ـ يفوض العلم الى الله سبحانه ، فهو وحـده الذى يعلم جميع أعمالهم ، ويعلم أى نوع من العـذاب تستوجبه ، ويعلم الوقت الذى ينزل فيه العـذاب ٠

وقفـة مـع رد شـعيب :

ان رد شعيب يحمل فى كل عرض جـديدا ، ويضيف فى كل سورة اضافات لا توجـد فى غيرها :

ففى سورة الأعراف نرى اجابة شعيب تضيف أن شعيبا لن يعـود هـو أو أتباعه الى ملتهم بعـد أن أنقـذهم الله منها ، وأنهم ان عادوا فمـا أكذبهم على الله ، وتضيف أنه دعا عليهم بنزول العـذاب ، ويظهر ذلك من قـوله : **«قـد افترينا على الله كذبا ان عـدنا فى ملتكم بعـد اذ نجانا الله منها »** ، وقـوله : « ربنـا افتح بيننا وبين قـومنا بالحـق » ٠

وقبل أن ننتقل الى ما أضافته اجـابة سورتى هـود والشعراء نتساءل : أليس هناك تناقض بين دعاء شعيب على قومه هنا ، وبين تفويضه العلم بنزول

---

(٢٤) الظلال ح ٤/٦١٥ ، ومثل : نعت لمصدر محذوف أى اصابة مثل ، وفتحته فتحة اعراب ٠
(٢٥) الظـــلال ٠

العـذاب إلى الله عنـد ما طلب القوم منه ذلك بقولهم : «**فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين** » ، فان تفويضه العلم الى الله يقتضى أنه لا يعلم شيئا من العـذاب ، لا عن موعـده ، ولا عن نوعه ، ولا عن استحقاقهم له ، ولا عن قـدرته على انزاله ، والدعاء عليهم يقتضى أن عنـده علما بذلك في الجملة ، فهو يقتضى أنه يعلم اسـتحقاقهم للعـذاب بسبب كفـرهم وجحودهم ، أو يعلم بوحى من الله أنهم سيعذبون ، وقـد يؤيد ذلك قوله لهم قبل هـذا الدعاء « **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين** » ، ثم ان الباحثين فى علوم القرآن يقولون : ان سورة الاعراف نزلت قبل سورة الشعراء ، ومقتضى هـذا أن تفويض العلم الى الله يناسبها ، أما الدعاء عليهم فانهم يناسب سورة الشعراء . فان النبى لا يدعو على قومه الا بعـد اليـأس من ايمانهم ؟ ؟

ونقول : اذا كانت الجهة منفكة بمعنى أن أهل مدين غير أصحاب الأيكة ، فلا تعارض ولا تناقض ، واذا كانت الجهة واحـدة بمعنى أن هؤلاء وأولئـك جماعة واحـدة فلعل الغرض من القصة فى كل من السورتين له علاقة بهـذا ، فما هو هـذا الغرض ؟

يقول بعض الباحثين ـ بعـد أن استعرض آيات قصة هود وقصة لوط من سورة الشعراء : (**أنظر فسترى وحـدة فى التصميم وانتفاقا فى البنـاء والتركيب وان اختلفت مواد البناء فى بعض الأحيـان**) .

هـذا المطلع فى الثانية وذاك المطلع فى الأولى حتى فى الألفاظ والتركيب، وحتى فى الخروج من الافراد فى الرسل الى الجمع . فنحن نعلم أن عادا لم يكن لها من الرسل غير هود وكذلك الحال مع قوم لوط .

وهـذه الخواتيم فى القصتين متفقة فى الألفاظ والتركيب .

وهـذا الجو العاطفى الذى يسود القصتين من حرص على الهـداية من الرسل ـ ذلك الحرص الذى يدفعهم الى الاستعانة ببعض الصفات التى ترقق العاطفة وتذيب القلب : من أنه أخوهم ، ومن أنه الرسول الأمين الذى يبـذل النصح لوجه الله ولا نسألهم أجرا ، والذى لا يطلب منهم الا أن يتقوا الله ويطيعوه. أما هـم فحريصـون على المخالفـة لا يقبـلون النصـح والارشـاد ، ويصرون على موقفهم على ما فيـه من فسـاد وضـلال . فقـوم هـود لن يستجيبوا وسـواء عليهم أوعظ أم لم يكن من الواعظين . وقوم لوط يطلبون اليـه أن يكف عن وعظه والا كان من المخرجين .

وهكـذا نرى أن الاساس الذى قام عليه بناء القصتين واحـد ، وأن الروح التى تسود القصتين واحـدة ـ وان اختلفت العناصر من أحـداث وأشخاص وحوار فى بعض الأحيـان .

ان السر فى هـذه الوحـدة هو أن القصـد الذى يرمى اليـه القـرآن من القصتين واحـد ٠ وهو الذى أشار اليه فى أول السورة من حرص محمـد عليه السلام على هـداية قومه ثم **من موقفهم** منـه ذلك الموقف الذى لخصته السـورة فى الختـام ٠

قال تعالى :« **طسم ٠ تلك آيات الكتاب المبين ٠ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ٠ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لهـا خاضـعين** » ٠

ولعل هـذه الروح هى التى سادت ما ورد فى السورة من قصص ٠
ومن هنـا بنيت بناء متشابها ، واتفقت فى كثير من مواد هـذا البنـاء ٠

ثم يبين هـذا الموقف ويعرض أيضا نفس الغرض فى مكان آخـر فيقول ـ بعـد أن استعرض آيات قصـة صالح وقصة شعيب ٠ فى سـورة الشعراء أيضا :

(فهاتان القصتان جمع بينهما الغرض الذى ذكـر فى أول هـذه السورة ، سورة الشعراء ، وهو حرص النبى على هـدايتهم مع موقفهم منه موقف اللدو والخصومة حتى لينجع نفسـه ، ومن أجل هـذا مضت القصـة فى عرض الحوادث التى تبث الثقة والطمأنينة فى قلب النبى عليه السـلام والتى ترد نفسه الى الهـدوء حينما يعلم من أمر غيره من الرسـل مثـل هـذا الحـرص وبقـاء أقوامهم على ما هم عليه من العناد(٢٧) ٠

أما الغرض من القصـة فى سورة الأعراف فهو اظهار موقف الأشراف من دعوته ، وأن هـذا الموقف كان موقف العناد والمكابرة ، ومحاولة صرف العامة عن دين الله ، وقـد يؤيد هـذا تصدير اجابة القوم فى المحاورة التى دارت بينهم وبين شعيب بقوله سبحانه « **قال الملأ** » فلفظ « **الملأ** » **يعنى** : الأشراف والسادة ، ثم قول شعيب لهؤلاء الأشراف « **ولا تقعـدوا بكل صراط توعدون وتصـدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا** » ، ثم قول المـلأ بعضهم لبعض : « لئن اتبعتم شعيبا انكم اذاً لخاسرون » ٠

---

(٢٦) الفن القصصى / ١٣٠ الطبعة الثالثة ، ويلاحظ أننا استعملنا الطبعة الأولى فيما تقدم ٠
(٢٧) الفن القصصى / ١٩٢ ٠

ويبـدو أن هـذا هو الغرض من قصص سورة الأعراف عامة ـ يعنى أن الغرض : اظهار موقف الأشراف على أساس ما ذكرنا ، وبيان أن هـذا الموقف امتـد عبر القرون والأزمان ، فلفظ« الملأ » قـد انتشر بين جنبات القصص كله ٠

ويبـدو أيضا أن أكابر قريش فى تلك الفترة التى نزلت فيها سـورة الأعـراف كانوا على هـذه الصـورة ، وكانت أيديهـم فوق هـذا مقـال المسلمين ٠٠ فالقصص هنا يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء ليسوا بدعا من غيرهم ، حتى لا يداخله قلق على مستقبل دعوته ٠

واذا كان الغرض من القصـة فى سورة الشعراء اظهار حرص شعيب على هـداية قومه مع موقفهم منه موقف اللدو فى الخصومة فان هـذا الغـرض يناسبه أن يطلب القوم نزول العـذاب ، وأن يفوض شعيب العلم الى الله ، فاللدد فى الخصومة يناسبه أن يقول القوم « فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين » ، والحرص على الهـداية يناسبه أن يكون شعيب رفيقا بهم فلا يدعو عليهم ، وأن يفوض العلم الى الله ، حتى وان كان يعلم أنهـم معـذبون بأعمالهم ٠

واذا كان الغرض من القصة فى سورة الأعراف اظهار موقف الأشراف ـ على أساس ما ذكرنا ـ ، فان ذلك يناسبه أن يدعو عليهم وأن يكون قاسيا معهـم ٠

وقـد يجاب بأن سورة الشعراء نزلت أولا فهى تحكى ما جـرى بين شعيب وبين قومه فى اللقاءات الاولى ، ولم يكن شعيب فى تلك الفتـرة يعلم عن العـذاب شيئا ، فلما طلب القوم منه أن يسقط السماء عليهـم كسفا ٠ فوض العلم فى ذلك الى الله ، أما سورة الأعراف فقـد نزلت بعـد ذلك ، فهى تحكى صورة من اللقاءات الأخيرة ، وكان شعيب فى تلك الفترة قـد يئس من ايمانهم فدعا عليهم ، أو أعلمه الله بأن القوم سـيعذبون فاستعجل نزول العـذاب بهم ٠

وهـذا وان كان يخالف ما عليه الباحثون فى علوم القـرآن فانه يناسب السياق فى السورتين ، وقـد سبق أن قلنا : ان بعض المفسرين قـد اسـتدل بالاظهار والاضمار على ترتيب النزول ، وذلك فى قوله سبحانه فى سـورة الأعراف فى قصـة لوط : « **وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون** » ، وقوله فى سورة النمل فى نفس القصـة : « **فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس**

يتطهرون » ، فقد قالوا : ان الاظهار يدل على أن السورة نزلت أولا والاضمار يدل على أن السورة نزلت مؤخرا ، فسورة النمل نزلت قبل سورة الأعراف ٠

وقد ذهب الى هذا « **الخطيب الاسكافى** » فقال ـ فى سورة الأعراف :

(وأما المسألة الثالثة ، وهى اضمار آل لوط فى الأعراف حيث قال : « الا أن قالوا أخرجوهم » ٠ واظهاره فى سورة النمل لما قال : « أخرجوا آل لوط من قريتكم ، والجواب عنه أن قال : أن السورتين مكيتان وموجب هذا الاضمار والاظهار أن يكون ما جاء فيه الاظهار نازلا قبل ما جاء فيه الاضمار ، فلما أظهر فىالآية المنزلة من قبل اعتمد فى القصة التى هى عند ذكرهم على الاضمار الذى أصله أن يكون بعد تقدم الذكر) ٠(٢٨)

وتضيف صورة هود بيان حالة شعيب المادية وأنه ليس أقل من قومه غنى ، ويظهر ذلك من قوله لقومه « **ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد** أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » ٠

وهناك اضافات أخرى فى السورتين سنتحدث عنهما فيما بعد ٠

أما سورة الشعراء فانها تضيف أن شعيبا عندما طلب القوم منه نزول العذاب فوض العلم الى الله ٠

اجابة القوم :

تنتهى المحاورة فى سورة الشعراء ، ولكنها لا تنتهى فى سورة الأعراف ، ولا فى سورة هود ٠

● ففى سورة الأعراف يقول السادة والكبراء كما حكى القرآن :

« وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذاً لخاسرون » ٠

ويبدو أن هذه المحاورة دارت بين الأشراف بعضهم وبعض ، وكان الغرض منها التناصح بعدم الايمان بشعيب عليه السلام ، ومحاولة صرف الناس عن اتباعه ، فلعله قد حضرها كثير من العامة ، وحضرها شعيب ، وفهم منها موقف القوم جميعا ٠ تابعيهم ومتبوعيهم ٠

● ونرى سورة هود تتحدث عن الاجابة بقولها : « **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز** » ٠

---

(٢٨) درة التنزيل / ١٦٣ ٠

المعنى :

« قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما نقول » :

جعلوا كلامه كالهـذيان الذى لا يفهم أكثره ، فقولهم : « **كثيرا** » ، لا يصح أن يراد به الكل ، لأن قو لهم « **مما نقول** » يأبى ذلك ٠

« وانا لنراك فينا ضعيفا » :

لا حول لك ولا قوة ، ولا تقـدر على شىء من النفع أو الضر ٠

« ولولا رهطك لرجمنـاك » :

لولا مراعاة جانب رهطك لقتلناك رميا بالحجـارة ٠

« وما أنت علينا بعزيز » :

لست محترما أو صاحب مكانة ، حتى نمتنع عن قتلك ، ويقول صاحب الكشاف : (وقـد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل : وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعـزة علينا ، ولذلك قال فى جوابهم : « **أرهطى أعز عليكم من الله** » ، ولو كان التقدير : وما عززت علينا لم يصح هـذا الجواب)

ممـا نقـدم نستطيع أن نقول :

ان كل اجابة أضافت جـديدا ، فقـد أضافت اجابة القوم فى سورة الأعراف أن المـلأ تناصحوا بعـدم اتباع شعيب ٠

وهـذه الاجابة تدفعنا الى أن نقول :

ان الحوار فى القصص القـرآنى تارة يدور بين الأنبياء وأقوامهـم عامة ٠ وقـد مرت بك أمثلة كثيرة على ذلك ٠

وتارة يدور بين الأشراف بعضهم وبعض كما هنـا ، وكما فى سـورة « **المؤمنون** » فى قوله سبحانه فى قصة نوح : « **فقال المـلأ الذين كفروا من قومه ما هـذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا فى آبائنا الأولين ٠ ان هو الا رجل به جنـة فتربصـوا به حتى حين** » ٠

وتارة يدور بين الأشراف والمستضعفين كما فى سورة الأعراف فى قصـة صالح : « **قال المـلأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمـن آمن منهم**

أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون ٠ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون » ٠

وليس بلازم عندما يصدر القول من الأقوام للرسل ، أو من الأشراف للرسل ، أو من الأشراف للمستضعفين أن يصدر من جميع هؤلاء ، وانما يكفى أن يصدر من بعض ويرضى به الباقون ، ومن هنا يضيفه القرآن اليهم جميعا ، يقول صاحب المنار : **(وقد قلنا ان قصص القرآن لم يقصد بها سرد حوادث التاريخ بل العبرة والموعظة ، فيذكر فى كل سورة من القصة الواحدة من المعانى والمواعظ ما لا يذكر فى الأخرى ، ومجموعها هو كل ما أراد الله تعالى أن يعظ به هذه الأمة ٠ فمن المعهود أن الرسل عليهم السلام – وكذا غيرهم من الوعاظ الذين ينهون الضالين والمجرمين عن المنكر – يكررون لهم الوعظ بمعان متقاربة ، ويسمعون منهم أجوبة متشابهة ، وقد يقول بعضهم مالا يقول غيره فيعجبهم ويقرونه عليه فيسند اليهم كلهم ، كما يسند اليهم فعل الواحد منهم اذا رضوه وأقروه عليه ولو بعد فعله ، كما تقدم آنفا فى اسناد عقر الناقة الى قوم صالح وانما عقرها واحد منهم)** ٠[٢٩]

ثم ان الحوار فى القصص القرآنى (لم يكن مصدره دائما هو الانسان ٠٠٠ بل اشتركت فيه عناصر متباينة) ٠

فنجد فى القصص القرآنى حوارا :

بين الله والملائكة :

« واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ٠٠ الى آخر الحوار »[٣٠] ٠

وبين الله والانسان :

« أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم ٠٠ ٠٠ ٠٠ الى آخر الآية »[٣١]

وبين الله وابليس :

---

(٢٩) تفسير المنار ح ٨/٤٥٦ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

(٣٠) آية ٢٩ ــ ٤٢ من سورة البقرة ٠

(٣١) آية ٦٥٩ من سورة البقرة ٠

« قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين • قال فاهبط منها كما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين • قال أنظرنى الى يوم يبعثون •• •• •• الى آخر ما دار (٣٢)

وبين الانسان والملائكة :

« وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب • اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض •• •• •• الى آخر الحوار »(٣٣)

وبين الانسان والحيوان :

« وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به •• •• •• الى آخر ما دار (٣٤)

وقد يكشف القرآن عن حديث المرء لنفسه فى صورة حوار ، أو مناجاته لربه •

فمن الأولى ما جاء على لسان ابراهيم وهو يحاور قومه : « **وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين(٣٥)** » فقد أضمر ابراهيم فى نفسه ذلك وتحركت كلماته من وراء شفتيه ، دون أن يسمعه أحد من شهود هذا الموقف ، ولكن القرآن يصرح به بعد أن أصبح الحديث تاريخا •

ومن الثانى ما جاء على لسان موسى فى مدين وقد تولى الى الظل بعد أن سقى لابنتى شعيب : « **رب انى لما أنزلت الى من خير فقير»(٣٦)**

وما جاء على لسان يوسف وهو يواجه اغراء النسوة فى ظل التهديد ، « **رب السجن(٣٧) أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين»(٣٨)**

---

(٣٢) آية ٢٠ ــ ٢٣ من سورة ص •
(٣٣) آية ٢٠ ــ ٢٨ من سورة النمل •
(٣٤) آية ٥٧ من سورة الأنبياء •
(٣٥) آية ٢٤ من سورة القصص •
(٣٦) آية ٣٣ من سورة يوسف •
(٣٧) سيكلوجية القصة / ٤١٢ وما بعدها •
(٣٨) انظر البحر ، وروح المعانى ، والظهرى منسوب الى الظهر ، وهذا من تغييرات النسب ، كما قالوا فى النسبة الى أمس امس بالكسر ، والى الدهر دهرى بالضم ، ثم توسعوا فيه واستعملوه للمنسى المتروك •

وتضيف اجابة سورة هود مكانة شعيب الاجتماعية عند قومه وأنه ضعيف لا حول له ولا قوة ، وتضيف مكانته فى نفوسهم ، ويظهر ذلك من قولهم : « **وانا لنراك فينا ضعيفا** » ، وقولهم : « **وما أنت علينا بعزيز** » ٠

اجابة شعيب عليه السلام :

تنتهى المحاورة فى سورة الأعراف ، ولكنها تظل باقية فى سورة هود ، فنرى شعيبا يقول للقوم فيها « **قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ، ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب** » ٠

المعنى :

« **قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله** » :

قد يتساءل متسائل كيف يقول شعيب فى الجواب : « **أرهطى أعز عليكم من الله** » فى حين أن كلام القوم متعلق به وبرهطه ، ولم يأت فيه ذكر الله ؟

ويجاب بأن القوم عند ما تهاونوا به وهو نبى ، نزل تهاونهم هذا منزلة التهاون بالله ، وحين عز عليهم رهطه دونه ٠ كان الرهط أعز عليهم من الله ٠

« **واتخذتموه وراءكم ظهريا** »

جعلتم الله كالشىء المنبوذ وراء الظهر ، حيث لم تسمعوا كلام من أرسله(٣٩) ٠

« **ان ربى بما تعملون محيط** » :

ان ربى قد أحاط علما بأعمالكم السيئة التى من جملتها رعاية جانب الرهط دون رعاية جنابه عز وجل ، والاحاطة تقتضى الجزاء

---

(٣٩) قوله : انى عامل ٠ فيه محذوف تقديره : انى عامل على مكانتى ، وحذف اختصارا ٠

« **ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل** »[٤٠]

المكانة : الحال ، يقال : على مكانتك يا فلان ، أى اثبت على حالك التى أنت عليها لا تنحرف ، والمعنى : يا قوم اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والجحود والمعاداة لى ، انى عامل على مكانتى من الدعوة الى الله ٠

« **سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخذيه ومن هو كاذب** » :
استئناف وقع جوابا لسؤال فقدر ، (كأنهم قالوا : فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت ؟ فقال سوف تعلمون)[٤١] الى آخره ٠

وذهب بعض المفسرين الى أن شعيبا عليه السلام ذكر عملهم على مكانتهم ، وعمله على مكانته ، ثم أتبع ذلك ذكر العاقبة لكل ، فكان القياس أن يقول : ومن هو صادق ، لأن قوله : « **من يأتيه عذاب يخزيه** » ينصرف الى الجاحدين ، وقوله : « **ومن هو كاذب** » ينصرف اليه هو ، ولكن جاء التعبير هكذا ، لأن القوم كانوا يزعمون كذبه ، فجرى الكلام على ما يزعمون تسفيها لهم ، ٠٠ وعلى هذا فالمعنى : ستعلمون حالكم وحال الصادق الذى زعمتم أنه كاذب لجهلكم[٤٢] ٠

وذهب « **ابن المنير** » الى أن الكلامين جميعا لهم ، فالجملة الأولى [٤٣] تتضمن ذكر جزائهم ، والجملة الثانية تتضمن ذكر جرمهم الذى يجازون به ثم قال : « وهو من عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد ، كما تقول لمن تهدده : ستعلم من يهان ومن يعاقب ، وأنت تعنى : المخاطب فى الكلامين ، فيكون فى ذكر كذبهم تعريض لصدقه ، وهو أبلغ وأوقع من التصريح ، ومن هنا لم تذكر عاقبة شعيب استغناء بذكر عاقبتهم »[٤٤] .

« **وارتقبوا انى معكم رقيب** » :

انتظروا ما سيقع بكم انى معكم فتنظر ٠

---

(٤٠) روح المعانى بتصرف ح ١١٧/١٢ ٠
(٤١) يقصد قوله : « من يأتيه عذاب يخزيه » ٠
(٤٢) يقصد قوله : « ومن هو كاذب » ٠
(٤٣) الكشاف ح ٢ هامش / ٣٣٢ بتصرف ٠
(٤٤) الظلال ح ٢٣٧/٦ ٠

● وهـذه الاجابة حوت بعض التهـديدات ، وقـد جاءت هـذه التهديدات عن طريق التلميح أولا ، ثم التصريح ثانيا ، فقول شعيب : « **اعملوا على مكانتكم** » تلميح بالتهـديد ، وقوله« **سوف تعلمون من يأتيه عـذاب يخزيه ومن هو كاذب** » تصريح به ٠

ونـرى فى القصـة قبل ذلك تهـديدا صريحا جاء مجملا أولا ، ومبينا ثانيا ، فقـد قال لهم فى أول نداء وجهه اليهم : « وانى أخاف عليكم عـذاب يوم محيـط » وقال لهم مرة ثانية : « ويا قـوم لا يجـرمنكم شـقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيـد » ٠

وليست هـذه التهـديدات اضافة انفردت بها سورة هود ، فاننا نرى فى سورة الأعراف قريبا منها ، وجاءت أيضا عن طريق التصريح تارة ، وعن طريق التلميح تارة أخرى ، فقـد قال لهم « **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** » وهـذا تصريح بالتهـديد ، وقال لهم : « **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا** » ، وهـذا تلميح به ٠

ونرى فى سورة الشعراء تهـديدا يتمثل فى الأمر بالتقوى الذى تكـرر أكثر من مرة ، وعلى هـذا فالتهـديد فى سورة الشعراء يفهم عن طريق التلميح لا التصريح ، ومن هنـا نقول : ان المحاورة فى صورة الشعراء كانت أخف وقعا على نفوس المشركين من غيرها ٠

والى جانب هـذا الترهيب والتهـديد نرى ترغيبا فى كل من سورتى الأعراف ، وهود ، يختلف كل منهما عن الآخـر **ويضيف للقصة** جـديدا ، **فقـد** جاء الترغيب فى صورة الأعراف بقول شعيب : « واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم » ، وجاء فى سورة هود بقوله : « **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود** » ٠

نحن نرى أن الترغيب فى سـورة الأعـراف جـاء بشىء محسـوس واقع ، فهو تذكير بضرب من نعم الله عليهم ، أما الترغيب فى سورة هود ، فقـد جاء بشيىء معنوى ، فهو يطمعهم فى عفو الله ورحمته اذا طرقوا بابه أو وقفوا على أعتابه ٠

الحـديث عن النهاية :

● تتحـدث سورة الأعراف عن النهاية فتقول : « **فأخـذتهم الرجفـة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ٠ الذين كـذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كـذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** ٠

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » ٠

● وتتحدث سورة هود عن هذه النهاية فتقول : « **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ٠ كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** » ٠

● أما سورة الشعراء فتقول فى الحديث عنها : « **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظله انه كان عذاب يوم عظيم ٠ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٠ وان ربك لهو العزيز الرحيم** » ٠

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن بعد عرض هذه الآيات هو : هل كان عذاب القوم عذابا واحدا أو أنواعا من العذاب ؟

ويجاب بأنه عذاب واحد ، حتى ولو أريد بأصحاب الأيكة جماعة آخرون غير أهل مدين ، وهذا العذاب هو الصاعقة ، والصاعقة قد يطلق عليها رجفة ، لما يصاحبها من اضطراب الأرض ، وقد يطلق عليها صيحة لما يصاحبها من صوت مفزع ٠

أما الظلة فقد دلت الى الصاعقة ، يقول بعض المفسرين فى معنى قوله سبحانه : « **فأخذهم عذاب يوم الظلة** » : **(أخذهم حر خانق شديد ، ثم ظهرت لهم سحابة فاستظلوا بها ، فاذا هى الصاعقة المجلجلة فدمرتهم تدميرا)**(٤٥)

وذهب بعض العلماء الى أن أحدا لا يستطيع أن يكشف المراد من قوله تعالى : « **فأخذهم عذاب يوم الظلة** » استنادا الى ما قاله ابن عباس : « من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب » ٠

ويبدو أن كلام ابن عباس محمول على التفصيلات التى ذكرت فى بعض الروايات عن عذاب يوم الظلة والتى تحمل فى طياتها الخرافات والأباطيل ٠

ويذكر « ابن كثير » سر الاختلاف فى التعبير عن العذاب فى هذه السور فيقول :

---

(٤٥) لعله يقصد استهزاءهم به عندما قالوا « أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد » ٠

(فذكرها هنا ـ يقصد صورة هود ـ أنهم أتتهم صيحة ، وفى الأعراف رجفة ، وفى الشعراء عذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وانما ذكر فى كل سياق ما يناسبه ، ففى الأعراف لما قالوا : « لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا » ناسب أن يذكر هناك الرجفة ، فرجفت بهم الأرض التى ظلموا بها ، وأرادوا اخراج نبتهم منها ، وها هنا لما أساءوا الأدب على نبيهم(٤٦) ناسب ذكر الصيحة التى أسكتتهم وأخمدتهم ، وفى الشعراء لما قالوا : « فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين » ، قال : « فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم » ، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة ، ولله الحمد والمنة كثيرا دائما)(٤٧)

ومن الاضافات التى نراها أثناء الحديث عن النهاية قول الله سبحانه : « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » ٠

وقد أضافتها سورة الأعراف وانفردت بها ، وقد سبق الحديث عن مثلها فى قصة صالح ٠

وقد يقول قائل : كيف تكون هذه اضافة مع أن شعيبا قد قال لقومه فى سورة هود : « **وما أنا عليكم بحفيظ** » ، وقال لهم فى سورة الشعراء : « **انى لكم رسول أمين** » ، وكل من القولين يفيد أن وظيفة شعيب هى البلاغ ، كما تفيده الاضافة المدعاة ؟

ويجاب بأن قول شعيب فى سورة الأعراف كان اضافة باعتبار أنه قاله بعد انتهاء المحاورة وبعد نزول العذاب بالقوم ٠

القصة بايجاز :

لقد ذكرت قصة شعيب بايجاز فى سورة الحجر ، فقال سبحانه « **وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ٠ فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين** » ، والضمير فى قوله « **وانهما لبإمام مبين** » يعود الى قرية لوط وقرية شعيب(٤٨) ، فانهما يقعان فى طريق واضح ، أى مطروق يمر به الناس ، يقول صاحب الظلال : (ووقوع القرى الدائرة على الطريق المطروق أدعى الى العبرة ،

---

(٤٦) تفسير ابن كثير ٠
(٤٧) انظر البحر ج ٥/٤٦٣ ، والقرية قد تستعمل بمعنى المدينة ٠

فهى شـاهد حاضر يراه الرائح والغادى • والحيـاة تجرى من حولها وهى دائرة كأن لم تكن يوما عامرة • والحيـاة لا تحفلها وهى ماضية فى الطريق) •

كـذلك ذكرت القصة بايجاز فى سورة العنكبوت فقال عـز وجـل : « والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبـدوا الله وارجو اليوم الآخـر ولاتعثوا فى الأرض مفسـدين • فكـذبوه فأخـذتهم الرجفـة فأصبحوا فى دارهم جاثمين»

والسورتان تتفقان فى أن كلا منهما تبرز نزول العـذاب بالقـوم ، والسبب الذى من أجله استحقوا هـذا العـذاب ، لكن هـذا السـبب قـد اختلف فى كل سورة عن الأخـرى فهو فى سورة الحجر : الظلم ، وفى سورة العنكبوت التكـذيب •

وتضيف سورة العنكبوت أن شعيبا دعاهم الى شيىء جـديد لم يظهر بصريح العبارة غير هنـا ، وذلك قوله : « **وارجو اليوم الآخـر** •

فهـذه الجملة يستفاد منها الدعوة الى الايمان بالبعث ، وهـذا مالا يوجد فى غير هـذه السورة •

وقـد يتساءل متسائل : كيف يقول الله : « **فكـذبوه** » وكلام شعيب الموجه الى قومه هنـا أمر ونهى ، والأمر لا يصـدق ولا يكـذب ، وكـذلك النهى ، فان من قال لغيره : قم ، أو لا تقم لا يصح أن يقال له كـذبت ؟

ويجاب بأن كلام شعيب يتضمن اخبارات كأنه قال لهم : **الله واحـد فاعبـدوه ، والحشر كائن فارجوه ، والفساد محـرم فلا تقـربوه(٤٩)** •

وهـذه الاجابة والاعتراض المثار نقلناهما عن الفخر الرازى ، ومن هـذه الاجابة نفهم أن عبارة شعيب « وارجو اليوم الآخر » تفيـد دعوته لقـومه الى الايمان بالبعث والحشر كما قلنا •

ولعلك قـد فهمت سر الايجاز فيما مضى •

وأخيرا وبعـد أن عرضنا مجموعة من القصص القـرآنى نتسـاءل : ألا يوجـد فى هـذا التكرار تعارض ، فقـد رأينا كلاما للرسل يختلف فى كل عرض عن الآخر ، ورأينا اجابات للقوم تختلف هى الأخرى عن بعضها ؟

---

(٤٨) الظلال ح ٥/٢١٦ •
(٤٩) انظر الفخر الرازى ح ٢٥/٦٥ •

يجيب « الخطيب الاسكافى على هـذا التساؤل فيقول : (للأنبياء مقامات مع أممهم يكون فيها الاعـذار والانذار ، ويرجع فيها عودا على بـدء الوعـد والوعيـد ، ولا يكون دعاؤهم الى الايمان بالله ، ورفض عبـادة ما سواه فى موقف واحـد بلفظ واحـد لا يتغير ، بل الواعظ يفتن فى مقاله ، والجاحـد المنكـر تختلف أجوبته فى مواقفه ٠

فاذا جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب وقـد اختلف فى الأصـل باتفاقها ، لأنه قال لهم مرة باللفظ الذى حكى ، ومرة بلفظ آخـر فى معناه كما ذكـر ٠

وكـذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عـددهم ويختلف كلامهم ومقصدهم وصـدق الخبر يتناول الشيىء على ما كان عليه ، فلا وجـه للاعتراض بهـذا ونحوه)(٥٠) ٠

والله أعلم ٠
والى لقـاء آخـر ان شـاء الله ٠٠

---

(٥٠) درة التنزيل / ١٥١ ٠

الفهرس

صفحة

مقـــدمة

قصـــة نوح عليه السلام ١

افتتاح القصـــة ١٦

الحـديث عن السفينة وكيف صنعها نوح ٣٧

قصـــة هـــود عليه السلام ٥٣

افتتاح القصـــة ٦٣

اجابة هـــود ٨٦

الحـديث عن النهـاية ٨٨

قصـــة صالح عليه السلام ٩٣

وقفـــه مـع نداء صالح ١٠٤

اجابة القـــوم ١٠٥

رد صـالح ١١٠

الحـديث عن عقـر الناقـة ١١٦

الحـديث عن النهـاية ١١٨

القصة فى مواضع الايجـاز ١٢٢

قصـــة لوط عليه السلام ١٢٥

بين يدى القصـــة ١٣٥

صفحة

النـداء الأول ١٣٦
وقفـه مـع النـداء ١٣٩
اجابة القـوم ١٤٤
الحـديث عن النهـاية ١٤٩
القصـة بايجـاز ١٦٩

قصـة شعيب عليه السلام ١٧٣
بين يدى القصـة ١٨٠
النـداء الأول ١٨١
وفقـه مـع النـداء ١٨٧
اجابة القـوم ١٨٩
الحـديث عن النهـاية ٢٠٥
القصـة بأيجـاز ٢٠٧

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٧٨/٤٩٩٧
الترقيم الدولي ٦ ـ ٥ ـ ٧٣٠٨

المطبعة الفنية
٢٢ شارع الشقفانية متفرع من شارع الساحة
عابدين ـ أمام مسجد الساحة ت ٩١١٨٦٢ ـ القاهرة